



المملكة الأردنية الهاشمية

حولية دائرة الآثار العامة المجلد (62)

عمان
2025 - 2024

حولية دائرة الآثار العامة

تصدر عن دائرة الآثار العامة، ص.ب 88، عمان 11118 - المملكة الأردنية الهاشمية

رئيس التحرير

أ. د. فوزي قاسم أبو دنة

هيئة التحرير

أكرم العويدي

أروى مساعدة

محمد ناصر

هالة السيوف

مريم إبراهيم

أسامة عيد

د. علي الحاج

رزان داود

فادية العدوان

راجع النصوص العربية

أسامة لطفي عيد

راجع النصوص الإنجليزية

نورين دويلي

الاشتراك السنوي

20 ديناراً أردنياً (داخل المملكة الأردنية الهاشمية).

30 دولاراً أمريكياً (خارج المملكة) بالإضافة إلى أجور البريد.

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار العامة بالضرورة

تقبل المقالات حتى 31 أيار (مايو) من كل عام حسب التعليمات الواردة في هذا المجلد وتُرسَل على العنوان التالي:

حولية دائرة الآثار العامة

ص.ب 88

عمان 11118 - الأردن

فاكس: 962+ 6 4615848

تعليمات نشر البحوث في حولية دائرة الآثار العامة

حولية دائرة الآثار العامة مطبوعة مخصصة للأبحاث الأثرية في المملكة الأردنية الهاشمية.

- النصوص منسقة حسب الأصول كالآتي:
 - أ. عنوان المقالة الرئيس ويكون بخط غامق (BOLD).
 - ب. أسماء المؤلفين تأتي بعد العنوان بخط عادي (regular) وتكون متباعدة وتصل بين كل مؤلف وآخر فاصلة منقوطة (؛).
 - ج. نص المقالة بثلاث مستويات من العناوين، متضمنًا الجداول حسب أماكنها المفترضة والنهائية في المقال (أو ملاحظة تتضمن الإشارة إلى مكان الجدول في المقال في حال كان الجدول في ملف منفصل عن ملف النصوص).
 - د. عناوين الاتصال بالمؤلفين، متضمنة عنوان بريد إلكتروني لكل منهم، وأن يكون العنوان فعالًا.
 - هـ. قائمة المراجع وفق التنسيق المطلوب.
 - و. تعليقات الصور وتبدأ برقم الشكل متبوعًا بنقطة (.) وفراغ مسافي (tab)، ثم نص التعليق بالترتيب.
 - ز. الهوامش مع رقم الهامش متبوعًا بنقطة (.) وفراغ مسافي (tab) ثم نص الهامش بالترتيب.
5. تستخدم ثلاث مستويات للعناوين ولا ترقم العناوين لا بأرقام رئيسية ولا بأرقام فرعية.
6. يستخدم الخط (Times New Roman) فقط لكتابة نصوص المقالات بجميع أجزائها.
7. يجب تجنب إطالة الهوامش قدر المستطاع، وتستخدم هوامش الاستشهاد في متن النصوص فقط، مثل (غوانمة، 1990: 32).
8. الأشكال:
 - أ. يجب إرفاقها جميعًا لدى إرسال المقال للنشر.
 - ب. يجب الإشارة إليها داخل نص المقال على النحو الآتي "شكل 1"، وفق ترتيب متسلسل، بغض النظر عن طبيعتها إن كانت صورة أو خارطة، أو رسمًا، أو مخططًا، أو شكلًا بيانيًا، أو مخططًا هندسيًا، أو رسمًا توضيحيًا.

- تعطى أولوية النشر لتقارير المشاريع الأثرية ومقالات تفسير المواد المكتشفة.
- تقبل المقالات التي تدعم وتقدر الإرث الحضاري والثقافي الغني في المملكة الأردنية الهاشمية، والدول المحيطة بها.
- الموعد النهائي لإرسال المقالات هو 31 مايو/أيار من كل عام للمقالات من نفس السنة.
- ترسل المساهمات إلى:
هيئة تحرير حولية دائرة الآثار العامة،
دائرة الآثار العامة
ص.ب 88 عمان 11118 الأردن،
هاتف: +962 6 4644336.
ويمكن الاستفسار عن طريق مخاطبة هيئة التحرير بواسطة:
بريد إلكتروني: publication@doa.gov.jo
فاكس: +962 6 46515848

لغة البحث

تقبل المساهمات باللغتين العربية أو الإنجليزية فقط.

مسودات البحث

1. يجب ألا تتجاوز مسودة البحث 10.000 كلمة (20 صفحة) متضمنة العناوين، ونص المقالة، والهوامش، والأشكال التوضيحية، والصور، والمخططات، وتعليقاتها، والجداول، وعناوين الاتصال، والمراجع؛
2. ترسل المساهمات بصيغتها النهائية، دون انتظار تعديلات إضافية متوقعة من قبل المؤلف/المؤلفين؛
3. يوضع في بداية المقالة ملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يتجاوز 250 كلمة (نصف صفحة)، يقدم فيه المؤلف/المؤلفون الفكرة الرئيسة في المقال، ونبذة عن أهم المواضيع الواردة فيها.
4. تكون جميع النصوص بشكل إلكتروني موحد بصيغة (doc. أو docx) ويحتوي ملف المقالة النهائي نصوصًا فقط، دون إضافة أي مادة خارجية من صور أو مخططات، أو رسومات. وتكون

- ج. يجب ألا تتعدى قياسات أي شكل مستخدم 22×17سم.
- د. يجب أن تكون دقة الوضوح للصور الفوتوغرافية بما لا يقل عن 300 بكسل لكل بوصة، وعن 600 بكسل لكل بوصة للرسومات والمخططات.
- هـ. يجب أن تكون جميع الأشكال بصيغة (jpg)، ووفق ترتيب متسلسل.
- و. لا تقبل الأشكال المضمنة في ملفات النصوص.
- ز. يجب وضع الأشكال في ملف منفصل متضمنة رقم الشكل المستخدم في النصوص متبوعاً بتعليق واضح وبتسلسل يبدأ من 01 (مع التأكيد على تضمين الصفر في التسمية).
- ح. تقبل الأشكال المتعددة التي تحمل تعليقاً واحداً على أن يكون تنسيق تسمية ملفاتها الفرعية 01a، 01b، 01c، ... إلخ.

- ط. الأشكال الفرعية لا تحمل تعليقات مستقلة، إن استلزم الأمر؛ يستخدم رقم جديد ويصبح الملف غير فرعي في هذه الحالة.
9. الجداول:
- أ. يجب أن تكون مصفوفة باستخدام برنامج ميكروسوفت وورد، أو ميكروسوفت إكسل فقط، مع إرفاق تعليق واضح وكامل لكل جدول قبل إيرادها في النص، ولكل جدول تعليقه المستقل، ويجب تضمين الهوامش في الجدول إن وجدت في صفه الأخير.
- ب. للجدول الضخمة تأكد أنها ستكون ملائمة للنشر بمساحة 24×17سم، بغض النظر عن وضعها أفقياً أو عمودياً.
10. يعتمد الجدول الآتي لتحديد أحجام الخطوط والمسافات بين الأسطر لكل وحدة تنسيق في النصوص:

المقالات العربية			
نوع الخط المستخدم	حجم الخط (points)	المسافة بين الأسطر (points)	
Bold	20	30	عنوان المقالة الرئيسي
<i>Italic</i>	18	24	اسم المؤلف/أسماء المؤلفين
Bold	14	17	العنوان المستوى الأول
<i>Italic</i>	14	17	العنوان المستوى الثاني
<u>Regular</u>	14	17	العنوان المستوى الثالث
Regular	14	17	نص المقالة
Regular	11	14	الهوامش
<i>Italic</i>	11	16	شروحات الأشكال
Regular	12	14	المراجع
Regular	12	14	عنوان المؤلف/المؤلفين
Regular	12	17	الكلمات الأجنبية في النص العربي

الكلمات الأجنبية، وأسماء المواقع العربية

1. يجب وضع الأسماء ذات الأصل غير الإنجليزي والمكتوبة بحروف رومانية داخل النصوص بشكل مائل (*italic*).
2. تكتب أسماء المواقع الأثرية والجغرافية داخل حدود المملكة الأردنية الهاشمية بحروف عربية أو بحروف رومانية وفق جدول الرومنة المرفق مع هذه التعليمات.

المراجع

- توضع في نهاية المقالة، ووفق ترتيب ألفبائي، وحسب النماذج الآتية:
1. للمقالات:

النوافلة، سامي

2000 تقرير عن حفرة الجي (جاي) في وادي موسى/1991. حولية دائرة الآثار العامة 44: 42-71.

Zayadine, F. and Farés - Drappeau, S.

1998 Two North - Arabian Inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. *ADAJ* 42: 255-258.

2. للمجلدات ذات المقالات المتعددة:

الدوري، عبد العزيز

2001 فترات التاريخ العربي، نظرة شاملة. ص 43-59 في أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، مهداة إلى ذكرى مصطفى الحياوي 1936-1998. تحرير صالح الحمارنة. عمان: الجامعة الأردنية.

Zayadine, F. and Farés - Drappeau, S.

Gabel, H.G.K. and Bienert, H.D

1997 Ba'ja: A LPPNB Regional Center Hidden in the Mountains North of Petra, Southern Jordan, Results from the 1997 Investigations. Pp. 221-262 in H.G.K. Gabel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.), *The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997*. Berlin: Ex oriente.

حقوق الملكية الفكرية

من حق الباحث (الباحثين).

الالتزام بهذه التعليمات

للجنة تحرير حولية الآثار العامة الحق المطلق والكامل في تأخير أو رفض أي مقالة لا تلتزم بأي بند من بنود هذه التعليمات، دون الاضطرار إلى إخطار المؤلف/ المؤلفين مسبقاً بذلك.

3. للكتب المنفردة:

عباس، إحسان

1990 تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، 600-661. عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.

Peacock, D.P.S.

1988 *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London and New York: Longman.

4. للمواقع الإلكترونية:

الموقع الرسمي لصندوق استكشاف فلسطين

<https://www.pef.org.uk/about/history/>
angela- 2022burdett-coutts ، اطلع عليه بتاريخ 2022/3/21م.

Ordnance Survey

2022 The official website of the British Ordnance Survey (<https://www.ordnancesurvey.co.uk/about/history/>), accessed on 3/21/2022.

5. للكتب الإلكترونية:

ابن كثير الدمشقي

1997 البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (701-774هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، كتاب إلكتروني (https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/C1/C1F355A8979E9F38E0A145A938C2740E_BN01P.PDF) اطلع عليه بتاريخ 21/3/2021.

Corbett, E.D.

2014 **Competitive Archaeology in Jordan**, Narrating Identity from the Ottomans to the Hashemites. Austin: University of Texas Press. e-book: (https://www.google.jo/books/edition/Competitive_Archaeology_in_Jordan/Yt-EBQAAQBAJ?hl=en&gbpv=1&dq=antiquities+of+jordan&printsec=frontcover), accessed on 21/3/2021.

الفهرس

خربة سارة الأثري خلال الأعوام 2018-2024: قراءة استقرائية تحليلية

7..... مريم إبراهيم، وهناء لافي

اكتشاف خزان بيزنطي لجمع المياه في حسان

17..... أديب إسحق أبوشميس

صورة بلاد الشام في رحلة أوليا جلبي - سياحت نامة في المجلدين الثالث والتاسع - طريق الحج الشامي
(1059-1081هـ/1649-1671م)

25..... عبد القادر محمود الحصان

ترجمة الأعلام والوظائف في نقش قلعة الأزرق الأيوبي (القسم الأول)

35..... عارف الدهيثم

دراسة موقع الطلحات على طريق درب زبيدة - العراق في ضوء أعمال المسح الميداني والكشف عن نقوش إسلامية
هامة وتسليط الأضواء عليها

63..... حيدر محمد الرماحي، ومحمد كاظم محمد، وعبدالقادر محمود الحصان

بيت راس 2018-2024

73..... ساهر عبدالعزيز طويق

تاريخ مكتبة دائرة الآثار العامة

85..... سماح العواملة

دور الحفريات العرضية في حماية موروث عمان الحضاري

89..... طاهر الغنميين

كنيسة ياجوز الشمالية 2016 - اكتشاف أثري جديد

93..... طاهر الغنميين

دراسات حول العظام والنقوش واللقى الجصية من مقبرة خربة السمرا - المفرق

107..... عبدالله جميل النابلسي

خربة سارة الأثري خلال الأعوام 2018-2024: قراءة استقرائية تحليلية

مريم إبراهيم، وهناء لافي

الملخص

كشفت التنقيبات الأثرية المستمرة في خربة سارة خلال الأعوام 2018-2024، غرب العاصمة عمان، عن بقايا برج عموني، وأرضيات فسيفسائية، ونظام معماري كبير الحجم، إضافة إلى معثورات أثرية جديدة؛ إذ بينت هذه التنقيبات تسلسلاً تاريخياً مهماً يمتد من العصور الحديدية حتى العصور الإسلامية. وتبرز أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على التغيرات السكانية والثقافية والتاريخية التي شهدتها خربة سارة، وذلك من خلال الاستقراء والتحليل اعتماداً على المعثورات الأثرية بوصفها مصدراً رئيساً.

تكمن مشكلة البحث في عدم نشر نتائج أعمال التنقيبات الأثرية باللغة العربية، فضلاً عن غياب القراءة الاستقرائية التحليلية لهذه النتائج. وقد اعتمدت الباحثتان على تقارير النتائج الأولية المنشورة وغير المنشورة الصادرة عن البعثة المكلفة بأعمال التنقيب بموجب التصاريح الصادرة عن دائرة الآثار العامة، وهي تقارير تحتاج إلى قراءة معمقة تُستكمل بها تلك الدراسات.

الكلمات المفتاحية

خربة سارة، تنقيب أثري، برج عموني، بقايا أثرية، أرضيات فسيفسائية.

جغرافية موقع خربة سارة

تقع خربة سارة على حدود مدينة عمان الغربية، في الجانب الشرقي من وادي السير، وعلى الجانب الغربي من الهضبة المطلة على وادي الشتا، وتحديداً في منطقة البيادر على الطريق القديم الذي كان يربط ربة عمون بوادي الأردن عبر وادي السير ووادي الكفرين (Młynarczyk, J. and Burdajewicz 2018) (الشكل 1) ضمن الإحداثيات الجغرافية 35.83097 31.94475 ويرتفع فوق مستوى سطح البحر حوالي 972م، إذ يحمل (رقم 11304) على قاعدة بيانات التراث الوطني المعروفة بـ (ميغا جوردن MEGA JORDAN).

التسمية والتاريخ

لم تورد المصادر التاريخية تفسيرات واضحة لسبب تسمية خربة سارة بهذا الاسم، غير أن الرواية الشعبية المتداولة في المنطقة تشير إلى أن سارة أو سار وسيرا كانتا ملكتين؛ حكمت الأولى منطقة سارة التي كانت تشمل بيادر وادي السير، بينما حكمت الثانية منطقة سيرا التي تطابق موقع بدر الجديدة في الوقت الحاضر. وتذهب الرواية إلى أن الملكة سارة كانت تمتاز بجمال لافت، ما جعلها محل اهتمام عددٍ من ملوك ذلك الزمان (محمود المغاربة، مقابلة شفوية).

الدراسات السابقة

كانت الإشارة الأولى إلى موقع خربة سارة على يد الرحالة ميريل (Merrill)، الذي ذكره باسم "خربة سار" عام 1877 (1881: 404-405). وزاره لاحقاً الرحالة كوندنر (Conder) عام 1881، ووصفه بأنه "الطريق القديم الغربي من عمان" (كوندنر 1889: 153). كما أشار إلى العثور على "ستة توابيت حجرية ملقاة في ساحة مربعة"، وهي دلالة على وجود قبر مبني في الموقع. ووصف كذلك البرج (الرجم) بأنه مبني "من كتل كبيرة من الصوان أو الحصى"، يقع في "الزاوية الشمالية الغربية للموقع كما هو الحال اليوم"، كما لاحظ إلى الشرق منه "بقايا مبني يحتوي صفين متوازيين من الأقواس"، لافتاً إلى أن "الأعمدة تحت الأقواس مغطاة". ويُستدل من هذه الملاحظات على أن حالة الحفظ في الموقع لم تتغير بصورة كبيرة منذ القرن التاسع عشر.

عام 1905، زار الموقع بتلر (Butler 1919: 33)، وقد ركّز في وصفه على البناء المربع (القصر) "المحاط بجدران متكسرة ومدفونة جزئياً". وعام 1937، زاره عالم الآثار نيلسون غلوك (Glueck)، الذي أطلق عليه اسم "قصر السار" (1939: 153-156، موقع المسح رقم 207)، وقدم وصفاً تفصيلياً للموقع. وبحسب غلوك، فإن البناء المربع كان في الأصل حصناً، حوله الرومان لاحقاً إلى معبد عبر إضافة "منصة" إلى جانبه الشرقي، تتقدمها ساحة تحتوي صفي أقواس. كما أشار إلى وجود "صهاريج كبيرة مملوءة"، وبركة ماء وكهوف تحيط بالموقع. وذكر لانكستر هاردينغ أن البناء يعود إلى "أواخر العصر البرونزي وبدايات العصر الحديدي"، وأن عدد الأقواس يبلغ ثمانية، كل أربعة منها متقابلة.

عام 2000، زار الموقع تشانغ هو جي (Chang-ho C. Ji) من جامعة لا سيبرا في كاليفورنيا، خلال مسح لمنطقة عراق الأمير ووادي الكفرين (تقرير غير منشور، أرشيف دائرة الآثار الأردنية). وركّز تقريره على "القصر" والفناء الشرقي، كما أشار إلى وجود "مجمعين إلى ثلاثة مجمعات معمارية كبيرة" في جهتي الموقع الشرقية والجنوبية.

عام 2018، بدأ فريق من جامعة وارسو بقيادة جولانتا موينارتشيك وماريوس بورداييفيتش

(Młynarczyk and Burdajewicz 2018) أول موسم للأعمال الأثرية في الموقع. وقد أُجري مسح استطلاعي جيوفيزيائي داخل المنطقة المسيجة من قبل دائرة الآثار العامة، جرى خلاله إعداد مخطط أولي للموقع، إلى جانب رسم خريطة للبقايا المعمارية الظاهرة على السطح (الشكل 2). اعتمد الفريق على طريقة فحص المقاومة الكهربائية (Electrical Resistivity Method) بهدف الكشف عن مواقع الأبنية الحجرية غير المعروفة، والحصول على معلومات جديدة عن تخطيط الموقع، وتوثيق البقايا الظاهرة، وجمع اللقى الأثرية، ولا سيما الكسر الفخارية (الشكل 3). وقُسم المسح إلى ثلاث مناطق حملت الرموز A و B و C (الشكل 4).

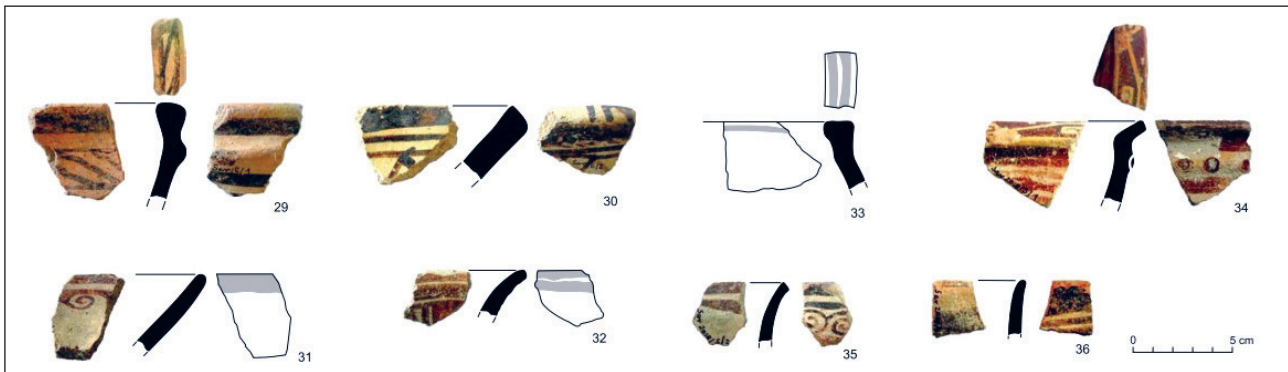
عام 2019، بدأ الموسم الثاني في الموقع، وشمل أعمال التنقيب الأثري (الشكل 5)، إضافةً إلى جمع ودراسة كمية كبيرة من الكسر الفخارية التي أرخت الموقع إلى الفترة من أواخر العصر الحديدي (العموني) وصولاً إلى الفترات الإسلامية (مملوكية وعثمانية). كما تم الكشف عن العديد من الطبقات الأثرية التي جرت دراستها وتوثيقها، إضافةً إلى جزء من جدار ضخم يعود إلى الفترة الرومانية (الشكل 6)، وقد أُعيد استخدام حجارته الضخمة في الفترة المملوكية، وهو ما دلّت عليه الكسر الفخارية الملونة والمزججة المكتشفة في الموقع.



1. موقع خربة سارة الأثري.



2. مخطط خربة سارة (منطقة المسح الأثري) (M. Burdajewicz, M. Gostkowski).



3. كسر فخار مملوكي ملون من موسم 2018 (رسم M. Burdajewicz).



4. مناطق المسح (PCMA UW Kh-irbat as-Sar Project/process-ing R. Ryndziejewicz).

وبسبب جائحة كورونا، توقفت الأعمال الأثرية، ثم استؤنفت عام 2023، حيث استُكملت أعمال التنقيب (Młynarczyk and Burdajewicz 2024) (الشكل 7). وتبين من نتائج هذا الموسم أن الموقع كان مأهولاً في الفترة الرومانية، وأعيد استخدامه بكثافة في الفترة الإسلامية (المملوكية). وقد تم الكشف كذلك عن أرضية فسيفسائية مرصوفة بشكل منتظم (الشكل 8).

عام 2024، بدأ الموسم الرابع لاستكمال أعمال الحفر والتنقيب في مواقع المواسم السابقة (Trench 1/3 و Trench 2)، إضافة إلى فتح موقع جديد مقابل الرجم في الجهة الشرقية (Trench 5) (الشكل 9)، وفق الإحداثيات التالية:



9. حدود موقع خربة سارة الأثري وأماكن الـ Trench التي تمت فيها الأعمال الأثرية خلال موسم 2024.



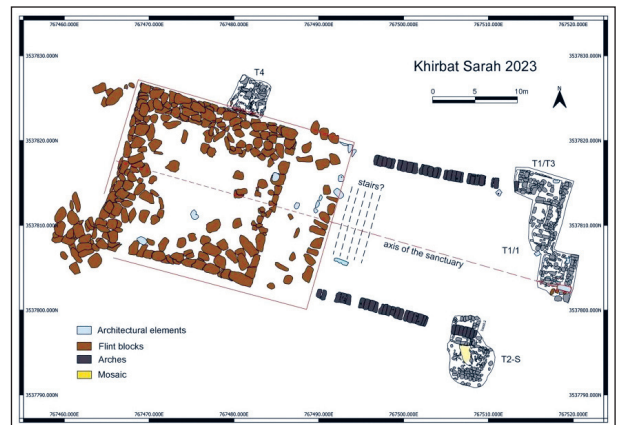
8. بقايا من الأرضية الفسيفسائية ذات اللون الأبيض.



5. أماكن أعمال التنقيب الأثري الموسم الثاني لعام 2019.



6. جزء من الجدار الروماني.



7. أماكن التنقيب الأثري للموسم الثالث لعام 2023 (رسم M. Burdajewicz).

ويُعدّ من أبرز المكتشفات في هذا الموضع العثور على تاجية عمود دورية (Doric Capital) تُشبه في طرازها وشكل حجارتها تلك المستخدمة في بناء قصر عراق الأمير (الشكل 12)، مما يعزّز الدلائل على الارتباط المعماري والفني بين الموقعين خلال الفترة الهلنستية – الرومانية.

Trench 2

نفذت أعمال التنقيب الأثري في الجهة الجنوبية لأحد الأقواس الرومانية المكتشفة في المواسم السابقة،



10. مكان تصريف المياه بعد الكشف عنه أكثر.



11. جزء من مصباح زيتي يعود إلى الفترة الهلنستية.

Trench 1/3:

Long 35.8301712 – Lat 31.9447410

Trench 2:

Long 35.8300996 – Lat 31.9446813

Trench 5:

Long 35.8299118 – Lat 31.9448673

كما استُكملت أعمال المسح الجيوفيزيائي، وتصوير موقع خربة سارة باستخدام تقنية المسح ثلاثي الأبعاد بالماسح الضوئي ليفوكس.

خربة سارة الأثري خلال الأعوام 2019-2024: قراءة استقرائية تحليلية

Trench 1/3

كان Trench 1/3-W امتداداً غربياً لـ Trench 1/3 الذي بدأت أعمال الحفر فيه عام 2023 في الجهة الشمالية الشرقية من الموقع، وذلك بهدف تتبّع امتدادات الجدران وتحديد شكل البناء وطبيعته. ودلّت البقايا الأثرية من الكسر الفخارية المكتشفة في هذا المقطع على أنها تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة، إضافة إلى الكشف عن بقايا جدران من الفترة نفسها. كما احتوت الطبقات الأثرية على عدد من الأرضيات ذات ألوان رمادية داكنة وبنية، متراسة ومدكوكة بشكل واضح، وكانت في بعض المواضع طينية الملمس، مما يشير إلى مراحل بناء واستعمال متعددة. وعُثر كذلك على بقايا موادّ مستخدمة في بناء سقف المبنى في الفترة الإسلامية. أما الحجارة المستخدمة في الأبنية الإسلامية (الأموية/المملوكية) فقد كانت في معظمها مُعادة الاستخدام من الفترات السابقة، ولا سيما الفترة الرومانية. وتم الكشف أيضاً عن بقايا أحد الأقواس الرومانية، إلا أنّ الجزء العلوي منه مفقود. ويُلاحظ أن غالبية الحجارة في هذا الموضع كانت مُشدّبة أو تحمل زخارف أو تحزيزات تعود للفترة الرومانية، إضافة إلى العثور على كسر فخارية رومانية مثل التيرّا سيجيلاتا. أما جدار الخندق الشرقي، فهو جزء من الجدار الروماني القديم، وقد كُشف فيه عن فتحة يُرجّح أنها كانت تُستخدم لتصريف المياه، بلغ قطرها نحو 14 سم (الشكل 10). كما تم العثور على كسر فخارية تعود إلى الفترة الهلنستية، من بينها كسرة مصباح زيتي (الشكل 11).

الموسم السابق (2023)، حيث جرى تنظيف الأرضية وتدعيم أطرافها وإعادة بعض الحجارة المفككة إلى مواضعها، ثم تصويرها وتوثيقها حسب الأصول.

وأثناء التنقيب، عُثِرَ على حجر طحني مكسور إلى عدة أجزاء بفعل التدمير الذي لحق بالموقع جرّاء زلزال عام 749م. كما تم العثور على مجموعة من الكسر الفخارية المزخرفة ذات الرسومات التي تعود إلى الفترة الإسلامية المملوكية (الشكل 14)، إضافة إلى كسر فخارية ملونة ومزججة تعود إلى الفترة العباسية، وكسر زجاجية تخص سوارًا.

أما في الجهة الشرقية من الخندق، فقد أدّى تنظيف الأتربة والحجارة المتهدمة إلى الكشف عن بقايا بُنيّة كان يُعتقد بدايةً أنها طابون، غير أن تنظيف الكسر الفخارية أظهر أنها شظايا جرة فخارية كبيرة مستخدمة لأغراض التخزين، وذلك لعدم وجود آثار حرق عليها. كما عُثِرَ على كتلتين حجريّتين صغيرتين يُرجّح أنهما كانتا تُستخدمان كأثقال. وبعد توثيق هذه المعثورات، استُكملت أعمال الحفر ليُكشف عن مزيد من الكسر الفخارية، إضافة إلى جزء من أرضية تعود إلى الفترة الرومانية المبكرة.

Trench 5

يقع الخندق في جهة البرج العموني الشرقية، حيث كان يُعتقد سابقًا وجود درج أو مدخل يؤدي إلى المعبد الروماني، إلا أنّ أعمال التنقيب لم تُسفر عن أدلة تُثبت ذلك. وفي زاوية المربع الشمالية الغربية، تم العثور على هيكل عظمي كامل لإنسان دُفن وفق الطريقة الإسلامية، ويُرجّح أنه يعود إلى دفن حديث نسبيًا؛ إذ يبدو أن الموقع استُخدم كمقبرة من قبل السكان المحليين قبل نحو 150 عامًا.

مع إجراء توسعة للخندق من الجهة الشرقية بعرض يقارب 2م نظرًا لوجود كمية كبيرة من البقايا الحجرية، ولا سيما الكتل الضخمة. وقد شملت الأعمال استكمال التنظيف وإزالة الحجارة المتهدمة والأتربة، والكشف عن الطبقات والجدران والأرضيات التي تعود إلى الفترات الإسلامية، وتحديدًا العصر الأيوبي.

وبسبب تعرّض جزء المربع الجنوبي للانهارار -إذ يتكوّن هذا الجزء من جدار مبني بحجارة ضخمة ومهدّد بالسقوط نتيجة تآكله- جرى تدعيمه من أسفله باستخدام بعض الحجارة المتساقطة بهدف تثبيتته والحفاظ على سلامته الإنشائية.

كما تم الكشف عن جزء من الأرضية الفسيفسائية غير الملونة (بيضاء فقط)، والتي تعود إلى العصر الأموي، وفق ما دلّت عليه الكسر الفخارية المكتشفة فوقها (الشكل 13). وجاء الكشف استكمالًا لأعمال



12. تاجية عمود (Doric).



13. جزء من الأرضية الفسيفسائية وأعمال التوثيق والترميم لأجزائها.

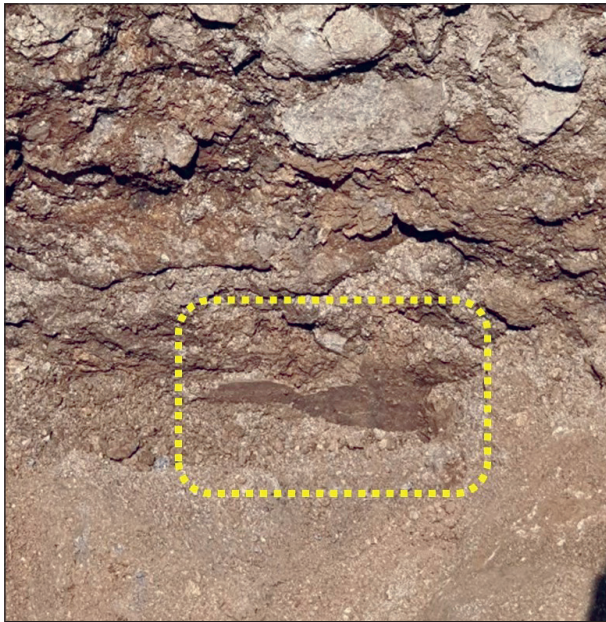
مباشرة ظهرت أرضية رقيقة جداً مفتتة مكوّنة من خليط من البلاستر الأبيض والتراب، مع آثار موقدٍ محاط بحجارة من الصوان.

مع استمرار الحفر في الطبقات الأعمق، كُشف عن العديد من البقايا الأثرية التي تعود إلى الفترة الإسلامية (الأيوبية/المملوكية)، من جدران وأرضيات وكسر فخارية. وقد اتضح أن الموقع قد تعرّض لدمار كبير نتيجة الزلزال الذي ضرب المنطقة، مما أدى إلى انهيار حجارة المبنى وعدم القدرة على تحديد وظيفته بدقة.

لا تزال أجزاء من طبقة الجبس (الشكل 16) محفوظة في مكانها على جدار الخندق الغربي، ملاصقةً لجزء من أرضية فسيفسائية (الشكل 17)، يُرجّح أنها مشابهة للأرضية المكتشفة في Trench 2.

البقايا الحيوانية في الموقع

أسفرت التنقيبات الأثرية في خربة سارة عام 2019 عن العثور على مجموعة من بقايا الحيوانات التي يعود تاريخها بشكل رئيسي إلى العصر المملوكي، وهو ما يتوافق مع الطبيعة البيئية والحياتية للمناطق المحيطة بالموقع خلال تلك الفترة. وقد شكّلت الأغنام والماعز المصدر الغذائي الأهم للسكان آنذاك، نظرًا لانتشار تربيتها واعتماد المجتمع عليها في الغذاء (الشكل 18).



16. بقايا من الجبس الذي يغطي الجدار الغربي من Trench 2.

ومع استمرار العمل، بدأت تظهر بقايا جدران غرفة داخل المربع، إضافة إلى عدد من الكسر الفخارية التي تعود إلى العصر الإسلامي المتأخر. ومن أهم المكتشفات جزء من سراج يحمل زخرفة السنبله وعليه آثار استعمال وحرّق (الشكل 15)، وأجزاء من جرة متوسطة الحجم ربما كانت تستخدم للتخزين، فضلاً عن مجموعة من مقابض الجرار وأجزاء من أوانٍ مختلفة الأشكال والأحجام كانت تُستخدم في الطبخ على الأراج.

وعلى عمق يقارب 2,50م، تم الوصول إلى أرضية تعود إلى العصر العباسي، استناداً إلى الكسر الفخارية المرتبطة بها، إضافة إلى لونها المائل إلى السواد وامتزاجها بالرماد، مما يشير إلى وجود مواقد كانت تُستعمل لأغراض الطبخ. وتحت هذه الطبقة



14. كسر فخارية عليها زخارف ورسومات تعود إلى الفترة المملوكية وكسر فخارية مزججة وملونة تعود إلى الفترة العباسية.



15. جزء من سراج/مصباح زيتي يحمل زخرفة السنبله.



18. بعض بقايا عظام الماعز والأغنام.



19. بقايا عظم جمل.

ما يُشكّل خطرًا على أجزاء الموقع غير المكتشفة، خاصة مع احتمالية امتداد الأبنية أو البنى التحتية إلى محيطه المباشر.

الزراعة والحراثة

تُمارس الزراعة في الأراضي المجاورة للموقع، ويؤدي استخدام الآليات الزراعية والحراثة العميقة إلى الإضرار بالطبقات الأثرية السطحية والبقايا غير الظاهرة.

الرعي الجائر

يقوم السكان المحليون بإدخال قطعان المواشي إلى الموقع أو إلى أطرافه، مما يؤدي إلى إلحاق أضرار بالتلال الأثرية والبنى الظاهرة، بالإضافة إلى تفكك التربة نتيجة الدوس المتكرر.



17. جزء من الأرضية الفسيفسائية ملاصقة للجدار الغربي.

كما وُثقت بقايا أعداد محدودة من أنواع حيوانية أخرى مثل الجمل (الشكل 19) والحصان والكلب والدجاج والأرانب. وقد استُخدمت هذه الحيوانات في تلك المرحلة التاريخية لأغراض غذائية، إضافةً إلى أدوارها المهمة في الأعمال الزراعية والنقل، وذلك بما يتوافق مع أنماط الاستيطان المملوكية وطرق استغلال الموارد الحيوانية في تلك الفترة. (Monchot, H. 2020).

التهديدات التي تتعرض لها خربة سارة

تواجه المواقع الأثرية عمومًا، وموقع خربة سارة على وجه الخصوص، مجموعة من التهديدات الطبيعية والبشرية التي تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في سلامة البقايا الأثرية والمحافظة عليها، ويمكن تصنيف هذه التهديدات على النحو الآتي:

أولاً: التهديدات البشرية

يتعرض الموقع لعدة ضغوط بشرية تُعد الأكثر تأثيرًا على مكوناته الأثرية، من أبرزها:

التوسع العمراني

تشهد المنطقة المحيطة توسعًا عمرانيًا ملحوظًا،

العبث والتنقيب غير المشروع

يتعرض الموقع للاعتداء من الباحثين عن الدفائن، ما يسبب تشويهاً مباشراً للبقايا الأثرية وتدميرًا للسياق الطبقي.

إلقاء المخلفات

يشهد الموقع تركًا للنفايات المنزلية ومخلفات الزوار، وهو ما ينعكس سلبيًا على المشهد الحضاري للموقع وعلى استدامته، إضافة إلى تسببه بتلوث بصري وبيئي.

ثانيًا: التهديدات الطبيعية

نظرًا لطبيعة خبرة سارة الواقعة على تل مرتفع، فإنها تتعرض لمجموعة تهديدات طبيعية مرتبطة مباشرة بعوامل التعرية والتغيرات المناخية، ومن أبرزها:

مياه الأمطار وجريان السيول

تؤدي الأمطار الغزيرة إلى انجراف التربة وتفاقم عمليات التعرية، ما يهدد استقرار الجدران والأرضيات، خصوصًا الأجزاء المعرضة مثل البرج العموني.

التغيرات الحرارية الموسمية

تحدث فروقات درجات الحرارة بين الصيف والشتاء تمددًا وانكماشًا متكررًا للصخور، ما ينتج عنه تشققات وتصدعات تؤثر في البنى الأثرية وتسرع عملية تفككها.

تدهور العناصر المعمارية الحساسة

تُعد الأرضيات الفسيفسائية من أكثر العناصر عرضة للتلف بفعل التغيرات المناخية والرطوبة، مما يزيد احتمال فقدان أجزاء منها أو تفككها.

النتائج الأولية

تتابع الاستيطان البشري

تشير البيانات الأثرية إلى أن الموقع سُكن واستوطن بشكل متواصل عبر فترات متعددة: العصر الحديدي، الهلنستي، الروماني، البيزنطي، والفترة الإسلامية (الأُموية، العباسية، المملوكية).

استقرأ المكتشفات يُظهر أن الاستيطان الروماني كان الأكبر من حيث ضخامة المباني والكتل الحجرية المشغولة، مما يعكس تطور الهندسة المعمارية وكثافة النشاط البشري خلال تلك الفترة.

تسجيل مرحلة فاطمية للمرة الأولى

الكشف عن فخار مميز يعود إلى الفترة الفاطمية يشير إلى امتداد النشاط البشري في فترة لم تكن موثقة سابقًا.

إن تحليل هذه الطبقات الاستقرائي يعزز فهم التسلسل الزمني للموقع وتوسعته عبر العصور الإسلامية المختلفة.

الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية

تشير بقايا الحيوانات والكسر الفخارية إلى أن السكان المحليين مارسوا الزراعة وتربية المواشي، مما يُظهر استغلال الموقع لأغراض غذائية ونقلية. يشير التحليل إلى تنوع الأنشطة الاقتصادية عبر العصور، بما يعكس التكيف مع البيئة المحلية والموارد الطبيعية المتاحة.

الدلائل المعمارية والفنية

وجود كتل حجرية كبيرة وأرضيات فسيفسائية يعكس مستوى متقدمًا من البناء والهندسة، خاصة في الفترتين الرومانية والمملوكية. يشير التحليل الاستقرائي إلى أن التطور المعماري يعكس مركزية الموقع وأهميته الاجتماعية والثقافية في المنطقة.

الأهمية التاريخية والثقافية

يمثل الموقع انعكاسًا للتغيرات الثقافية والحضارية التي شهدتها منطقة الأردن عبر العصور. يمكن استنتاج أن خبرة سارة كانت محورًا لنشاط بشري مستمر، ما يعزز قيمتها كجزء من التراث الوطني والثقافي.

الحفاظ على الموقع

من خلال دمج نتائج التنقيبات مع التوعية المجتمعية، يمكن وضع استراتيجيات فعّالة للحفاظ على التراث ونقله إلى الأجيال القادمة. يشير التحليل الاستقرائي إلى أن التنقيب المنهجي والتوثيق الدقيق يوفران أساسًا علميًا للحفاظ على البقايا المعمارية والطبقات الأثرية المستقبلية.

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر بداية لعطوفة مدير عام دائرة الآثار العامة أ. د. فادي بلعاوي لتمكيننا من المشاركة في مواسم التنقيب الأثري في خربة سارة بالتعاون مع الفريق البولندي من جامعة وارسو وعلى رأسهم مدير الحفريات الدكتور Mariusz Burdajewicz والدكتورة Jolanta Młynarczyk وذلك بين عامي 2018 و2024. وذلك لكون تقاريرهم الأولية للحفريات الأثرية في الموقع المصدر العلمي الأساس.

المراجع العربية

إبراهيم، مريم؛ ولافي، هناء
2019 تقرير أولي لأعمال التنقيب الأثري في خربة سارة، الموسم الثاني. تقرير غير منشور، أرشيف دائرة الآثار العامة.
2024 تقرير أولي لأعمال التنقيب الأثري في خربة سارة، الموسم الرابع. تقرير غير منشور، أرشيف دائرة الآثار العامة.
لافي، هناء؛ والحيان، ضحى
2023 تقرير أولي لأعمال التنقيب الأثري في خربة سارة، الموسم الثالث. تقرير غير منشور، أرشيف دائرة الآثار العامة.

المراجع الأجنبية

- Butler, H.C.
1919 *Syria: Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909*. Division II: Architecture, Section A: Southern Syria. Leiden: E.J. Brill.
Conder, C.R.
1889 *The Survey of Eastern Palestine*. London: Committee of the Palestine Exploration Fund.
Glueck, N.
1939 *Explorations in Eastern Palestine III*. *AASOR* 18-19. New Haven, CT: American Schools of Oriental Research.
Ji, Chang-ho C.
2000 *The Survey in the Regions of 'Iraq al-Amir and the Wadi al-Kafrayn*, 2000. Unpublish Report, Department of Antiquities of Jordan Archive.
Merrill, S.
1881 *East of the Jordan: A Record of Travel and Observation in the Countries of Moab, Gilead and Bashan*. New York: Charles Scribner's Sons
Młynarczyk, J., and Burdajewicz, M.
2018 Archaeological and Geophysical Survey at the Site of Khirbat as-Sar (Sara), Jordan. *Polish Archaeology in the Mediterranean*, 27/1: 341-378.
2024 Khirbat Sarah (Khirbat as-Sar) 2023. *Archaeology in Jordan* 4: 87-89.
Monchot, H.
2020 The Faunal Remains from Mamluk Khirbat al-Sar (Jordan). *Polish Archaeology in the Mediterranean* 29/2: 677-697. <https://doi.org/10.31338/uw.2083-537X.pam29.2.28>.

اكتشاف خزان بيزنطي لجمع المياه في حسان

أديب إسحق أبوشميس

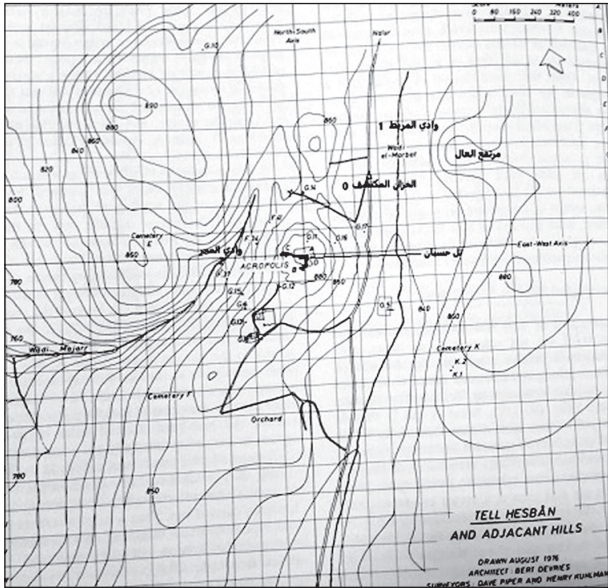
الموقع الجغرافي

تعد مدينة حسان اليوم من مدن محافظة العاصمة، وعرفت كجزء من البلقاء طيلة العصور الإسلامية. يمثل موقعها جزءاً من الهضبة الواقعة في منتصف المملكة الأردنية الهاشمية.

إحداثيات الموقع الأثري: يقع على خط العرض 31,48 شمالاً، وخط الطول 35,48 شرقاً، كما يرتفع عن سطح البحر 892م وينحدر التل إلى وادي المربط في الجهة الشرقية والذي يسير متجهاً نحو الجنوب. كما ينحدر التل أيضاً من الجهة الغربية نحو وادي المجر والذي يسير متجهاً نحو الجنوب ثم ينعطف قليلاً إلى الشمال ليصب في وادي حسان (الشكل 1)، هذا الوادي الذي يواصل سيره غرباً ليصب في نهر الأردن.

وتبعد حسان عن العاصمة عمان 20كم باتجاه الجنوب الشرقي، وتبعد عن شمال مادبا بحوالي 12كم. تتوسط هذه الهضبة سلسلة الجبال الغربية/جبال السلط ومن ثم الانحدار التدريجي نحو الشرق (سهول مادبا الخصبة). من هنا فإن هذه المنطقة تتمتع بموقع استراتيجي غني بالعناصر البيئية الحيوية (الثروة الزراعية والطبيعية)، مما ساهم في أن يكون موقعها مرموقاً لاستدامة الإقامة والعيش منذ القدم. تحيطها الوديان الجارية وعيون الماء الطبيعية، وساهم المناخ المعتدل بزيادة منسوب سقوط الأمطار في المنطقة والذي يقدر سنوياً بحوالي 500مم.

إن هذه الثروة الطبيعية لا تقدم الغذاء فقط بل تساهم بشكل فعال في الإعمار والزراعة والتصنيع والتجارة (أي المستوى الحضاري الذي أثر في تاريخ المنطقة) ودليلنا في ذلك البقايا الأثرية (الشكل 1). رصدت خزانات مياه متنوعة تعود إلى العصور من الحديدي إلى المملوكي، دون انقطاع (Merling 1994) انظر الآثار المكتشفة (الشكل 2). لم نرصد جميع آبار جمع مياه الشتاء في القرية التراثية (قرمية حسان) وذلك لعدم منحنا التصريح لمسح أي جزء من القرية التراثية، ويشير هذا العدد



1. خارطة طبوغرافية توضح تل حسان والمناطق المجاورة، كما تظهر الوديان: رقم 1 ورقم 2 والخزان المكتشف رقم 0.

ويتضح من هنا أن حسابان كانت تدير المنطقة المحيطة بها لوجودها في عقدة طرق المواصلات آنذاك. وكما ذكرت آنفاً فقد كان للاكتشافات الأثرية أدلة كافية توضح أهميتها عبر العصور وبدون انقطاع. صاحب هذا الاستقرار ازدهار تجاري زراعي وصولاً إلى نهاية الفترة العثمانية وتحظى بعض أراضيها اليوم بزراعة أشجار الزيتون والكرمة. وقد عزز هذه الأهمية ما اكتشف من أنظمة وتقنيات حفظ الماء.

نرصد فيما يلي بعض هذه الاكتشافات

بعد قراءة الكتابات الأرامية المكتشفة/النقوش خلال مواسم الحفريات (1971 و 1973 و 1974 و 1976) والتي تعود إلى القرن السادس ق.م (Ostrakon's) تبين وجود تسجيل إحصائي تجاري لبضائع دونت بالحبر الأسود على كسر جرار الفخار المكتشفة (مجلة الدراسات لجامعة أندروز الأمريكية Heshbon 1973-1969 Seminary Studies) وما تلا ذلك من دراسات لهذه النقوش (Greatly and Cross 1994)، التي ذكرت سلعة تجارية منها عدد الأغنام وعدد الأبقار، فذلك دليل على أن حسابان كانت محطة تزود بالماء لحاجة التجار وعملائهم وماشيتهم.

1. حسشون: لا بد من الإشارة إلى أن هم بعثة جامعة أندروز الأمريكية إلى يومنا الحاضر تتمثل بتحقيق ودراسة ما جاء في التوراة وتطبيقه حرفياً على واقع المكتشفات، كونهم يبحثون عن حسشون التوراتية، على الرغم من عدم الوصول إلى الغاية المنشودة لما كشف حتى الآن [تابع ما ورد في كتاب "حسابان، الثقافة والتراث، عبد الله عبد العزيز المشاعلة 2022. تحت عنوان: توطئة، تقديم لزمّن طلاب البحث. ص 9-11].

قد يكون جديراً بالذكر ما تم تحقيقه عند إعادة التدقيق في قراءة بعض هذه النقوش، اكتشاف كلمات صرفت بقواعد اللغة العربية (Matthieu 2009)، ويعتبر هذا الكشف دليلاً واضحاً على وجود التجار العرب في العصر الحديدي الثاني واستخدام العربية جنباً إلى جنب مع الأرامية (لغة التجارة الدولية بهذا العصر).

كشف عن عدة أختام تجارية (باللغة اليونانية) على مقابض جرار الفخار المستورد Rhodian Jars

المكتشف من الآبار بوضوح إلى وفرة الأمطار في المنطقة، واستخدام سيول الوديان الطبيعة لتخزين مياه الأمطار.

من خلال هذا الوصف الطبوغرافي لموقعها الاستراتيجي تبين أنها منطقة زراعية بالدرجة الأولى. فقد كانت على مر العصور النافذة الزراعية والتجارية كونها تقع على الطريق الملوكي/العصر البرونزي 3400 ق.م (نشير هنا إلى اكتشاف سلسلة من القبور وأماكن استيطان أثناء شق طريق حسابان – ناعور تعود لهذا العصر (Abu Shmais and Nabulsi 2004).

كما تواصل هذا الاستقرار من العصر الحديدي إلى الروماني، حيث كانت حسابان تشرف على الطريق الواصل بين بصرى الشام وأيلة التي أقيمت في الفترة بين 111 و 114م *Via Nova Traiana* وبذلك حظيت حسابان بالاتصال المباشر مع مراكز التواجد الحضاري في المنطقة، ولأنها تقع على الطريق الروماني الفرعي المؤدي إلى القدس: حسابان الرامة أريحا القدس (Robert, I. Jr. 1994).



2. صورة جوية مأخوذة من جهة التل الغربية، تظهر عليها مناطق الحفريات الأثرية من عام 1979 (LaBianca 1990: 150).



3. جزء من واجهة خزان الماء الشرقية من العصر الحديدي الثاني المكتشف عام 1974، ويتميز باستخدام الحجر المشذب Ashlar stone.

أديب أبوشميس: اكتشاف خزان بيزنطي لجمع المياه في حسان

المخازن التجارية. فكان لا بد من قيام دائرة الآثار بإجراء اللازم وبالسريعة الممكنة وذلك لإعادة فتح الطريق لحركة المركبات (الشكل 4).

بدأ العمل بتوثيق الحالة كما هي، ومن ثم تنظيف كمية الردم المتساقط وخاصة بعد رفع الجرافة.

ظاهرة رقم 1

كشف في الردم حجر مقطوع قياس $1,1 \times 0,9$ م أقرب إلى الشكل المستطيل يدعى خرزة الباب، (مدخل البئر/الخزان)، إن وجوده يقدم دلالة واضحة على أن هذا هو مكان مدخل الخزان الأصلي في العصر البيزنطي المتأخر "حسب هذه الدراسة"، وكان قد أزيح من موقعه الأصلي إلى جانب الطريق، الجهة الشرقية من الشارع حيث يوجد المنخفض الطبيعي لوادي المرتبط 1 - جانب الوادي (الشكل 4) (Merling 1994).

يعتبر هذا الوادي مصدر جمع المياه ويحاذي تل حسان الأثري من الشرق، وهوسيل بطيء الجريان لعدم وجود انحدار شديد في هذه المنطقة منه.



4. مكان سقوط جزء من سقف الخزان بدون تدخل.



5. إزالة خرزة باب الخزان إلى جانب الطريق وإلى الشرق من مكانها الأصلي.

(مجلة دراسات 1969-1979) وتعود إلى العصر اليوناني المتأخر/الهلنستي (القرن الثاني ق.م)، تبين الأهمية الاقتصادية.

هناك نقش كتب بالخط الثمودي E الفترة المتأخرة، يبين استيطان قبيلة بني عمرت العربية [ورد اسم قبيلة عمرت في كل من مادبا وفي شمال وجنوب الأردن ووادي سرحان، وتميزت بأنها كانت حلقة وصل تجارية وحضارية بين كل القبائل في هذا الوقت] حوالي القرن الثاني ق.م إلى الثاني الميلادي، (أعيد استخدام هذا الحجر في مبنى القلعة المملوكية، وهو أصلاً من مبنى تذكاري لرجل من قبيلة عمرت ربما فارس شجاع (Abu Shmais 2022-2023)).

عثر على عدد من قطع العملة ابتداء من العصر اليوناني والروماني والبيزنطي إلى الإسلامي، تشير إلى أن حسان كانت دار صك عملة في كافة الفترات الإسلامية وحتى بداية القرن العشرين، تتقارب في ذلك مع شكل المحطات التجارية التي تتطلب وجود الماء والإقامة.

وجود عدد من القصور في منطقة البلقاء (في الفترة العثمانية: نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين) يبرهن على أن المنطقة "البلقاء" كانت تعتمد كمحطة تخزين زراعي ومركز توريد للبضائع أثناء نفوذ أتباع الحاكم العثماني الأغوات والباشاوات "زعامات محلية" (Walker: 2003).

التوثيق الميداني

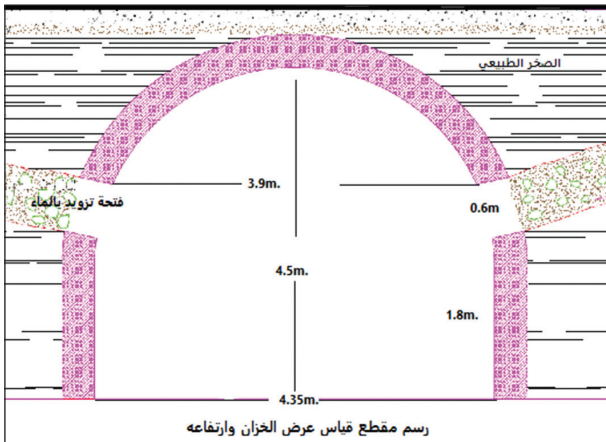
كشف مبنى أسفل الشارع الواصل بين عمان ومادبا يقع هذا الخزان مقابل المدخل الشمالي الرئيسي لمدينة حسان وتحت منتصف الشارع العام. ويرتفع هذا المكان عن سطح البحر 852م.

حدث هذا الاكتشاف أثناء تجريف متعهد من وزارة الأشغال العامة طبقة الإسفلت المتصدعة لإعادة تجديد هذا الجزء من الشارع العام ورسفها بطبقة "Course Layer Base". وبتاريخ 4 نيسان 2005 وأثناء عمل الجرافة هبط جزء من الشارع وعلق دولا ب الجرافة وسط حفرة، وعند الفحص تبين وجود مدخل وسقف مبنى قديم في هذا المكان من الشارع، ومساحة مكان الانهيار $1,2 \times 2,4$ م، وهو على شكل حوض واسع ربما لجمع المياه، وفي مقابل هذا المكان عدد من

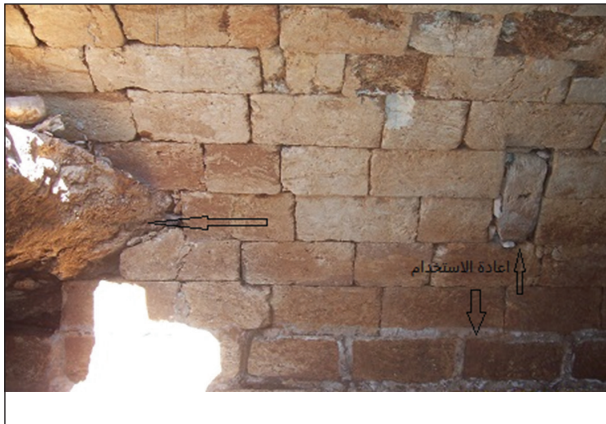
ورث البيزنطيون نظام عمارتهم هذا من الأنباط، كما أتقنوا التعامل والاستفادة من الواقع البيئي في المنطقة الذي فرض عليهم حفظ الماء وجمعه في مكان آمن لا يسمح بالتبخر. كما استعمل الرومان هذا النظام من قبل في عمارتهم.

بني هذا العقد Vault باستخدام الحجر الكلسي المشذب Dressed Soft Limestone مقاس 30×60 سم وسمك 25 سم لكامل حجارة المبنى تقريباً. إن هذه الحجارة مقطوعة بشكل منتظم السطوح والزوايا مما أدى إلى عدم استخدام الملاط بين حجارة البناء، وهي بذلك تحفظ الماء بشكل جيد. كونها تستند إلى الصخر الطبيعي مباشرة.

إن قدرة تحمل هذا المبنى الذي وجد أسفل الشارع العام، وخاصة متانة سقفه البرميلي يقدم دليلاً واضحاً على ميزة مواد البناء وهندسة تراكيب حجارة القوس



7. مقطع عرضي لجسم الخزان يوضح أبعاده الأساسية وأحد أماكن تغذيته بالماء.

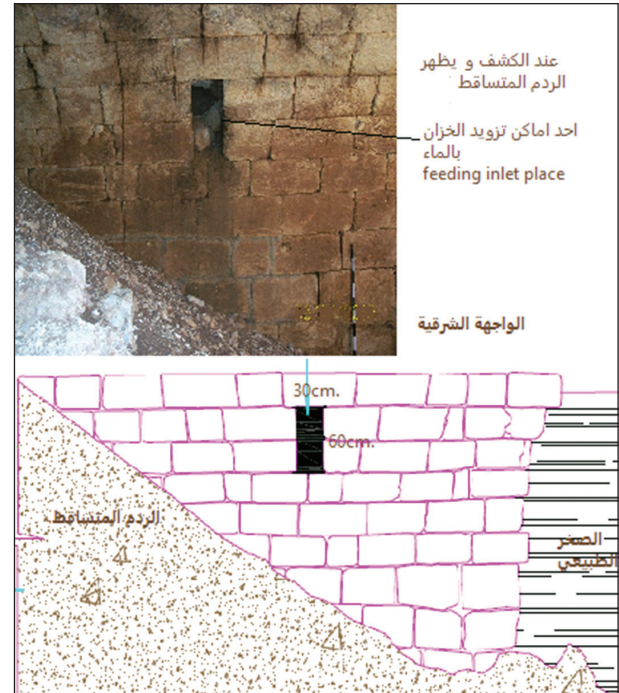


8. تشييق وربط ركيزة الصخر الطبيعي (ridge) لبناء قيو برميلي (سقف) وتثبيتته.

وإلى الجنوب بـ 500م أقيمت في العصر البيزنطي بركة تخزين من مياه الوادي السطحية. يمكن ملاحظة وادي المجر بكسر حرف الميم. الذي يقع على جانب تل حسان الغربي حيث تجري به المياه مسرعة (الجريان)، ومن هنا جاء الاسم (انظر الشكلين 2 و 3).

ظاهرة رقم 2

سقف الخزان الذي تضرر عند منطقة المدخل، وقد بني على نظام القوس البرميلي Vault، استخدم هذا النظام المعماري في أغلب خزانات المياه التي كشفت في كنائس العصر البيزنطي في مادبا [كشفت في ساحة كنيسة مريم العذراء بمادبا خزان ماء، قد يكون بنفس مواصفات وطريقة البناء هذه، يعود إلى القرن السابع الميلادي كما كشفت في مناطق عدة مثل أم الرصاص وأم الجمال وغيرها]. استناداً لمهندس العمارة من استخدام هذا النظام نظراً إلى عدم وجود مواد وطرق أفضل لحمل سقف المبنى بهذا العصر، فكان هذا الطراز المعماري هو السائد. من المفيد وجود فراغ فوق مستوى سطح الماء كي يسمح بتهوية الماء ومبنى الخزان.

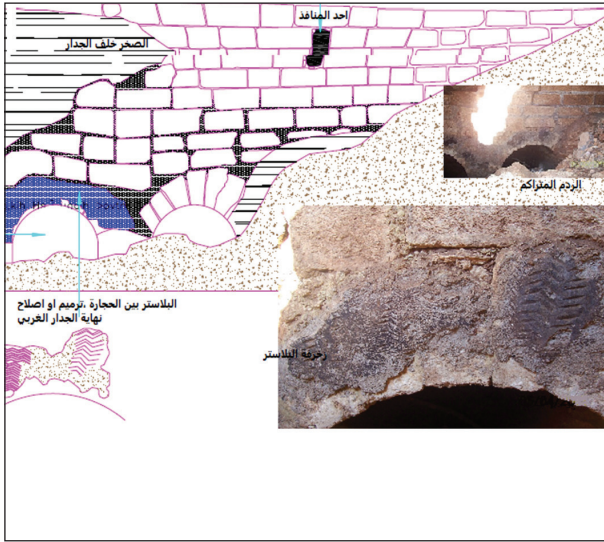


6. أحد المنافذ التي أقيمت لتغذية الخزان بالماء بشكل انسيابي دون أعمال رفع أو قنوات.

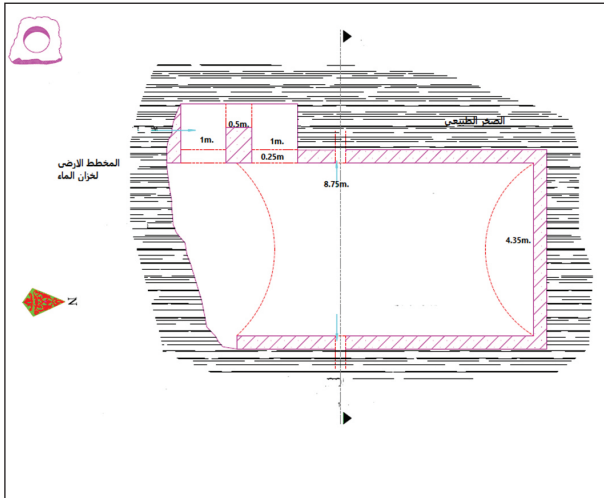
أديب أبوشميس: اكتشاف خزان بيزنطي لجمع المياه في حسان

تحضير مكان مبنى الخزان

قطع ونحت في طبقات الصخر الكلسي الطبيعي، وبذلك حصل حوض مستطيل نوعاً ما بعمق يقترب من 5م وبنفس العرض وبطول 9م تقريباً. وربما كان هذا مكان لمحجر Quarry الذي أصبح على شكل تجويف تمت الاستفادة منه لإقامة خزان ماء أو ما عرف بالمقابر الجماعية Family Chamber Tomb/Rock cut Tomb. لوحظ استخدام هذه الطريقة عند الأنباط والرومان في كثير من الاكتشافات. أقيم المبنى من ثلاثة جدران وبشكل مستطيل



9. إعادة استخدام أو ترميم، بمادة الملاط التي تكسو أعلى الأقواس وما بين الحجارة، زخرفة عظم السمكة، وقد انتشر هذا النموذج الزخرفي في نهاية العصر البيزنطي واستمر في الفترات الإسلامية المبكرة (الأموية والعباسية).



10. مخطط أرضي يظهر إقامة ثلاثة جدران، أما الجانب الجنوبي فقد نحت في الصخر الطبيعي.

والجدارن Interlocking blocks مما أتاح القدرة على حمل أوزان الشاحنات والسيارات منذ أقيم هذا الشارع في سبعينيات القرن الماضي.

إن الحالة الجيولوجية وطبوغرافية المنطقة التي شكلت منخفضاً ضحلاً يدعى وادي المربط الموجود إلى الشرق من موقع هذا الخزان، ويجاور المرتفع Sediment الذي يحمل التراكم الحضاري/الآثار (تل حسان). وكذلك تشكل إلى الشمال من حسان بـ 2-4 كم مرتفع طبيعي آخر يدعى تل العال، إن هذا الوضع الطبوغرافي هو الذي حدد اتجاه حركة المياه في وادي المربط وأظهر الطبقة الكلسية القوية والمشبعة جراء مرور الماء منذ آلاف السنين.

من هذه الطبيعة الجيولوجية استفاد المهندس البيزنطي في اختيار مكان تخزين المياه بعد جمعها من الوادي، هذا الوادي الذي يروي سهول مادبا أيضاً حيث يكمل سيره نحو الجنوب محدثاً تجمعاً طبيعياً للماء (الشكل 2). إن اختيار هذا المكان يسهل جمع مياه السيل/الوادي لانسياب الماء نحو هذا الاتجاه أي موقع الخزان بشكل طبيعي.

ظاهرة رقم 3 "سقف الخزان" (الشكل 4)

كشف عند سقوط جزء منه خلال جرف حجر مدخل الخزان/الروضة. لقد أحسن مهندس البناء اختيار هذا المكان المحاذي لمجرى وادي المربط لإقامة الخزان، وكأنه يقيم قناة تحويل على جانب طريق الوادي/السيول [يصل أعلى ارتفاع للخزان إلى 3,9م، أي وصولاً إلى نقطة حجر الزاوية/إغلاق العقد Key Stone Pattern، كما أن عرض الخزان 4,5م. كما يظهر في المقطع أعلاه].

من خلال عملي في المسح الأثري لمنطقة وادي التمد/مدينة التمد¹ كشفنا عدداً من آبار تخزين الماء على جانب الوادي Bank، تم نحتها بوضع يجعلها تمتلئ عندما يرتفع منسوب المياه في الوادي حيث تصب مياه صافية في كل خزان منها دون الحاجة إلى قنوات تنقل الماء من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض.

1. التمد بالعربية تعني المكان أو الحوض يجتمع فيه الماء (Daviou) (2000).

أي مستوى الشارع. صورة ورسم الواجهة الغربية ومكان حوض التصفية (الشكل 8) الملاحظ في هذا المكان إعادة الاستخدام في بناء الأقواس وبعض من حجارة الجدار، حيث تكسو مادة الملاط Mortar أعلى الأقواس وما بين حجارة الجدار بشكل زخارف عظم السمكة [نلاحظ إعادة استخدام أو إصلاح في هذا المكان وذلك لوجود ملاط بين حجارة القوس وفي مناطق أخرى من الخزان. لقد وجد مثل هذه الزخرفة في كثير من المناطق منها مادبا وأم الرصاص والقصور الأموية وغيرها].

قياس الحوض 1×1×1,5م، وحفرته أعمق من أرضية الخزان بـ0,5م كما يظهر في المخطط أعلاه Top Plan. أما واجهة حوض التصفية فيظهر على أنه جزء من الجدار الغربي.

مكتشفات مرافقة للمكان المكتشف عرضياً

إلى الغرب من التل الأثري وعلى بعد 60م يصل شارع فرعي إلى القرية الحالية، أقيم على جانبه مركز اجتماعي لخدمة أهالي حسان ومدرسة خاصة، وتبين أثناء البناء وشق هذا الطريق وجود بقايا أثرية هي امتداد لتل حسان الأثري. لذا كان لا بد من إجراء أعمال تنقيب، وقد تم عام 1996، وأشرف على هذا العمل دائرة الآثار العامة قسم المصادر التراثية (Cultural Resources Management: The Report).

مما جاء في هذا التقرير، اكتشاف لبقايا معصرة زيتون مدمرة في مكانها الأصلي لوجود حوض رصع الزيتون/المدراس وبعض الأحواض الخاصة بتصفية الزيت ونقله، وحوض تم تغطيته من الداخل بالملاط Plastered Cistern. مما استدعى تنزيل 3 مربعات إلى الشمال، وذلك لمتابعة بقايا قنوات تسير بهذا الاتجاه. كشف هنا مبنى مستطيل بسقف برميلي يعود للعصر المملوكي وأعيد استخدامه في العصر العثماني ويتصل بمجمع مبانٍ. تظهر هذه الأدلة الأثرية علاقة ربط واضحة مع المجمع المملوكي الذي تم اكتشافه على السفح الشمالي للتل، وبالتالي فقد تكون هذه المباني، مستودعات تخزين (إنتاج/تموين) لناحية/ مركز الحكم المملوكي وحدات معمارية تابعة لمعسكر التدريب أثناء الحروب الصليبية واستمر هذا المجمع كمركز إنتاجي في العهد العثماني. (الشبيبي 2005).

4,35×8,75م وبسقف برميلي Vault System. هناك أربعة منافذ Water Feeding Inlet تسمح بدخول الماء قياس كل منفذ 30×60سم، أقيمت أربعة منافذ في كل جانب (الشرقي والغربي) لتغذية الخزان بالماء متقابلة Symmetrical System وقد تم إغلاق ثلاثة منها عند إعادة الاستخدام (الشكل 6).

رصد المساح ارتفاع الأرض الطبيعية على جانبي الشارع فكانت 850,6م عن سطح البحر، إن هذا الارتفاع يناسب مستوى منافذ تزويد المياه. وتبين أن المهندس استفاد من هذا المكان (مرتفع صخري في الوادي) وأنزل به الخزان/أقامه Inserted the Tank ومن هنا نكتشف تقنيات تحضير المكان قبل البناء.

إن مكان تجميع الماء مباشرة هو (منافذ التزويد) باستخدام الانسياب الطبيعي لماء الخزان (الشكل 7).

تقنية انشاء المبنى

أقيم هذا البناء بتصميم وظيفة حفظ للماء، فقد استخدم المهندس بداية مكان قطع في الصخر/الحافة Ridge كقاعدة أو/نقطة ارتكاز لبناء السقف البرميلي، ويعتبر هذا المكان نقطة ربط أو تعشيق للسقف بالصخر الطبيعي لضمان ثبات المبنى أمام حركة المياه والحوادث الطبيعية، حيث استخدم هنا حجارة مستطيلة الشكل قياس (1,2×0,6×0,6م) تم إدخالها في طبقات الصخر وإحكامها بحجارة صغيرة لمنع حركتها Elongated Cut Stone Blocked with the Natural Rock Layers فأصبحت وظيفتها المعمارية ربط بناء العقد/السقف بالطبيعة/الصخر (الشكل 8)، لهذا لم نجد جداراً للخزان في هذه الجهة الجنوبية، وترك هذا الجانب كداعم طبيعي للمبنى بكامله (Natural Rock Support for the Building as Buttress).

نظام تصفية ماء

أقيم في نهاية الجدار الغربي من الجنوب شكل قوسين Twin Arch-Like Shape متصلين عند ارتفاع 50سم ينتهيان بحوض واحد نحت في الصخر. ويقعان في الطرف الجنوبي للجدار الغربي، وكأنهما مدخلان يعلو كلاً منهما قوس نصف دائري. وهنا يمكننا أن نرى واجهة الجدار المقطوع من الصخر/ خلف الجدار، والذي يصل هنا إلى ارتفاع الخزان،

أديب أبوشميس: اكتشاف خزان بيزنطي لجمع المياه في حسيبان

المياه كما في قصر القسطل وخزانات الموقر والبرك والسدود حولها.

وأخيرًا وبما أن الأردن الآن أمام واقع حضاري صعب لشح المياه والتغير المناخي، فيجدر أن يكون لهذا الاكتشاف وغيره مساهمة في حقول التنمية الزراعية والاجتماعية، وأن يصار إلى وضع هذا المكتشف أمام مراكز تخطيط الأراضي والمساحة ووسائل الاتصال الحديثة، لتعم المعرفة أمام أصحاب الأراضي وخاصة الزراعية منها، بدلاً من تحويلها إلى مبان وكتل إسمنتية خدماتية بعد أن كانت سلة إنتاج لعموم الناس والوطن.

أديب إسحق أبوشميس
باحث في مجال الآثار

المراجع

الشيبي، يوسف محمد

2005 تل حسيبان: دراسة المكتشفات الفترة المملوكية في ضوء الحفريات الأثرية. رسالة ماجستير، ص: 29-37.

Bibliography

- Abu Shmais, A.I. and Nabulsi, A.
2004 Rescue Excavation of an Early Bronze (EB-IV). Tomb at Abu Ridin/Na'ur Town. *ADAJ* 48: 147-154.
Abu Shmais, A.
2023 New Investigation on Thamudic E Inscription Discovered in Hesban 2001. *ADAJ* 61: 49-57.
Cross, F.M., Jr. and Geraty, L.T.
1994 The Ammonite Ostraca from Tell Hesban Pp. 169-175 in D.M. David; L.T. Geraty; R.S. Borass (eds.) *Hesban after 25 Years*. Berrien Springs, MI: Institute of Archaeology, Siegfried H. Horn Archaeological Museum.
Daviau, P.M.M.; Mulder-Hymans, N. and Foley, L. with a Contribution by Christopher, J. and Simpson, J.
2000 Report of Excavations at Khirbat al-Mudayna on Wadi ath-Thamad (1996-1999) The Nabataean Buildings. *ADAJ* 44: 271-282.
in press a *Nabataean in the Wadi ath-Thamad: Settlements Patterns and Water Management*. The First Conference on Nabataean Research and Studies, June 21-23, Petra, Jordan.
in press b *Survey and Excavation in Northern Moab*. 1st International Congress on the Archaeology of Ancient Near East, Rome, Italy. May 18-22, 1998.

تم ردم هذه البقايا الأثرية ربما في بدايات القرن الماضي لكي لا تصبح جزءاً من الموقع الأثري وزراعتها بالأشجار (Walker 2003).

نستعرض مراحل البقايا الحضارية

لقد تم إعادة مسح لمنطقة حسيبان عام 1974 من قبل فريق جامعة أندروز، وقدمت هذه الدراسة نتائج لاكتشافات أثرية جديدة (Ibach 1978b). كما قدم لابينانكا عام 1986 (LaBianca and Lacelle) أفضل مرجع لمراحل التطور الحضاري التنموي والغذائي فكانت هذه الدراسة أكبر دليل على التطور في عيش إنسان المنطقة وتواجده منذ العصر البرونزي، كما أظهرت هذه الدراسة أن العصر الحديدي تميز بانتعاش التجارة والزراعة باستخدام وسائل وتقنيات مميزة في حصاد الماء وما رافق ذلك من طرق تجارية

تلا هذا العصر الروماني كمرحلة ثانية لاستمرار النمو الحضاري، والذي تمثل أيضاً بطريق تراجان الجديدة (طريق بصرى أيلة) وعمارة المدن الرومانية وإقامة المزارع الإنتاجية Farmsteads وما رافق ذلك من اقتصاد وتقدم إضافة إلى إنشاء الطريق الفرعي إلى القدس حسيبان الرامة Ebus-Livias أريحا القدس. والمرحلة الثالثة كانت أثناء الحكم البيزنطي/الإسلامي، اكتشاف مجمع للإقامة بما في ذلك مصلى بيزنطي ريفي (Lawlor 1980)، أعيد استخدامه لاكتشاف أكثر من طبقة فسيفساء، يعزز هذا الكشف ما ورد في نقوش بعض هذه المصليات من أن إقامتها كانت لمباركة الأرض وزيادة إنتاجها، ومباركة من يرعاها من نساك ومزارعين.

الخاتمة

لقد كان لحضارة الأنباط دور أساسي في نظام الحصاد المائي، كما كان لهذا النظام استمرارية ووضوح في العصرين البيزنطي والإسلامي. شكل هذا التطور قاعدة أساسية للاقتصاد (مراكز الإنتاج والزراعة)، فقد استخدم إنسان هذه المنطقة تقنية تنتمي بجذورها لحضارة الشرق Levant وعراقها. وكشف كثير من هذه الأنظمة ضمن المجمعات الدينية في منطقة مادبا وما حولها. وعكست الاستقرار والتقدم، فقد أسس المسلمون أيضاً تقنية هامة في الري وجمع

- Heshbon Seminary Studies
 1969 Vol. VII: Pp: 137, 150, 225-228.
 1973 Vol. XI: Pp: 126-132.
 1976 Vol. XIV: Pp: 133, 143-149, 157.
 Ibach, R.D.Jr.
 1978b *Expanded Archaeological Survey of the Hesban Region*. Andrews University Seminary Studies 16.1: 201-214.
 LaBianca, O.S. and Lacelle, L.
 1986 *Studies of Climatological, Geological, Hydrological, and Physiological Conditions in Hesban and vicinity. Hesban 2* Berrien Springs, MI: Andrews University/Institute of Archaeology.
 1990 *Sedentarization and Nomadization Food System Cycles at Hesban and Vicinity in TransJordan Hesban 1*. Springs, MI: Andrews University/Institute of Archaeology.
 LaBianca, O.S. and Lawlor, J.
 1980 The Excavation of the Hesban North Church
 AD AJ 24: 95-105.
 Matthieu, R. and Michael, W.
 2009 Hisban Ostrakon Al. AD AJ 53: 127-138.
 Merling, D.
 1994 The "Pools of Hesban" As Discovered by the Hesbbon Expedition. Pp. 211-223 in D.M. David; L.T. Geraty and R.S. Borass (eds.) *Hesban after 25 Years*. Berrien Springs, MI: Institute of Archaeology, Siegfried H. Horn Archaeological Museum.
 Robert, D. and Ibach, Jr.
 1994 Two Roads Lead to Esbus. Pp. 65-79 in D.M. David; L.T. Geraty and R.S. Borass (eds.) *Hesban after 25 Years*. Berrien Springs, MI: Institute of Archaeology, Siegfried H. Horn Archaeological Museum.
 Walker, B. and LaBianca, O.S.
 2003 The Islamic Qusur of Tell Hesban. Preliminary Report on the 1998 and 2001 Seasons. AD AJ 47: 443-470.

صورة بلاد الشام في رحلة أوليا جلبي - سياحت نامة في المجلدين الثالث والتاسع - طريق الحج الشامي (1059-1081هـ/1649-1671م)

عبد القادر محمود الحصان

ملخص البحث

يعتبر هذا البحث في قسميه الأول والثاني بداية ومقدمة أولية لترجمة رحلة أولياء جلبي - سياحت نامة بمجلديها الثالث والتاسع المتعلقين بزيارة الرحالة العالمي العثماني التركي لبلاد الشام (سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين والحجاز) واللذين يعمل الباحث جاهداً لإخراجهما إلى حيز الوجود بعونه تعالى من اللغة التركية العثمانية إلى العربية وذلك لتسليط الضوء على هذه الرحلة التي لم تطرق أبوابها بشكل كامل بعد وخاصة في بلاد الشام أملاً أن يكون هذا البحث مقدمة موفقة لتسليط الضوء على الأوضاع المعيشة آنذاك بكل تفاصيلها من منظور تاريخي منهجي يعتمد الترجمة العلمية بكل صدق وأمانة دونما زيادة أو نقصان لتوفير مادة تاريخية، وجغرافية، واجتماعية، وسياحية، واقتصادية، وزراعية، وتجارية، بالإضافة إلى الأبعاد الدينية والأساطير والخرافات التي كان يتميز بها روح ذلك العصر وأهله.

كما ألفتُ إلى أنني اعتمدت في بحثي هذا طريقتين، الأولى تتمحور على القسم الثاني الذي يتعلق برحلة الحج الشامي من دمشق وحتى قلعة جغيمان (المدورة) كترجمة متكاملة بكل دقائقها وتفصيلاتها كما هي؛ لتسليط الضوء عليها من منظور تاريخي مترجم عن اللغة الأم لتكون مادة تاريخية على كافة الصعد، علماً أنها تتضمن البُعد الزراعي من خلال المساق دون تخصيص للإفادة من المادة المترجمة كاملة غير

منقوصة لأنها تطرق لأول مرة لأهميتها.

وفي القسم الثالث لجأت إلى أسلوب آخر انتقائي في اختيار الموقع والمادة التي تتعلق بالزراعة ومنتجاتها المتنوعة على سبيل المثال لا الحصر ليتسنى لي مستقبلاً استكمال هذا الجهد ولفت النظر إلى هذه الرحلة الهامة من تاريخنا العربي الإسلامي، وشموليته لذلك ضمن السياق العام دونما تخصيص إلا في القسم الثالث من محتواه كما أسلفت لأهمية الموضوع لدراسات بلاد الشام وتاريخها في العهد العثماني وخاصة طريق الحج الشامي عامة وفي الأردن خاصة «وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» صدق الله العظيم.

مقدمة

بادئ ذي بدء لابد للباحث أن يشير إلى ماهية سياحت نامة وكتابتها الرحالة الشهير أولياء جلبي والتي مرّ على كتابتها ما يقرب من أربعة قرون، والتي لم يطلع عليها الباحثون إلا ما ندر للأسف وذلك لعدم ترجمة تلك الرحلة إلى العربية بعد، فقد ولد الرحالة بتاريخ 1611م ويقال بأن سبب هذه الرحلات والجولات العالمية المتميزة والتي استمرت أكثر من أربعين سنة يعود إلى أن أولياء جلبي رأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة عاشوراء عام 1630 في منامه وقد أمسك بيده الكريمة به ومن شدة فرحه قال (سياحة يا رسول الله) بدل أن يقول (شفاعة يا رسول الله) ومن خلال ذلك فقد بشره الرسول الكريم

إلى فرقة الفرسان (السباهية) بعد تعيينه براتب أربعين أقة (درهم فضي).

توفي أوليا جلبي -رحمه الله- عام 1094هـ / 1682م. وقيل يحتمل أنه توفي عام 1096هـ / 1684م. كما إن تاريخ وفاته ومكانهما غير واضحين؛ غير أنه باستقراء المعلومات الأخيرة التي دونها في رحلته يمكن القول أنه توفي في إحدى هذين التاريخين المذكورين وذلك عن عمر يناهز السبعين عاماً (زكريا 1934: 8-14).

الأسلوب والمنهج المتبعان في سياحت (سياحة) نامه

- أسلوب الجذب وشد الانتباه من خلال الكثير من الروايات والأساطير المحلية والخرافية مع سلاسة في اللغة بل واستخدامه التركية العامية التي تشوبها بعض الأخطاء الإملائية والنحوية أحياناً.

- الاعتماد على الكتب والمراجع التاريخية العربية وعلى رأسها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك بعض كتب التاريخ مثل: الطبري والمقرئزي وغيرها ورغم ذلك كله فقد وقع في أخطاء تاريخية وحقائق علمية راسخة مثل ذكره أن حاتم الطائي من الصحابة وله مقام يزار قريباً من قلعة المفرق وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بفتح بصرى الشام والصنمين وهذا الأمر على سبيل المثال لا الحصر.

- ذكر وتوثيق الكثير من الحوادث التي عاشها ميدانياً بكل دقة وبتفصيل لا متناهٍ... مع كتابة التواريخ بكل أمانة وتوثيق الأسماء والشخصيات التي صادفها ورافقها أو سمع عنها.

- توثيق الذاكرة القومية لكافة المزارات والمقامات والمساجد والقلاع على طريق الحج الشامي بكل دقة وأمانة مع دقة متناهية في نقل أسماء القبائل والتقسيمات الإدارية والرتب العسكرية والنقود المالية والمأكولات والضرائب والمنتجات الزراعية وغيرها (صaban 2001: 62-93).

- الاهتمام بكثير من الأساطير والروايات الشعبية وما يسمى بالإسرائيليات التي تمثل روح ذلك العصر وربطها بالعديد من المقامات والأضرحة المنتشرة على امتداد البلاد التي زارها وخاصة في بلاد الشام.
- الاهتمام في نقل كافة المعلومات المعمارية للمناطق

بالشفاعة والسياحة على السواء، وقد علت همته وأبدع في منجزاته المادية والمعنوية التي لا تقدر بثمن للإنسانية جمعاء وللأمة العربية الإسلامية على وجه الخصوص.

وقد دون كافة مشاهداته في عشرة مجلدات بما يقرب من عشرة آلاف صفحة من القطع المتوسط باللغة التركية العثمانية (بالخط العربي)، وهو بذلك يعتبر من أغزر المؤلفين العثمانيين إنتاجاً وتنوعاً وبكل صدق وأمانة فقد كانت كتاباته وعاءاً حافظاً لكافة معارف وأحوال القرن السابع عشر تقريباً، وهذا الأمر أكسب كتاباته قدرة تسجيلية كبيرة نظراً لشغف وحب الرحالة بالتفاصيل الدقيقة والكبيرة على السواء وتمتعه بأسلوب الرواية والحكاية كأساس لهذا النمط من التأليف والتوثيق، كما أننا سنحلق سوياً معه من خلال رحلته الخالدة عبر التاريخ المحدد بالمكان والزمان... لتبقى الذاكرة القومية الإنسانية متقدة راسخة في الوجدان والعقول لنوصل سوياً حلقات الماضي والحاضر بالمستقبل المشرق رغم كل الإرهاصات التي نعيشها هذه الأيام لإعادة كتابة تاريخنا المجيد على أسس علمية خالصة بهمة الغيارى من أبناء الأمة المخلصين... ونعم أجر العاملين.

صورة بلاد الشام في رحلة أولياء جلبي (1059-1081هـ/1649-1671م)

نبذة عن حياته

أوليا جلبي ابن درويش محمد آغا ظلّي. واسمه الحقيقي غير معروف. غير أنه قيل أن اسمه حافظ محمد خواجا، (جذوره من القوقاز - بلاد الشركس). وهو من مواليد إستانبول عام 1020هـ/1611م. والده درويش محمد آغا كان مُعَمِّراً، حيث عاش أكثر من 117 سنة. درس أوليا جلبي سبع سنوات في مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندي، وعمل على حفظ القرآن الكريم على يد أستاذه أوليا محمد أفندي، والذي قيل أن اسمه انتقل إليه منه. وتعلّم من والده في هذه الأثناء حسن الخط وفن الحك إضافة إلى فنون أخرى.

وقد قُدِم أوليا جلبي إلى السلطان مراد الرابع (1032-1049هـ/1623-1639م) أثناء وجوده في مسجد آياصوفيا، فعينّه في مستودعات القصر السلطاني، حيث عمل فيه أربع سنوات انتقل على إثره

- نسخة خالص أفندي تحت الرقم (2750) المجلدات (1، 3، 4) وكذلك نسخة حميدية تحت الرقم (963) المجلد (10).
- نسخة مكتبة جامعة إستانبول تحت الرقم (2371) وتعود إلى عام (1170هـ/1756م) وكذلك المجلدان (1، 2) تحت الرقم (5939)، ونسخة أخرى تعود إلى عام (1155هـ/1742م)
- نسخة قسم تاريخ جامعة يلدر في إستانبول تحت الرقم (48) المجلد (10).
- دار المخطوطات العربية، والفارسية والتركية في فيينا - النمسا، المجلد الأول.
- مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية في لندن - بريطانيا، تحت الأرقام (22-23) المجلدات (1، 2، 3، 4).
- مكتبة جامعة مانشستر في بريطانيا، مجموعة لندسي تحت الرقم (142) المجلدان (3، 4). مجموعة أر. تشوري- باسل المجلدات (1، 2، 3) وكذلك ضمن مجموعة مينزل المجلدات (1، 2، 3، 4، 5).
- مكتبة التكية السليمية في أوسكار بإستانبول الشرقية، المجلدات العشرة كاملة.

النسخ المطبوعة في العهد العثماني من سياحت نامه بالحرف العربي العثماني

- مقتطفات من سياحت نامه تحت عنوان (منتخبات أوليا جلبي) في عام 1258هـ/1844م - إستانبول (150 صفحة).
- طبع للمرة الثانية في القاهرة عام 1262هـ/1848م تحت عنوان (منتخبات أوليا جلبي) أيضاً (143 صفحة).
- كما طبعت مقتطفات أخرى في إستانبول في عام 1308هـ/1890م (104 صفحات).
- كما قام أحمد جودت صاحب جريدة إقدام بطباعة ستة مجلدات (1-6) في مطبعته بمساعدة الكاتب نجيب عاصم وبمساعدة قراكون في المجلد السادس بين عامي (1314 و1318هـ/1896 و1900م) وقد كان عدد صفحات تلك المجلدات كالآتي: (707، 484، 539، 436، 608، 563 صفحة على التوالي).
- كما طبع المجلدان السابع والثامن من قبل مَجْمَع التاريخ التركي عام 1928م، تحقيق رفعت بلكه الكيليسي وقد طبعت في مطبعتي الدولة وأورخانية

- التي زارها في بلاد الشام وذكر قياساتها وأبعادها المعمارية بدقة بالإضافة إلى الأشرطة الكتابية التاريخية لكل منها مثل قلعة حلب، والمسجدين الأمويين في حلب ودمشق، ومسجدي الأقصى وخليل الرحمن وغيرها الكثير، زد على ذلك قلاع الحج الشامي الموجودة في الأردن والتي ترجم مادتها الباحث وكتب عنها كتابه الموسوم "القلع والخانات التركية العثمانية في الديار الأردنية".
- الاهتمام باللهجات واللغات المحلية لكل المناطق التي زارها وخاصة مناطق شرق تركيا ولهجاتها الكردية وكذلك اللغة العربية ولهجاتها في سوريا ولبنان وكذلك اللغتين السريانية والعبرانية (السامرية) في جبل نابلس بالإضافة إلى كتابة الآيات القرآنية الكريمة وتوثيقها حسب السورة والآية زد على ذلك رواية الشعر باللغتين العربية والتركية وأحياناً الكردية.
- ومن خلال مطالعات الباحث للنصوص الأصلية العثمانية والحديثة التركية يتضح لنا أن أوليا جلبي رحمه الله كان بصدد تنقيح وزيادة المناطق التي تركت فارغة بين قوسين للتأكد منها لاحقاً ولكنه للأسف لم يتمكن من ذلك لأسباب نجهلها داعين الله عز وجل أن تكون أعماله تلك في ميزان حسناته (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) صدق الله العظيم.

مخطوطات الرحلة - سياحت نامه وأماكن تواجدها

- ضُمَّنت سياحت نامه رحلة أوليا جلبي في عشرة مجلدات من القطع المتوسط مكتوبة بخط اليد ولها عدة نسخ مخطوطة في المكتبات التركية والعالمية وهي كالآتي:
- نسخة في مكتبة مللت بحي السلطان محمد الفاتح في إستانبول، ضمن مجموعة برتو باشا تحت الرقم (458-462).
- نسخة مكتبة جامع السليمانية في إستانبول، ضمن كتب بشير آغا تحت الرقم (448-462) تعود إلى عام (1158هـ/1745م).
- نسخة مكتبة قصر طوب قابي في إستانبول، ضمن مجموعة كتب قصر روان وقصر بغداد على التوالي تحت الأرقام (301-303) و(305-309).

- كما صدرت عام 2004م عن مطبعة قبالي في إستانبول طبعة جديدة موسعة من سياحت نامة - أوليا جلبي (الأشياء التي شاهدتها) من تأليف مصطفى نهاد أوزأون والتي كانت النصوص من مختاراته كما أسلفت سابقاً وبمشاركة نجات أوزأون، وعدد صفحاتها (828 صفحة).
- وقد تبنت إدارة العمل والإقراض الثقافي طباعة كافة المجلدات بدءاً من عام 1999م من قبل عدد من المحررين والكتاب مثل: سيد علي قهرمان، ويوجال داغلي، ود. دانكفون، و ز. قرشون حتى عام 2007م. وكانت تحت عنوان: (كتب أوليا جلبي) ضمن منشورات العمل والإقراض.
- كما أعادت نفس الجهة طباعة كافة المجلدات العشرة تحت عنوان: "بتركيتنا المعاصرة سياحت نامة أوليا جلبي" وذلك بين عامي 2003 و 2011م، ومن قبل الكاتبين سيد علي قهرمان ويوجال داغلي على هيئة عشرة مجلدات كل واحد منها مكون من كتابين بدءاً من إستانبول وحتى مصر والحبشة تحوي ما يقرب من عشرة آلاف صفحة (الحصان 2011).

أهم المراجع واللغات التي ترجمت إليها رحلة أوليا جلبي وذكرَت من خلالها

- اللغة الإنجليزية من قبل (لدن هاممر) وقد ترجم المجلدين الأول والثاني بين عامي 1834 و 1850م في لندن تحت عنوان " Narrative Of Travels in Europe and Africa. by Evliya Efendi".
- نشرت مقالة بالانجليزية في مجلة دائرة الآثار في فلسطين عن زيارة أوليا جلبي لنابلس عام 1671م بعنوان " Evliya Chelebies Travels in Palestine " (QDAP 1934).
- كتب الكاتب السوري أحمد وصفي زكريا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1351هـ/1932م عن رحلته وخاصة المجلد الثالث تحت عنوان "رحلة أوليا جلبي" المجلد الثاني عشر. وقد عرّب هذا المجلد وخاصة الجزء الخاص بسوريا بتصرف.
- دُكر في (التقويم السنوي لولاية سوريا) عام 1304هـ أثناء قدومه للشام مع مرتضى باشا عام 1058هـ.
- كما ترجم المجلد العاشر الخاص بمصر والسودان والحبشة في مصر عام 1950 ولم يتسن طباعته إلا

وقد كان عدد صفحاتهما (933 و 792 صفحة على التوالي).

النسخ التي طبعت في العهد الجمهوري التركي بالحرف الجديد (اللاتيني)

- طبع المجلد التاسع من قبل مجمع اللغة والتاريخ التركي عام 1935م في مطبعة مكتبة الدولة بإستانبول وكان عدد صفحاته (849 صفحة).
- طبع المجلد العاشر من قبل مجمع التاريخ التركي أيضاً عام 1938م وكان عدد صفحاته (1112 صفحة).
- كما قام مصطفى نهاد أوزأون بإصدار ثلاثة مجلدات تحت عنوان "لوحات من حياة القرن السابع عشر من سياحت نامة - أوليا جلبي" ما بين عامي 1944/1945 و 1976/1977 وكان عدد صفحاتها (426 و 180 و 845 صفحة على التوالي).
- كما أصدر لاحقاً عام 1986 تحت عنوان (الأشياء التي شاهدتها) سياحتنامة - أوليا جلبي- وقد طبعت في إستانبول بمكتبة الانقلاب عدد صفحاته (734 صفحة).
- كما أصدر سلاحدار محمد آغا دراسة تحت عنوان "حياة القصر في القرن السابع عشر - تاريخ سلاحدار" عام 1947م في مطبعة أقبأ بأنقرة وعدد صفحاته (256 صفحة).
- كما ألف الكاتب اليوناني (كسينوفون أناباسيس) كتاباً تحت عنوان "عشرات آلاف الرجاءات" ترجمة خير الدين أورش عام 1939م طبع بمطبعة رمزي للكتاب. وعدد صفحاته (293 صفحة).
- أصدر كل من تمل قوران ونجاتي أقتاش المجلدين الأول عام 1975م، والثاني عام 1976م (صابان 2001).
- الطبعة التي اعتنى بها ظهوري دانتشمان والتي صدرت من الدار التي سماها باسمه في إستانبول، وذلك عام 1970/1969م. وقد صدرت أيضاً في عشرة مجلدات.
- طبعة دار أوج دال بإستانبول، عام 1985م. وتقع أيضاً في عشرة أجزاء (ستة مجلدات).
- الطبعة التي اعتنى بها رشاد أكرم جوجو بإستانبول بين عامي 1943 و 1951م في خمسة مجلدات.

قديمًا وحديثًا على حد سواء وذلك للأمانة العلمية وحفظ حقوق الجميع على حد سواء "وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا" صدق الله العظيم.

محتويات رحلة أوليا جلبي في المجلدين "الثالث والتاسع" المجلد الثالث

خصصه لرحلته من الشام إلى صيدا عام (1059هـ/1649م)، والمواقع التي مر عليها، وفصل القول في التوجه إلى صيدا بمعينة عساكر ولاية الشام تحت قيادة مرتضى باشا لاستلام الأموال التي بقيت في ذمة أولاد معن (المعنيين) في لبنان، حيث كانوا يرفضون دفعها، فوصف مشاهداته أثناء الطريق وما صادفه فيها من الأمور الغريبة والعجيبة. وقد أشار إلى الجبال والوديان والأنهار والبلدات والقرى الواقعة على الطريق مع وصف عادات ومذاهب أهلها ووضعها الزراعي والتجاري.

ووصف المزارات المعروفة في المنطقة، والمدن الفلسطينية التي مر بها في التاريخ المذكور، مثل القدس و نابلس وصفد وعسقلان وغزة. ثم انتقل إلى الحديث عن رحلة العودة إلى الأناضول بعد مغادرة الشام عام (1059هـ/1649م) عن طريق الرها ومنها إلى قيصري وسيواس ثم توجه بعد ذلك إلى ديار بكر برفقة مرتضى باشا، لتحصيل بعض الأموال من حاكمها. ووصف في هذا الصدد المدن الشرقية من تركيا واستفاض في الحديث عنها.

ثم انتقل إلى الحديث عن طريق العودة إلى إستانبول عام (1060هـ/1650م) وقد نُصِب فيها ملك أحمد باشا صدرًا أعظم للدولة العثمانية في تلك الفترة. وقد تحدث أولياء جلبي عن أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الرابع، وركز على السياسة الإدارية والإقتصادية التي اتبعتها الصدر الأعظم الجديد، ثم أشار إلى عزله من هذا المنصب، والأسباب التي أدت إلى ذلك. ثم انتقل إلى الحديث عن مدن البلقان التي توجه إليها عام (1062هـ/1652م) وذلك بمعينة ملك أحمد باشا -المزال من الصدارة-، ووصف تلك المدن التي مر عليها، مثل فليبه وصوفيا، وذكر عدد أحيائها السكنية، ومحلاتها التجارية، وعدد الجوامع والمساجد فيها، وأشار إلى خصائص كل

عام 2010م. كما ذكرها د.مازن النجار في مقالته "أوليا جلبي ووصف مصر" وكذلك الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة (أثيوبيا) - الفصل الحادي والسبعون منها، عام 2008م (الحصان 2011).

• ذكر الباحث الفلسطيني إحسان النمر في الجزء الثاني من "تاريخ جبل نابلس والبقاء" الذي طبع عام 1380هـ/1961م في مطبعة النصر بنابلس، ص. 270-271، وكان الذكر حول سياحتنامة - أوليا جلبي وخاصة فيما يتعلق بجبل نابلس والمال الميري المجموع منه عام 1671م.

• ذكر الباحث مصطفى مراد الدبّاغ في موسوعته "بلادنا فلسطين"، ج 2، قسم 2 في الديار النابلسية ما ذكره أوليا جلبي عن جبل نابلس في الصفحتين 150 و 151.

• كتب الباحث د.سهيل صابان دراسة بالعربية تحت عنوان "أوليا جلبي ورحلته إلى الحجاز في أواخر القرن الحادي عشر الهجري" في مجلة الدارة - 34س 27 عام (1422هـ/2001م) ص. 62-93.

• كتب الباحث د.أنيس القيسي بحثًا مترجمًا إلى العربية تحت عنوان: "الرحالة التركي أوليا جلبي وكتابة سياحتنامة" في ثماني صفحات ذكر من خلالها معلومات مكثفة عن الرحلة والرحالة على السواء.

• كما كتب الباحث أ. د. عيسى ميمشي من قسم الدراسات الشرقية في جامعة بريشتينا/كوسوفا دراسة صغيرة من خمس صفحات تحت عنوان: "معطيات أوليا جلبي في "سياحتنامة" عن السنجق والجبل الأسود" باللغة العربية (الحصان 2011).

• وقد ترجمت الرحلة إلى عدة لغات تخص البلاد التي زارها الرحالة أوليا جلبي وخاصة إلى اللغات: الهنغارية، واليونانية، والروسية، وكذلك العربية التي يقوم الباحث جاهدًا كما أسلفت في المقدمة بترجمة المجلدين الثالث والتاسع بشكل متكامل وخاصة في ما يتعلق بالعراق وبلاد الشام (الأردن، وفلسطين، وسوريا، ولبنان) علمًا أن الباحث التركي سهيل صابان ترجم رحلة أوليا جلبي إلى بلاد الحجاز ترجمة جزئية. مؤكدًا على ضرورة انتباه القارئ الكريم إلى كافة المراجع والمصادر الرئيسية والفرعية التي استفاد منها الباحث وذكرها ضمن المساق المتعلق بالمخطوطات والكتب المترجمة

الاقتصادية والتجارية والزراعية فيها زد على ذلك استكمال منازل الحاج حتى مكة المكرمة واستكمال مناسك الحج الذي كان حلمه منذ نعومة أظفاره (الحصان 2011).

القسم الثاني

رحلة أوليا جلبي - المجلد التاسع - القسم الثاني
الصفحات 611-655 - منازل طريق الحج الشامي
في بلاد الشام¹

توضح هذه الرحلة المنازل التي مررنا بها أثناء الذهاب إلى الكعبة الشريفة من (الشام - راحة الجنة) بتاريخ (شوال 1081هـ/شباط 1671م) بعد المكوث خمسة عشر يومًا في الشام الشريف تسنى لي كتابة الخواص التي تتميز بها قدر الإمكان، ومن ثم بدأنا بالتحضير للذهاب في رحلة الحج راجين الله التسهيل. في تلك الأثناء عُين الشقيق الأصغر للمرحوم سياوش باشا حضرة وزير حسين باشا واليًا لولاية الشام وكان مسؤولاً عن كافة كل ما يتعلق بقافلة الحج الشامي في الذهاب والإياب إلى الكعبة المشرفة. لأن الأشقياء العربان في كل سنة كانوا يهاجمون قافلة الحج الشامي وينهبونها ويلحقون فيها ضررًا وظلمًا كبيرين وقد سمعت الدولة بذلك، ومن أجل ذلك كله اجتمع أصحاب الإقطاع والزعامات المحلية في سناجق ولاية الشام (1500 من الإنكشارية الشامية) وأغواتهم مع حسين باشا القائد المعظم وقد جُمع الآتي في: طرابلس الشام من قرا محمد باشا (40 صرة) ومن صيدا باشا حاجي إسحق باشا (40 صرة) وذلك من قبل خوجا بكر آغا حُصِّلَتْ، وسُلِّمَتْ إلى حسين باشا، ومن ثم وُزِّعَتْ على رجالات الباشا.

فبداية أعطي كل حسب الآتي: عشرون مسؤولاً من البوابين ثلاثمائة قرش، وخمسة جمال، وغُلام واحد، وسقّا مياه واحد وحامل مشاعل واحد أيضًا، ولعشرة أشخاص من أوائل القادمين الأغوات خمسون قرشًا لكل منهم، ولمائة عدد من المتفرقة أربعون قرشًا، كما أعطي لكل مائة مغامر ومائة متطوع

مدينة وأماكن التنزه فيها، ثم تحدث عن العودة إلى إستانبول في شهر شعبان عام (1063هـ/1652م) ثم مكوثه فيها ومغادرته إياها في شهر جمادى الأولى عام (1065هـ/1654م) متوجهًا إلى مدينة وان في شرق تركيا، وذلك بمعية الصدر الأعظم السابق ملك أحمد (صابان 20000).

المجلد التاسع

في هذا المجلد بقسميه الأول والبالغ عدد صفحاته (942 صفحة) يستكمل رحلته في المناطق التي لم يزرها من قبل في الأناضول الغربية والجنوبية بدءًا من كوناية ومانيسا وإزمير وأنتاليا وقهرمان وصولًا إلى أضنة وبعد أن يصف تلك المناطق بكل ما تحتويه من ملامح معمارية وحوادث تاريخية واجتماعية وأساطير شعبية وحتى تعدد اللهجات اللغوية المحلية في هذا المجلد يصل في رواياته إلى البلاد التي حنَّ إليها مطولًا منذ طفولته المبكرة؛ البلاد العربية، بدءًا من حلب الشهباء والشام الشريف والقدس الشريف وخليل الرحمن وجبل لبنان وصولًا إلى أهم الأحداث بالنسبة إليه وهي رحلة الحج إلى الديار المقدسة في مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة وذلك عام (1081هـ/1671م) برفقة أمير الحاج حضرة الوزير حسين باشا (صابان 2001: 8-9)، ويذكر من خلالها منازل الحج الشامي من بدايتها في منزل قصر أحمد باشا الصغير مرورًا بالكسوة والصنمين وزرعا ومزيريب وغيرها في سوريا مع إخبارنا عن أهم الأحداث والزيارات التي قام بها وأهمها اجتماعه مع شيوخ القبائل البدوية في مزيريب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المنازل اللاحقة والموجودة حاليًا في الحدود الأردنية وأولها (طرّا) القريبة من الرمثا وصولًا إلى قلعة المفرق والزرقاء والبلقا والقطرانة والكرك حتى آخر محطة للحاج الشامي في الديار الأردنية ألا وهي منزل قلعة قدرة جغيما والمسماة حاليًا بالمدورة على الحدود السعودية مباشرة.

كما يذكر في هذا المجلد وخاصة في القسم الثاني منه روايات وأساطير متنوعة ويذكر مقامات الأولياء الصالحين والأنبياء الكرام إضافة إلى ما يتعلق بالمدن من دمشق وحتى حلب مرورًا بمدن الساحل السورية واللبنانية وكذلك الفلسطينية مع ذكر كافة الأوضاع

1. يلفت الباحث إلى أن هذا الفصل كاملاً ترجم من النص التركي الأصلي بجهد الباحث نفسه من المجلد التاسع - القسم الثاني «سياحت نامه أوليا جلبي» للكاتيبين علي قهرمان ويوجال داغلي، 2006م - إستانبول.

وثلاث وجبات علف لحصاني الخاص، وكل صباح خمس وجبات فطور من الطعام المحضّر (الجاهز) (شطائر)، وواحدة من حلوة الكيك، بالإضافة إلى كل ما أُنْتَهِي من الطعام والشراب وكل ذلك أمر أن يُحْضَرَ إلى مقرّ خيمتي المزخرفة المزينة في مكان إقامتي ومنزلي.

بعد ذلك ويوم (20 شوال عام 1081هـ/2مارس 1671م) باسم الله تحرّكنا تحت قيادة أمير الحج الشامي حرموش باشا وبهذا العدد من جيش ولاية الشام والمقدر ب 5.120 جنديًا مسلحًا ومنظمًا تنظيمًا جيدًا بمعية عسكر الباشا بموكب مهيب وكبير خرج من رائحة الجنة الشام ولم أر جيشًا قط تفوح منه رائحة الورد كهذا الجيش، والذي خرج من الشام كموج البحر الهادر باتجاه القبلّة – الجنوب عبر البساتين والحدائق بساعة من الزمن.

منازل الحج الشامي في بلاد الشام (سوريا - القسم الأول)

• منزل قصر أحمد باشا الصغير

عندما رأى جواسيس (عيون) شيوخ البدو (العربان) هذا الموكب الكبير والمهيب أرسلوا إلى شيوخهم الآتي "ليس هنالك أي مقارنة هذه السنة مع الأعوام السابقة، لأن مظهر الجيش ومقدمته تشبه إلى حد كبير الأسد الهزبر الأصفر وهذا الوزير المقدم الشهم بسيفه القاطع يقطر دمًا ولن يكون هنالك أي أمان لأي عاصٍ متمرد في هذا الزمان ولن يُبْقَى أي شيء في طريقه فلذلك كله يجب عليكم أن تأتوا جميعًا مع عائلاتكم لتكونوا في خدمة السلطان" ولأجل ذلك ذهب الجواسيس (العيون) إلى كل الشيوخ وأبلغوهم بذلك.

وقد أتى عدد منهم في الحال إلى قصر أحمد باشا على خيولهم المسماة صافنات الجياد الأصيلة والتقوا مع الباشا وأخذوا نصيبهم من الخُلي الفاخرة وعادوا. يقع هذا القصر (أحمد باشا) وسط عدد كبير من الحدائق والبساتين، وهو قصر جميل حسن المظهر، وهو مكان استراحة لكل الوزراء. وقد بناه أحمد باشا الصغير الذي استشهد في الحلة في سنة (فتح بغداد). وفي هذا المكان يكون ديوان السلطان ويجتمع فيه كل من: جميع أعيان الشام والعلماء وأرباب الديوان

وعشرين من حملة الأعلام وما مجموعه ألفان من الرجال الأشداء الخيالة ما مقداره مائة قرش لكل منهم. وللهيئات خمسون قرشًا، ولأثنين من حملة أعلام التتار ومئتين من الرجال الشجعان المدججين بالسلاح لكل منهم مائة قرش، ولخمسين من السراجين، وخمسين من الطهاة وخمسين من متذوقي الطعام وخمسين من مسؤولي المؤونة ولخمسين أيضًا من مسؤولي الخيام (الخيامين- العكام) لكل هذه الأصناف أعطي خمسون قرشًا كل على حدة، بالإضافة إلى ثلاثين من العازفين لكل منهم خمسة أكياس من الصرة، زد على ذلك ألفًا من السفايين وثلاثمائة حامل مشاعل وثلاثمائة عكام وألف من الإبل ومثلهم من سائقيها وحماليتها ولكل هذه الأصناف أعطيت لهم عشرة قروش كلبية. بالإضافة إلى مائة نفر من الأغوات الداخلية أحسن إليهم بمائة قرش.

اختصارًا للقول فقد منح ما مجموعه 5,120 رجلًا ما مقداره 270 صرة (كيس) و صرف ما مقداره 300 كيس (صرة) للاحتياجات والمصاريف الأخرى.

في شهر شوال من يوم (...) انطلق موكب المحمل الشريف الخاص بحضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) باحتفال كبير عبر شوارع مدينة الشام يحيط به العديد من الحجاج المتجهزين للانطلاق بكل فرح وحبور. وكانت حكمة الله في ذلك اليوم لا توصف إذ دخل مجموعة من الحجاج الإيرانيين تقدر أعدادهم بألفي حاج من حدود أرضروم وديار بكر إلى الشام وأحضروا معهم الكثير من الهدايا والعطايا التي لا تقدر بثمن لسيدنا حسين باشا.

ومن خلالهم وأسيادهم فقد عين الباشا سيدًا لهم ليقف على خدمتهم وجمع ما مقداره عشرون ليرة ذهبية عن كل واحد من أغاواتهم وخمس عشرة ليرة ذهبية عن كل رجل منهم وذلك تطبيقًا لقانون السلطان لتحصيل الضرائب وقد كانت بحق خدمة كبيرة.

وفي ذلك اليوم أصدر الباشا قرارًا بصرف ما مقداره 200 ذهبية (حسنة) لخدمتي ومصاريفي الخاصة عبر الآتي: خمسة جمال، وجمّال (هجين)، وفرس أصيل، وخيمة واحدة، وخادم خيمة، وسقّا مياه، وحامل مشاعل، وخمسة خدم، ولكل من دُكر عشرة قروش يوميًا، وكذلك وجبتا طعام كل يوم،

لكنهما صغيران، وأثناء عودة الحجاج يأتون إلى هذه المحلة وفي يوم عاشوراء بالتحديد يخيمون فيها. ومن خلال شرط صاحب هذه الفنادق تُحصى وتطبخ مئات القدور من الطرخانة² والعاشوراء³ كوقف للحجاج وتوزع عليهم مجاناً، ولهذا السبب يطلق على هذين الفندقين اسم خان طرخانة. إنه بحق وقف كبير للخير. ومن هناك يسير الحجاج صعوداً ونزولاً على امتداد الطريق الذي عمل ولاية السلطان بجد ونشاط لتنظيفها وصيانتها ووضع الحجارة على جانبيها، وفي السابق كانت الجمال والخيول والبغال تغوص أقدامها بالتراب والطين والحجارة. وتنظيفها بهذا الشكل كان محيراً وخيراً ونسأل الله الباري أن ينظف صراطهم من الذنوب وأن يعبروا إلى جنات العلى بسلام آمنين وتكون من نصيبهم ومثواهم أجمعين ويعبر (الحجاج) من هذا الطريق النظيف بعشر ساعات.

• قلعة الصنمين

قلعة صغيرة مربعة الشكل قياسها (600) خطوة مبنية من الحجر الأسود، وتقع في أرض الشام تحت حكم حاكم حوران مباشرة في منطقة صحراوية على حافة بحيرة صغيرة. وليس فيها محافظ قلعة ولا جنود، ولكن بداخل هذه القلعة يقطن مجموعة من السكان العربان المحليين وعددهم خمسون شخصاً وهم وعائلاتهم مُعَفَّون من الضرائب المحلية.

هذه القلعة القديمة مدشنة منذ أيام الجاهلية، ويوجد من الجهة المطلّة على الشمال بوابة مصنوعة من الأشجار (الأخشاب)، وتقع البحيرة شرق القلعة وهي محاطة بأربعة جدران مبنية من الحجارة السوداء بشكل منيع وقوي. وفيها جامع واحد بمئذنة مستقيمة ومسجدان وحمام واحد وفندق (خان) كبير الحجم، كما لا يوجد فيها سوق. ولكن على جوانب الطريق يخرج أهل البلد بغنيها وفقيرها، رجالها ونسائها لعرض متاعهم وبيعه للحجاج العابرين.

كان في أعلى برج القلعة المطل على البحيرة أيام الجاهلية صنمان (تمثالان). وكان الناس يجتمعون بأعداد كبيرة تقدر بمائة ألف رجل وامرأة مقابل

بحضور الباشا ويُدور الجمل الذي يحمل المحمل الشريف بيد كتحذا الباشا ثلاث مرات ويسلم عقاله إلى يد الباشا، ومن ثم يقول الباشا لأمير الحاج: خذ وامض بمحمل حضرة النبي الشريف، فيقول أمير الحاج: "أخذته" ثم يسجل كاتب الشام الشرعي في السجل الرسمي فيكون قد أخذ الحجة الشرعية بيده.

وبعد الدعاء تندب القرايين وتوزع على الحضور من أهل الشام، وبعدها يعودون أدرجهم إلى الشام من حيث أتوا. وهناك خيم الحجاج ثلاثة أيام وسط كروم الزيتون وفي منتصف الليل نفخت الأبواق (نفير الرحيل) إيداً بالرحيل وفي الصباح الباكر يحضر الموكب ليسير مجدداً باتجاه القبلة، ويمر الحجاج في البلدة التي قامت والدّة السلطان سليمان خان بتنظيف طرقها وإعادة تعميرها مروراً في البلدة المعمورة وحدائقها ويقطعونها بأربع ساعات.

• منزل قرية الكسوة

تقع على طرف وادٍ صخري مليء بالحدائق والبساتين، وفيها مثلاً منزل مبني باللبن ومقصور بالطين وهي مسكونة بأهلها العرب، (...) أوقافه وفيها جامعان ومسجد وحمام وفندق، ومعظم أهلها كبيرهم وصغيرهم من مُحبّي الخير على طريق الحاج ويطعمون الحجاج ويقدمون لهم الأطعمة المتنوعة مثل الفطائر، والدجاج المشوي، ولحم الخروف، واللبن، والقشطة ولدوابهم الشعير والتبن. وهذه القرية متمدنة جداً وأهلها أغنياء جداً أيضاً ومعظمهم يعملون بنفليات الإبل والجمال على طريق الحج الشامي.

داخل هذه القرية يمر نهر الكسوة الجاري ويأتي من جهة الشام الغربية سابقة الذكر من جبل الثلج ومن عين القرفة يجري وماؤه صافٍ براق ويضيع في صحراء الشام.

ويشرب أهل الشام وأصحاب الذوات من الوزراء من هذه المياه بواسطة السقائين لأن ماءه عذب زلال. ويضرب المثل في الشام بكل من يَسْمُن وي زيد وزنه بأنه شرب من ماء الكسوة. وتمتاز مياه وأجواء هذه البلدة بالجودة والنقاء ويحبها كل القاطنين من السكان والمجاورين والزائرين. وهي مشهورة بذلك. وفي الجهة القبلية من البلدة وعلى منحدر بسيط تقع خان طرخانة على طرفي الطريق ويوجد فيها فندقان،

2. الطرخانة: طعام مصنوع من العجين واللبن مثل الشيش بورك (أذان الشايب).

3. عاشوراء: طعام مكون من القمح والعدس والحمص والزبيب.

السليمانية في شام شريف (دمشق). ومن هناك أيضاً باتجاه القبلة (...) في ساعة.

• قرية بُصرى الصغيرة

قرية مأهولة بالسكان وفيها ثلاثون منزلاً وجامعاً. وتبعد عن مدينة بُصرى الكبرى التي وصلها حضرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للتجارة من جهة القبلة على بُعد خمس ساعات وفي الجهة القبلية لبُصرى الصغرى (...) ساعة.

هذه نهاية القسم الأول من البحث ويتبع في العدد القادم إن شاء الله القسم الثاني لبقية الرحلة لأنها كبيرة وتزيد عن 55 صفحة.

عبد القادر محمود الحصان

alhousa@yahoo.com

المفرق - الأردن.

جامعة آل البيت - متحف سمرقند.

المراجع:

زكريا، أحمد وصفي

1934 جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، (1353هـ).

دمشق، دار الفكر.

صابان، سهيل

2001 أولياء جلبي ورحلته إلى الحجاز في أواخر القرن

الحادي عشر الهجري، مجلة الدرة 34، س 27

(1422هـ). ص. 62-93.

الحصان، عبد القادر

2011 تسليط الضوء على سياحت نامة - أوليا جلبي في بلاد

الشام، طريق الحج في الأردن، الندوة الدولية، صورة

العالم الإسلامي في سياحت نامة - أوليا جلبي، بلاد

الشام، ندوة عالمية، جامعة آل البيت، مركز دراسات

العالم الإسلامي، المفرق.

Stephan, st. H.

1936 Evliya Chelebies Travels in Palestine

QDAP Vol. VIII No. 4. Pp.137-140; Vol.

IX P. 88.

هذين الصنمين، وكان يسأل بعضهم بعضاً ويوجهون الأسئلة المطروحة لهما: "هل ستكون هذه السنة مَحَلًّا أم غلاّلاً؟، وهل سيقع وباء قاتل؟ وهل ستكون الأمطار غزيرة؟ أم هل سيحتل هذه البلاد الغزاة الأشقياء؟

ولأجل ذلك كله كانوا يتحدثون بمسائل الحياة المتعددة المختلفة مع بعضهم البعض. و"إذا بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي هذه السنة سيأخذ هذه الديار عنوة وسيقطع الخراج ويخرب (يدمر) الولاية؟" (هكذا) وفي السنة التي ذكروها عيّن حضرة النبي (هكذا) خالد بن الوليد قائداً لجيش مكون من ستين ألفاً من الجند، وفتح مدينة بُصرى القريبة من هذه المنطقة وبعدها فتح قلعة الصنمين ومن ثم كسّر الصنمين المنحوتين ورمى حجارتهما في البحيرة. وحتى الآن وعلى سواحل البحيرة يرى الناظر إليها شيئاً يشبه الصنم المصنوع من الرخام الأبيض. والآخر يظهر أنه غاص وغرق في أعماق البحيرة، ولهذا السبب سميت هذه القلعة بالصنمين. وفي معركة هذه القلعة استشهد عدد من الصحابة، وكان ممن عُرف منهم الشيخ علي عباسي والشيخ عبيدي طائفي، ولكل منهم مقبرة خاصة ومدفون فيها. وفي الجهة القبلية (الجنوبية) من القلعة يوجد جسر منخفض. له 19 عيلاً (قنطرة) صغيرة. ويجري أسفله نهر بُصرى. ويصب في الجهة الغربية في بحيرة مينا، ولأن أمطار الشتاء كانت غزيرة هذه السنة فالبحيرة ممتلئة بالمياه وطافحة إلى حدها الأعلى. وبعد العبور من الصنمين على مسافة ساعة باتجاه القبلة - جنوباً (...). (هكذا) في النص الأصلي كما هي باقي الفراغات المتروكة والمحددة بين قوسين).

• زرعاً

يوجد فيها 600 بيت جامع وفندق (خان) وهي قرية مأهولة ومعمورة. وهي تتبع وقفية جامع

ترجمة الأعلام والوظائف في نقش قلعة الأزرق الأيوبي

القسم الأول

عارف الدهيثم

المقدمة

تبعد منطقة الأزرق عن عمان 115 كم شرقاً، وتشرف على مدخل وادي السرحان الشمالي الغربي، وهو وادٍ عظيم قليل العمق يشق طريقه باتجاه الجنوب الشرقي حتى يدخل أراضي المملكة العربية السعودية، ونظراً لأهمية منطقة الأزرق فقد دُشِّن طريق ذيوكليتيانوس Strata Dioclitiana في العصر الروماني ليربط منطقة الأزرق ووادي السرحان ببصرى الشام وغيرها من المناطق.

لهذا الطريق عدة أفرع أمكن التعرف عليها من خلال أعمال المسح الأثري، فالأول يأتي من بصرى الشام باتجاه الأزرق عبر دير القن ودير الكهف والبشرية والقسطلية وغدير الملاح وصولاً إلى الأزرق (الحصان 1999: 346)، وهذا الطريق ذكرته الرحالة آن بلنت سنة 1878 أثناء رحلتها إلى نجد مع زوجها مروراً بمنطقة جنوب سوريا (بلنت 2007، 1: 87)، وهناك طريق "قادم من عمرة وعميرة باتجاه الحصينيات، القحاطي، الحلابات، الأزرق، وطريق آخر من القحاطي باتجاه الحبابيات والأزرق" (الحصان 1999: 346)، والطريق من الحلابات إلى الأزرق ذكره بتلر أثناء زيارته قصر الحلابات وحمام السراح بداية سنة 1905، حيث ذكر بأنه إلى الشرق من حمام السراح بحوالي ست ساعات توجد تلال المناسف ثم ثلاث ساعات باتجاه الجنوب توجد قلعة الأزرق (Butler et al. 1930, 1: 37)،

ويرى غوانمة أن الأزرق كانت تشكل الحد الشرقي لإمارة الكرك الأيوبية "وهي الإمارة التي أسسها الملك الناصر داود¹ بن المعظم عيسى، وكان يتجسد فيها الكيان الأردني الحالي أو النطاق السياسي والحدود التي تشغلها حالياً المملكة الأردنية الهاشمية، وتشكل هذه المنطقة قطاعاً جغرافياً طويلاً، فهي تمتد من "نهر اليرموك شمالاً إلى معان وخليج العقبة جنوباً، ومن الأزرق وبابير والجفر شرقاً إلى نهر الأردن والبحر الميت ووادي عربة غرباً" (غوانمة 2015: 26)، ويرى الدكتور محمد عدنان البخيت أن الخط الواصل ما بين بركة زيزيا والأزرق كانت تشكل الحد الشمالي لمملكة الكرك في العصر المملوكي، بينما الحد الشرقي لهذه المملكة يمتد ما بين الأزرق وبلدة الغلا² (البخيت 2009: 25).

وقد لعبت الأزرق دوراً تجارياً مهماً خلال فترة الحروب الصليبية، حيث كانت القوافل التي تسير من الشام إلى مصر وبالعكس عبر الطريق الشرقي (طريق البرية) والذي يمر بالأزرق والجفر — وهي واحات عامرة بالماء والعشب — ثم أيلة فصدر³

1. الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن العادل، وُلد بدمشق سنة 603 هـ، استلم حكم دمشق بعد وفاة والده حتى سنة 626 هـ ثم حكم الكرك بعد خروجه من دمشق، توفي سنة 656 هـ (الذهبي 1996، 23: 376-381).

2. الغلا: بضم أوله والقصر وهو جمع الغليا، وهو اسم لموضع من ناحية وادي القُرى بينها وبين الشام (الحموي 4: 163).

3. صدر: قلعة خراب بين القاهرة وأيلة (الحموي 3: 450).

القلاع والقصور والحمامات وغيرها من المواقع إلا أنه لم يذكر وجود قلعة أو قصر في الأزرق، ويعود السبب في ذلك أن ياقوت توفي قبل إعادة بناء القلعة بحوالي ثماني سنوات، ونقل البغدادي عن الحموي نفس الوصف "الأزرق: بلفظ اللون، والأزرق: ماء في طريق حاج الشام دون تيماء" (البغدادي 1992، 1: 65).

4- عند حديث ابن الجوزي والنويري عن الخلافات بين ملوك بني أيوب في أحداث سنة 639 هـ فإنهما يذكران الأزرق من محطات الطريق إلى بغداد حيث "أقام الجواد⁶ عند الناصر داود (بالكرك)، فتخيل منه، فاعتقله وبعث به إلى بغداد في البرية تحت الحوطة، فنزل قريباً من الأزرق، فعرفه بطن من العرب فأطلقوه فعاد إلى دمشق" (ابن الجوزي 2013، 22: 373، النويري، 29: 161).

5- ذكر أبو شامة عن حوادث سنة 558 هـ أن الوزير المصري شاور⁷ وصل إلى نور الدين زنكي⁸ في الشام يطلب منه مساعدته للعودة إلى منصب الوزارة في مصر بعد أن أخذت منه، وفي سنة 559 هـ سار أسد الدين شيركوه⁹ بعساكره إلى مصر مروراً بالأزرق "فطلب منه إرسال العساكر إلى مصر ليعود إليها... ونور الدين يقدم في ذلك رجلاً ويؤخر أخرى... وتارة يمنعه خطر الطريق وكون الفرنج فيه إلا أن يوغلوا في البر، فيتعرضوا لخطر آخر مع الخوف من الفرنج

6. الملك الجواد: يونس (مظفر الدين) بن مودود (شمس الدين) ابن الملك العادل بن أيوب وهو أحد ملوك الدولة الأيوبية، حكم دمشق سنة 635 هـ بعد وفاة الملك الكامل بن العادل وتوفي سنة 641 هـ (الزركلي 2002، 8: 263).

7. أبوشجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مغيث بن حبيب ابن الحارث بن ربيعة بن أبي ذؤيب عبدالله، وهو وزير الخليفة الفاطمي في مصر، تولى الوزارة في مصر سنة 558 هـ وقُتل سنة 564 هـ (ابن خلكان 2: 439-443).

8. الملك العادل نور الدين محمود ابن الأتابك قسيم الدولة، صاحب الشام، وُلد سنة 521 هـ، يرجع إليه الفضل في القضاء على الدولة الفاطمية في مصر وعودة الخلافة العباسية إليها، وهو من المجاهدين الأوائل ضد الصليبيين، توفي سنة 569 هـ (الذهبي 1996، 20: 531-534).

9. أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين، عم صلاح الدين الأيوبي (ابن خلكان 2: 477-481).

فالقاهرة، حيث كان يُخشى عليها من خطر اعتراض الصليبيين في كل من الكرك والشوبك، ولهذا كان يفضل المرور من الطريق البعيد عند حافة الصحراء، أما القوافل العسكرية فكانت لا تخشى المرور بالقرب من تحصينات الفرنج في جنوب الأردن معتمدة في ذلك على قوتها الذاتية (غوانمة 1980: 342).

ذكر الأزرق عند المؤرخين والرحالة

ورد ذكر الأزرق عند عدد من المؤرخين العرب والمسلمين منهم:

1- ذكر الطبري أن الخليفة هشام بن عبد الملك كان على خلاف مع الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأن الأخير نزل منطقة الأزرق قبل خلافته "وكان هشام يعيب الوليد ويتنقصه، وكثر عيبه به وبأصحابه وتقصيره به، فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق، بين أرض بلقين وفزارة على ماء يُقال له الأغدف⁴" (الطبري، 7: 211).

2- ذكر ابن الأثير عن أحداث سنة 125 هـ "وكان هشام يعيب الوليد ويتنقصه ويصر به فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق على ماء له بالأردن... فلم يزل الوليد مقيماً بتلك البرية حتى مات هشام" (ابن الأثير 1987، 4: 468)، ثم ذكر من أحداث 126 هـ أن الوليد "بالأغدف من عمان" (ابن الأثير 1987، 4: 483).

3- ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان "الأزرق: بلفظ الأزرق من الألوان، والأزرق: ماء في طريق حاج الشام دون تيماء⁵" (الحموي، 1: 200)، وهذا الوصف يؤكد أن أصل التسمية بسبب وفرة المياه وزرقتها، كما أنه يدل على وجود طريق للحاج الشامي يمر عبر الأزرق، وعلى الرغم من أن الحموي ذكر الكثير من

4. الغدق هو وادٍ كبير يصب في قاع الأزرق ويمر إلى الغرب من قصر الطوبة، ويوجد في تقسيمات دائرة الأراضي والمساحة قرية تحمل اسم "موقع الغدق" وتحمل الرقم 1319، وحوض باسم "حوض الغدق" ويحمل الرقم 1، حيث يوجد قصر الطوبة الأموي في هذا الحوض.

5. تيماء: بالفتح والمد، بُليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى (الحموي 2: 78).

على بُصرى ومنها إلى الأزرق ومنه إلى الجفر إلى أيلة إلى صدر، ووصل معه خلق كثير من التجار والرجال والنساء والأطفال" (أبو شامة 2002، 3: 14).

8- وذكر أبو شامة الأزرق عند الحديث عن رحيل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 578 هـ من مصر إلى الشام "وبعد خمس ليالٍ وصل عقبة أيلة، وهناك سمع باجتماع الكفار بالكرك لقصد قطع الطريق، فاحترز بحفظ الأطراف وجاز بحسمى¹² ثم عقبة شتار¹³ ثم القريتين وأغار في تلك الأيام على أطراف بلاد العدو ثم تجرد السلطان في كمامته وسلك بهم سمت الكرك إلى الحسا وأمر أخاه تاج الملوك بوري¹⁴ على الناس وأمره أن يسير بهم يمينا منه ثم اجتمعوا بالسلطان بالأزرق بعد أسبوع" (أبو شامة 2002، 3: 70)، ونفس القصة يذكرها ابن واصل في مفرج الكروب (ابن واصل، 2: 114).

9- ذكر المغربي المتوفي سنة 673 هـ قلعة الأزرق بشكل واضح بأنها حصن "الأزرق وهو حصن بناه معظم¹⁵ على طرف البرية التي فيها الطريق إلى الحجاز، وعلى اليمين طريق الغلا وتبوك¹⁶ وعلى اليسار طريق تيماء، وفي شمالي الأزرق بصرى قاعدة حوران، على أربع مراحل من دمشق" (المغربي 1958: 85)، وكلام المغربي يشير إلى القلعة نفسها، حيث أنه توفي بعد إعادة بناء القلعة بحوالي 39 عامًا، بينما كلام الحموي عن الأزرق كمنطقة جغرافية تكثر فيها المياه ولم

أيضًا، ثم استخار الله وأمر أسد الدين بالتجهز للمسير معه... وكان هوى أسد الدين في ذلك... فتجهز وسار مع شاور في جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين (559 هـ)... وساروا جميعًا وسار معهم نور الدين إلى أطراف بلاد الشام مما يلي الفرنج بعساكره ليشغلهم عن التعرض لأسد الدين" (أبو شامة 2002، 1: 356-357)، حيث "سلك بقواته الطريق المؤدية إلى مصر على حافة الصحراء عابرًا الأردن من الشمال إلى الجنوب مرورًا بالأزرق والجفر ومعان ثم أيلة ومنها إلى صدر فالسويس والبركة ثم إلى القاهرة" (غوانمة 1980: 85).

6- ذكر أبو شامة أنَّ أسد الدين شيركوه سار إلى مصر للمرة الثانية برفقة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي بتوجيه من السلطان نور الدين زنكي سنة 562 هـ "فلما كان هذه السنة تجهز وسار إليها، وسيّر نور الدين معه جماعة من الأمراء وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب... ثم أن أسد الدين جدّ في السير على البرّ وترك بلاد الإفرنج عن يمينه فوصل إلى الديار المصرية" (أبو شامة 2002، 2: 7)، ويؤكد ذلك ابن واصل أيضًا "ثم سار أسد الدين رحمه الله إلى الديار المصرية وترك بلاد الفرنج عن يمينه فوصل الديار المصرية" (ابن واصل، 1: 149)، وهذا يعني أنه مرّ بالأزرق أو بالقرب منها للمرة الثانية.

7- ذكر الأصفهاني الأزرق عند مرور شمس الدولة تورانشاه¹⁰ بها سنة 574 هـ متوجهًا من الشام إلى مصر "وركبنا وودعناه عند ركوبه في مرج الصُفّر¹¹ وسألنا الله أن ينجده في السّفر بالظفر، وكان رحيله من بصرى يوم الثلاثاء... الثامن والعشرين من الشّهر (ذي القعدة 574 هـ) ومنه إلى الأزرق ومنه إلى الجفر ويرد إرم وأيلة ويصدر إلى صدر" (الأصفهاني، 3: 154، 155)، وينقل عنه أبو شامة نفس الحادثة "ومرّ

12. حسمى: أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربهم (الحموي 2: 298).

13. شتار: نَقَب شِتَار: نَقَب في جبل من جبال السراة بين أرض البلقاء والمدينة على شرقي طريق الحاج يفضي إلى أرض واسعة معشبة يشرف عليها جبال فاران وهي في قبلي الكرك. (الحموي 3: 368).

14. تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان، أخو صلاح الدين وهو أصغر أبناء أبيه، وُلد سنة 556 هـ وتوفي سنة 579 هـ (ابن خلكان 1: 291-292).

15. وقع المغربي ومن بعده أبو الفداء في نسب قلعة الأزرق إلى معظم عيسى كما يظهر على نقش القلعة.

16. تبوك: بالفتح ثم الضم وواو ساكنة، موضع بين وادي الفُرى والشام، بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام (الحموي 2: 17).

10. الملك معظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب صاحب اليمن، أخو صلاح الدين الأيوبي وهو أكبر سناً منه، توفي سنة 576 هـ (الذهبي 1996، 21: 53).

11. مرج الصُفّر: بالضم وتشديد الفاء، منطقة بدمشق (الحموي 5: 118).

والأزرق والسلط ووادي موسى... وبالغور
الزرقاء والأزرق والجفار والتيه²¹ وزغر²²
(شيخ الربوة 1865: 213).

13- ذكر سيلاه ميرل الأزرق أثناء زيارته لقلعة
الزرقاء (قصر شبيب) سنة 1876 "خلال
وجودنا في قلعة الزرقاء ومحادثتنا مع
الأشخاص هناك، فقد حاولت معرفة شيء ما
عن شرق البلاد، فقالوا إن العرب الذين يذهبون
إلى شرق البلاد يأخذون معهم مؤونة ثلاثة أيام
من الماء، ويوجد هناك قلعة ومستنقعات كبيرة
ونهر يتدفق باتجاه الشرق، وسألت عن المسافة
إلى صلخد وأم الجمال وبصرى من المكان الذي
تحدثوا عنه، إلا أنهم أجابوا جميعهم بأن قلعة
الزرقاء كانت هي المكان الأقرب من أية نقطة
من النقاط التي ذكرتها، وقال أحد الرجال بأن
القلعة هناك مثل قلعة الزرقاء، وقال آخر أنه
يوجد هناك ماء دائماً كما يوجد مستنقع كبير
وطيور مائية، ويوجد هناك نهر الأزرق وجسر
الأزرق، وقال رجل كبير السن جاء إلى القلعة
عندما كنا نحتسي قهوتنا، أنه قد جاء مرة من
المكان الذي كنا نتحدث إلى قلعة الزرقاء في
خلال يوم واحد، وقد قام برحلته منذ الصباح
الباكر ووصل إلى هنا في وقت متأخر من الليل"
(ميرل 2010: 396، 397).

14- ذكرت أن بلنت أن زوجها وولفريد وأثناء
إقامتهما في مزيريب جنوب سوريا سنة 1878
كان مُصرّاً على استكشاف وادي السرحان الذي
لم يحدث أن وصفه أحد من الأوروبيين من
قبل، كما يُصرُّ وولفريد على الذهاب أولاً إلى
الأزرق، وتذكر وجود طريق يمتد على شكل
مستقيم من صلخد باتجاه الجنوب الشرقي باتجاه
الأزرق (بلنت 2007، 1: 87)، كما تذكر بأن
الأزرق هي أول المحطات من جنوب سوريا
باتجاه وادي السرحان "والأزرق هذه أول

يذكر القلعة لأنه توفي قبل إعادة بنائها على يد عز
الدين أبيك.

10- نقل أبو الفداء كلام المغربي "وفي ذلك الخط
الجنوبي الأزرق، وهو حصن بناه الملك
المعظم على طرف البرية التي فيها الطريق إلى
الحجاز، وعلى اليمين طريق العُلا وتبوك وعلى
اليسار طريق تيماء وخيبر¹⁷، وبصرى تقع عن
الأزرق في جهة الشمال" (أبو الفداء، تقويم
البلدان: 229)، ويفهم من كلام المغربي وأبي
الفداء أن قلعة الأزرق على مفترق طريقين،
الأول باتجاه العُلا وتبوك والثاني باتجاه تيماء
وخبيبر.

11- ذكر العمري الأزرق بشكل غير مباشر عند
حديثه عن طريق الحج الشامي أن "الركب يخرج
من دمشق ويسير في التوجه إلى زرع¹⁸ على
بصرى على زيزاء على الكرك على معان على
عقبة الصوان على تبوك..." (العمري 2010،
2: 300)، ولكنه يؤكد وجود طريق آخر أقصر
من الطريق الأولى "وللحجاج طريق أخرى
أقصر من هذه، كان الطريق عليها قديماً وهو
على صرخد¹⁹ على تيماء إلى المدينة الشريفة،
وهي أقرب من هذا بنحو خمسة 20 أيام" (العمري
2010، 2: 301، الجزيري 2002، 2: 45)،
وهذا الطريق الأقصر كان يمر بالأزرق، حيث
يربط ياقوت الحموي تيماء بطريق الحج "وتيماء
بُلَيْد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى
على طريق حاج الشام ودمشق" (الحموي، 2:
78) وهذه إشارة إلى وجود طريق للحج الشامي
يمر بالأزرق ثم إلى تيماء، والتي أكدها المغربي
وأبو الفداء عند ربطهما بين الأزرق وتيماء.

12- ذكر شيخ الربوة في حديثه عن الكرك في العصر
المملوكي "ومن جند الكرك اللجون والحسا

17. خيبر: ناحية على ثمانية بُرْد من المدينة لمن يريد الشام (الحموي
2: 468).

18. زرع: قاعدة من قواعد حوران، بينها وبين صرخد مسيرة يوم
(أبو الفداء، تقويم البلدان: 259).

19. صرخد: بالفتح ثم السكون، والخاء معجمة، والدال مهملة: بلد
ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة
وولاية حسنة واسعة (الحموي 3: 455).

20. ستة أيام عند (الجزيري 2002، 2: 45).

21. التيه: الموضع الذي ظلّ فيه موسى بن عمران عليه السلام
وقومه، وهي أرض بين أيلة (العقبة) ومصر وبحر القلزم
(الأحمر) وجبال السراة (الحموي 2: 81).

22. زغر: قرية بمشارف الشام، بينها وبين القدس ثلاثة أيام
(الحموي 3: 161).

مرأى من القصر إلا مدة تناول الغداء ثم انطلقنا فوراً، إذ لا تقترب المجموعات القليلة العدد كمجموعتنا عادة إلى هذا الحد من هذا المكان الذي اشتهر بأسوأ سمعة، فاللصوص يرتادون باستمرار القصر الأزرق بصفته نقطة عبور" (هوبير 2003: 18).

18- الرحالة البريطاني آرثيبيولد فوردر الذي زار منطقة الجوف مروراً بمنطقة الأزرق عام 1900، يصف إحدى القوافل التجارية التي مرّت بالأزرق "ثم قدمت المجموعة الأولى من القافلة الضخمة المكونة من حوالي أربع مائة جمل، تلتها المجموعة الثانية، فالثالثة، ثم الأخيرة، كانت كل واحدة من هذه المجموعات تحت حراسة حوالي خمسين فارساً مسلحين برماح طويلة وبنادق وسيوف وطبنجات، وكانت القافلة مؤلفة من ستمائة جمل، وكان من المقدّر لرحلتنا أن تستغرق أربعة أيام ونصف للوصول إلى كاف²³، كان يتوجب علينا قطع المسافة على مراحل، حيث أن الجمال التي كانت محملة بالقمح والشعير لمقايستها بالملح والتمور لم تكن قادرة على قطع مسافات طويلة دون استراحة، وكانت القوافل تتعرض للنهب من قبل بعض الأعراب، باستطلاعي للمنطقة المحيطة لمحت على تلة مشرفة على مكان وجودنا مجموعة من الرجال على صهوات الجياد -كانوا حوالي عشرة رجال- هبّ عدد من رجالنا إلى صهوات جيادهم وكرّوا باتجاههم كالليوث الهائجة، فما كان من الدخلاء الجدد إلا أن لووا أعناق جيادهم ثم ولّوا الأدبار مبتعدين عن المكان، بالرغم من انطلاقهم بأقصى سرعة ممكنة، فقد عمد رجالنا إلى إطلاق نيران بنادقهم باتجاه المطلوبين فأصابوا واحداً منهم في ذراعه، ممّا حمله على إلقاء رمحه" (فوردر 2011: 183-185)، وهذا الوصف يؤكد أن التجارة ظلت مستمرة خلال الفترة العثمانية مروراً بالأزرق ولكن مع

مرحلة على طريق سفرنا من هنا، والأزرق فيها آبار وقلعة قديمة" (بلنت 2007، 1: 92)، ثم تذكر "كان مسارنا يتجه جنوباً على الطريق المؤدية إلى الأزرق" (بلنت 2007، 1: 96)، ولكنها لم تزر الأزرق بل غيرت مسارها باتجاه وادي راجل.

15- ذكرت الرحالة البريطانية جيرتروود بيل أثناء رحلتها من القدس إلى حلب سنة 1905 قلعة الأزرق "وعلى خط مستقيم جنوب صلخد توجد قلعة متهدمة رائعة هي قلعة الأزرق في واحة توجد فيها أجمات مليئة بالخنازير البرية" (بيل 2013: 134).

16- ذكر الرحالة الفنلندي جورج أوغست والن الذي زار منطقة الجوف عام 1845 بأن الأزرق محطة من محطات الطريق بين الجوف ودمشق حيث يذكر أنه "في الطريق من الجوف إلى دمشق توجد الآبار أو مواضع المياه التالية كما حددها لي أهل الجوف، وهذه المواضع هي: نبك (في وادي السرحان وعلى مسافة يوم واحد من الجوف)، مغيرة، غراب، قراق، الهزيم، الأزرق، بصرى، حريرة، رزدالي على طريق الحج، العوبج، دمشق" (البادي 2002: 40).

17- الرحالة الفرنسي تشارلز هوبر الذي زار منطقة الجوف ووادي السرحان عام 1878 ومرّ بالقرب من القلعة "في صبيحة 16 مايو (أيّار) خيمنا على بعد ثلاث كيلومترات شمال شرق القصر الأزرق وللأسف لم أستطع الاقتراب منه أكثر من ذلك لأن جميع الأراضي المحيطة بالقصر المبني في منخفض كانت لا تزال موحلة بسبب أمطار الشتاء، ومن بعيد رأيته عبارة عن برج مربع مبني من الحجر المنحوت، معزول تماماً وقد بدت لي أعاليه أطلالاً، من المرجح أن القصر قائم منذ أقدم العصور ولا بد أنه كان إحدى محطات الطريق المؤدية إلى وسط الجزيرة العربية عبر دومة الجندل" (هوبير 2003: 18).

ويضيف "المكان مثير للاهتمام، فمن هنا يبدأ وادي السرحان الممتد جنوباً حتى آبار جراوي على مسافة يومين من الجوف... لم نتوقف على

23. كاف: إحدى قرى محافظة القريات شمال غرب المملكة العربية السعودية، وهي قرية كبيرة تتكون من جزأين يفصل بينهما بساتين النخيل، وكانت من مناطق استخراج الملح الخشن الذي يُصدّر إلى الشام عبر ما يُعرف بطريق الملح وتعرف بكثرة المياه فيها (فوردر 2011: 189).

الزرقاء القائمة فوق أكمة صخرية عالية ومن حولها في الأسفل بساتين النخيل ونباتات المياه العذبة الرقراقة والمروج الخضراء" (لورنس 1963: 302).

نقش قلعة الأزرق

لقد حظيت قلعة الأزرق باهتمام الأيوبيين خلال فترة الحروب الصليبية، حيث أنها تقع على رأس وادي السرحان وهو الوادي الذي يحتضن طريق القوافل الداخلي (طريق وادي السرحان)، وتحيط بالقلعة واحة غنية بالماء وأشجار النخيل، وتوفر المياه العذبة كان من أسباب إقامة القلعة في هذه المنطقة (هاردنغ 1965: 155)، وهي قلعة مربعة الشكل تقريباً (79×72م) (الشكل 1).

بُنيت من الحجارة البازلتية، تاريخ بنائها غير واضح بشكل دقيق، ويمكن أن تكون مرت بعدة مراحل بناء وترميم وإصلاح، حيث توجد كتابة باللاتينية واليونانية على مذبح هيكل تشير أن القلعة كُرسَت على اسمي الإمبراطور ذيوكلتيانوس والإمبراطور مكسميانوس ويعود لحوالي 300م، وهناك كتابة أخرى تحمل اسم الإمبراطور جوفيان 363م، ومن المحتمل أن هذا الإمبراطور رمم القلعة أو أصلحها (هاردنغ 1965: 155، 156)، وتضم القلعة من الداخل إسطبلات خيل وعدة غرف وساحة داخلية واسعة، ومسجداً صغيراً من الفترة الأيوبية، وقد بُنيت عدة أبراج مربعة الشكل في الزوايا الأربعة مع وجود أبراج مربعة أخرى في كل من الجدار الغربي والشمالي والشرقي، أما الجدار الجنوبي فيوجد فيه المدخل الرئيسي الذي بني أو رُمِم في فترة حكم الأمير عز الدين أبيك المعظمي أمير صرخد في الفترة الأيوبية وتحديداً خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري (الشكل 2)، وقد ثبت ذلك من خلال نقش على حجر بازلي فوق مدخل القلعة من الجهة الجنوبية يتكون من أربعة أسطر يذكر فيه (الشكل 3):

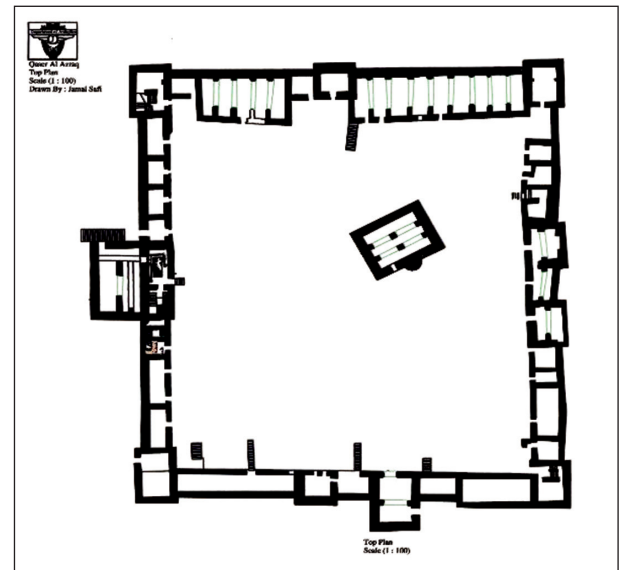
بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا القصر المبارك الفقير إلى الله عز الدين أبيك أستاذ دار الملك المعظم بولاية علي بن الحاجب وعلي بن قرجلة في سنة أربع وثلاثين وستمائة

غياب التواجد الرسمي للسلطات العثمانية والذي نتج عنه كثرة قطاع الطريق وقيام التجار بحماية قوافلهم بأنفسهم.

19- الرحالة التشيكي موزيل الذي زار قلعة الأزرق عام 1909 أثناء رحلته من الجزيرة العربية إلى دمشق وقال عنها "تقع أطلال قلعة الأزرق العتيقة عند حافة جبل بركاني ومستنقع واسع، وكان وصولنا إليها بعيد الفجر" (موزيل 2010: 269).

20- الرحالة البريطانية جيرتروود بيل زارت قلعة الأزرق ووثقت هذه الزيارة برسالتها المؤرخة بتاريخ 31 كانون الأول 1913 حيث تقول "كان مخيمنا جميلاً بجانب بعض الينابيع -يا للفرح بوجود الماء النظيف- انتقلنا هذا الصباح إلى قصر الأزرق الذي يقع بين أشجار النخيل ويحيط به عدد كبير من الينابيع... جلسنا تحت شجرات النخيل... أظن أنني وجدت كتابة جديدة إغريقية، عليّ أن أخذ نسخة منها غداً" (بيل، رسائل جيرتروود بيل: 301، 302).

21- لورنس زار قلعة الأزرق عام 1917 وأقام فيها مع قوات الثورة العربية "لم يكن الشريف علي قد رأى الأزرق قبلاً، فتسلقنا القمة المحجورة... ثم حَمَلْنَا الخيال إلى التحدث عن الجحافل الرومانية التي زرعت هذه الأماكن في سالف الزمان، وفجأة من على القمة بدت لناظرنا القلعة



1. مخطط قلعة الأزرق.

عارف الدهيثم: ترجمة الأعلام والوظائف في نقش قلعة الأزرق الأيوبي

وقد اعتمدت على ذكر الأحداث بالتاريخ الهجري مع ذكر قاعدة تحويل التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي على النحو الآتي:
السنة الميلادية = (التاريخ الهجري × 0,97) + 622

الدولة الأيوبية

وحتى نستطيع فهم الشخصيات الواردة في النقش لا بد من استعراض موجز لتاريخ الدولة الأيوبية منذ النشأة وحتى السقوط، وذلك لأن تاريخ الشخصيات الواردة في النقش لا ينفصل عن تاريخ الدولة الأيوبية

حيث يرد في هذا النقش عدد من أسماء الأعلام والوظائف من فترة الدولة الأيوبية، لذلك يتمحور هذا المقال على ترجمة أسماء الأعلام والوظائف الواردة في النقش، وقد قسم المقال إلى قسمين: الأول: يتناول شخصية الملك المعظم عيسى باعتباره الشخصية الأقدم من بين هذه الشخصيات، ومن أجل تسلسل الأحداث في الدولة الأيوبية، والثاني: يتناول شخصية الأمير عز الدين أيبك حاكم صرخد في تلك الفترة وعلي بن الحاجب وعلي بن قرجلة، مع تناول الوظائف الواردة في النقش (الاستادارية، الولاية، الحجابة).



2. مدخل قلعة الأزرق.



3. النقش اعلى المدخل.

- 2- الملك العزيز عثمان³¹ الذي أخذ مصر (ابن واصل، 3: 3، ابن الأثير 2003، 10: 225).
 - 3- الملك الظاهر³² الذي أخذ حلب وأعمالها (ابن واصل، 3: 3، ابن الأثير 2003، 10: 225).
 - 4- الملك العادل سيف الدين أبو بكر شقيق صلاح الدين ويده اليمنى أثناء حروبه مع الصليبيين والذي أخذ الشوبك والكرك والبلاد الشرقية (ابن واصل، 3: 4).
 - 5- الملك المنصور ناصر الدين³³ محمد ابن الملك المظفر أخذ حماة وسلمية³⁴ ومعزة النعمان³⁵ ومنبج³⁶ وقلعة نجم³⁷ (ابن واصل، 3: 4).
 - 6- الملك المجاهد³⁸ أسد الدين شيركوه بن محمد شيركوه أخذ حمص والرحبة وتدمر (ابن واصل، 3: 4).
 - 7- الملك الأمجد³⁹ أخذ بعلبك وأعمالها (ابن واصل، 3: 4).
- ونظرًا لسوء سيرة الملك الأفضل في دمشق وسيطرة الحاشية عليه وإهماله شؤون الحكم، بحيث

31. الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وُلد في القاهرة سنة 567 هـ وتوفي سنة 595 هـ (ابن خلكان، 3: 251).

32. الملك الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين، وُلد في مصر سنة 568 هـ، ملك حلب لمدة 30 سنة، توفي سنة 613 هـ (الذهبي 1996، 21: 296).

33. الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة وأبو ملوكها، توفي سنة 617 هـ (الذهبي 1996، 22: 146، 147).

34. سلمية: بلدية في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تُعد من أعمال حمص (الحموي، 3: 272).

35. المعزة: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص، بين حلب وحماة، ومنها الشاعر أبو العلاء المعري (الحموي، 5: 182).

36. منبج: تقع شمال سوريا، مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في قضاء من الأرض، كان عليها سور مبني بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ (الحموي، 5: 238).

37. قلعة نجم: قلعة حصينة مطلة على الفرات (الحموي، 5: 182).

38. الملك المجاهد، وُلد في مصر سنة 569 هـ، أعطاه صلاح الدين الأيوبي حمص، وبقي فيها حتى وفاته سنة 637 هـ، وحكم 56 سنة (الذهبي 1996، 23: 39، 40).

39. الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه ابن نائب دمشق فروخشاه ابن الملك شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك، قُتل سنة 628 هـ (الذهبي 1996، 22: 330).

- خلال الفترة الممتدة منذ تولي الملك العادل²⁴ للحكم سنة 596 هـ (ابن واصل، 3: 112، ابن الأثير 2003، 10: 393) حتى وفاة الأمير عز الدين أيبك سنة 646 هـ. تأسست الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي²⁵ سنة 570 هـ والذي استطاع توحيد بلاد الشام ومصر واليمن والحجاز والجزيرة الفراتية²⁶ تحت سلطانه، ونظرًا لهذا الاتساع الكبير للدولة فقد "أحس صلاح الدين أن إدارة مملكته تحمل في ثناياها بذور انهيارها لاتساعها ولكثرة القلاقل التي تنتظرها بعد وفاته، فحاول سنة 580 هـ أن يُرسي قواعدها معتقدًا أن تقسيم البلاد بين أبنائه وأقاربه سينقذها من ذلك، فخصّ أبنائه بالأجزاء الرئيسية من المملكة واستبقى المناصب الثانوية لإخوته وأقاربه" (الخطيب 2001: 29)، وبعد وفاته سنة 589 هـ انقسمت مملكته بين أبنائه وأقاربه، وأهمهم:
- 1- الملك الأفضل²⁷ الذي أخذ دمشق والساحل والقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس²⁸ وتبنين²⁹ وجميع الأعمال إلى الداروم³⁰ (ابن واصل، 3: 3، ابن الأثير 2003، 10: 225).

24. أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين، وُلد في دمشق سنة 540 هـ وتوفي سنة 615 هـ (ابن خلكان، 5: 74-78).

25. أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين، وُلد سنة 532 هـ وتوفي سنة 589 هـ (ابن خلكان، 7: 139 وما بعدها).

26. الجزيرة: المنطقة بين نهري دجلة والفرات، مجاورة للشام، تشمل ديار مضر وديار بكر، سُميت بالجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، بها مدن جلييلة وحصون وقلاع كثيرة (الحموي، 2: 156).

27. أبو الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين وهو أكبر أبنائه، وُلد سنة 565 أو 566 هـ وتوفي سنة 622 هـ (ابن خلكان، 3: 419-421).

28. بانياس: اسم لبلدة صغيرة ذات أشجار محمضات وغيرها وأنهار، وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب (أبو الفداء، تقويم البلدان: 249).

29. تبنين: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلدة بانياس بين دمشق وصور (الحموي، 2: 16).

30. الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة 584 هـ (الحموي، 2: 483).

من الأفضل إلى مصر والظاهر إلى حلب (ابن واصل، 3: 107)، ثم توجه العادل إلى مصر وانتصر على ابن أخيه الأفضل ودخل القاهرة في 21 ربيع الآخرة عام 596 هـ (ابن واصل، 3: 108، 109) وصار أتباعاً للملك المنصور بن العزيز ثم استقل بالحكم وأصبح هو سلطان الدولة الأيوبية عام 596 هـ (ابن واصل، 3: 112، ابن الأثير، 2003، 10: 393، المقريزي، 1997، 1: 265) ويلخص أبو شامة ذلك بقوله "ثم جرى بعد وفاة أخيه (صلاح الدين) بينه وبين أولاده أمور... إلى أن استقر له الملك" (أبو شامة، 1947، 1: 303)، وأعاد توحيد الدولة الأيوبية، ولكنه سار على نهج أخيه صلاح الدين الأيوبي بتقسيم الدولة بين أبنائه تحت إشرافه المباشر، حيث "قسم البلاد في حياته بين أولاده، فجعل بمصر الملك الكامل⁴⁴ محمد وبدمشق والقدس وطبرية والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى، وجعل بعض ديار الجزيرة وميفارقين⁴⁵ وخلاط⁴⁶ وأعمالها لابنه الملك الأشرف موسى⁴⁷، وأعطى الرها⁴⁸ لولده شهاب الدين غازي⁴⁹ وأعطى قلعة جعبر⁵⁰ لولده الحافظ رسلان شاه⁵¹" (ابن الأثير، 2003، 10: 393) "واستتاب ببلاد الشرق ابنه

كانت "الأمر كلها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري⁴⁰، وقد اختلّت الأحوال به غاية الاختلال وكثر شاكوه وقل شاكروه" (ابن واصل، 3: 55)، فقد توجه كل من الملك العزيز وعمه الملك العادل لحصار دمشق وأخذها من الأفضل سنة 592 هـ (ابن الأثير، 2003، 10: 393)، وأخذ العادل دمشق وتوجه الأفضل إلى صرخد حسب اتفاق جرى بين جميع الأطراف، ومن هنا بدأت تظهر أطماع الملك العادل وبدأ يفكر في السيطرة على الحكم وإعادة توحيد الدولة الأيوبية كسابق عهدها في عهد صلاح الدين الأيوبي، وعندما توفي الملك العزيز عام 595 هـ (ابن واصل، 3: 83)، خلفه ابنه المنصور⁴¹ الذي كان عمره تسع سنين وشهوراً (ابن واصل، 3: 87)، ونظراً لصغر سنه فقد اتفق الأمراء في مصر على مراسلة الملك الأفضل في صرخد ليكون أتباعاً⁴² لابن أخيه الملك المنصور، لذلك جاء الأفضل إلى مصر في الخامس من ربيع الأول من نفس السنة (ابن واصل، 3: 91)، واستطاع التحكم بأمور مصر، واتفق الأخوان الأفضل والظاهر ضد عمهما العادل ملك دمشق، وتوجّها بعساكر مصر وحلب لأخذ دمشق من عمهما العادل (ابن واصل، 3: 99)، وعندما علم العادل الذي كان في ماردين⁴³ بذلك، توجه إلى دمشق (ابن واصل، 3: 95) ودخلها واستطاع الصمود ضدهما، وأخذ يثير الشك بين الأخوين واستطاع بحنكته القضاء على التحالف بينهما، وعاد كل

44. أبو المعالي محمد ابن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر الدين، سلطان مصر، توفي سنة 635 هـ (ابن خلكان، 5: 79-84).

45. ميفارقين: تقع جنوب شرق تركيا الحالية أشهر مدينة في ديار بكر (الحموي، 5: 273-275).

46. خلاط: تقع جنوب تركيا الحالية، البلدة العامرة المشهورة، في الإقليم الخامس وهي قسبة أرمنيا الوسطى (الحموي، 2: 435).

47. الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى شاه أرمن بن العادل، وُلد بدمشق سنة 576 هـ، ملك دمشق سنة 626 هـ حتى وفاته سنة 635 هـ (الذهبي، 1996، 22: 122-126).

48. الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام (الحموي، 3: 120).

49. الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل، توفي سنة 645 هـ (الذهبي، 1996، 22: 133، 134).

50. جعبر: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مفتوحة وراء، على الفرات بين بالس والرقعة قرب صفين (الحموي، 2: 165).

51. الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن الملك العادل، توفي سنة 640 هـ (الذهبي، 1996، 22: 132-133).

40. أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، وُلد في جزيرة ابن عمر سنة 558 هـ، انتقل لخدمة صلاح الدين الأيوبي ثم أصبح وزيراً للأفضل بن صلاح الدين أثناء حكمه لدمشق، توفي في بغداد سنة 637 هـ (ابن خلكان، 5: 389-396).

41. المنصور: الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين، تولى الحكم في مصر بعد وفاة أبيه الملك العزيز، وخلعه الملك العادل في 20 شوال سنة 596 هـ بسبب صغر سنه وعدم قدرته على الحكم (ابن تغري بردي، 6: 153، 160).

42. الأتابك: كلمة تركية تعني الأمير أو الوالد، والمراد بها أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء بعد النائب، وتتكون الكلمة من (أتا) وتعني الأب أو الشيخ المحترم لكبر سنه، و(بك) بمعنى أمير، كما تعني الكلمة: مربّي الأمير (الشهابي، 1999، 1: 13).

43. ماردين: تقع جنوب تركيا الحالية، فيها قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، مشرفة على دنيسر ودار ونصيب وذلك الفضاء الواسع (الحموي، 5: 46).

637 هـ (ابن واصل، 5: 266) وأصبح ملكاً على مصر، وبقي الملك الصالح إسماعيل ملكاً على دمشق والناصر داود ملكاً على الكرك وما يتبعها، ثم تمكن الصالح نجم الدين أيوب من السيطرة على دمشق عام 643 هـ، ووُجِدَت دمشق ومصر تحت حكم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ابن الملك العادل، ثم توفي الصالح نجم الدين أيوب عام 647 هـ، وتولى بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه⁵⁶ الذي كان مقيماً في حصن كيفا⁵⁷ (النويري، 29: 218)، حيث وصل إلى مصر في 17 ذي القعدة من نفس العام (النويري، 29: 229) واستلم الحكم، إلا أنه قُتِلَ في 27 محرم من عام 648 هـ (النويري، 29: 233)، وكانت مدة حكمه 71 يوماً، ثم تولت الحكم بعده جارية والده واسمها شجرة الدر⁵⁸ (النويري، 29: 234، 325)، ونظراً للمعارضة الشديدة بتولي امرأة للحكم، فقد خلعت نفسها بعد ثلاثة أشهر من الحكم في 29 ربيع الآخر عام 648 هـ وتزوجت من الأمير عز الدين أيبك التركماني⁵⁹ (النويري، 29: 234، 325) الذي تولى الحكم في مصر وهو بداية الدولة المملوكية "وانقرضت الدولة الأيوبية من الديار المصرية" (النويري، 29: 234، 235).

ورغم انتهاء الدولة الأيوبية في مصر إلا أنها استمرت في بلاد الشام إلى سنة 658 هـ عندما انتصر

الملك الفائز⁵²، وأقرَّ بحلب ابن أخيه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين" (المقريزي 1997، 1: 265)، واحتفظ العادل لنفسه بمهمة الإشراف العام على جميع الدولة الأيوبية "فلما تُوفي ثبت كل منهم في المملكة التي أعطاه إياها أبوه" (ابن الأثير 2003، 10: 393)، وهكذا وُجِدَت الدولة الأيوبية مرة أخرى كما كانت على عهد صلاح الدين الأيوبي، وبدأت تظهر على مسرح الأحداث ثلاث شخصيات أيوبية هم: الكامل بن العادل والمعظم عيسى بن العادل والأشرف موسى بن العادل. بعد وفاة الملك العادل عام 615 هـ استقل المعظم عيسى بحكم دمشق تحت الإدارة الشكيلة لأخيه الملك الكامل الذي خلف والده في مصر، ثم توفي المعظم عيسى في دمشق سنة 624 هـ ليخلفه ابنه الناصر داود لمدة أقل من عامين، حيث تمكن عمّاه الكامل والأشرف من انتزاع دمشق منه عام 626 هـ مقابل التنازل له عن الكرك وما حولها وبعض المناطق في فلسطين، وملك على دمشق الملك الأشرف حتى وفاته عام 635 هـ، ثم تملك على دمشق أخوه الملك الصالح إسماعيل⁵³ إلى أن تمكن الكامل بن العادل من السيطرة على دمشق في نفس السنة، وبعد وفاة الكامل بعد عدة أشهر، تولى ابنه الملك العادل بن الكامل⁵⁴ على مصر وابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب⁵⁵ بن الكامل على دمشق، ثم تقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب لمحاربة أخيه العادل في مصر عام 636 هـ، فاستغل الملك الصالح إسماعيل ملك بعلبك ذلك وانقلب على الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخذ دمشق منه عام 637 هـ، ولكن الملك الناصر داود اتفق مع الملك الصالح نجم الدين أيوب ومع بعض الأمراء المصريين ودخل الصالح نجم الدين أيوب القاهرة في نهاية شهر ذي القعدة عام

56. السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه، تسلم الحكم بعد وفاة والده السلطان الملك الصالح أيوب بن الكامل بن العادل، وهو آخر ملوك الأيوبيين في مصر، قتل على يد المماليك سنة 648 هـ (الذهبي 1996، 23: 193-196).

57. حصن كيفا: بلدة وقلة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر (الحموي، 2: 306).

58. الملكة شجرة الدر أو شجر الدر بنت عبد الله جارية السلطان الصالح نجم الدين أيوب وزوجته وأم ولده خليل، استلمت الحكم بعد وفاة ابن زوجها المعظم تورانشاه بن نجم الدين أيوب لمدة ثلاثة أشهر ثم تزوجت بالأمير عز الدين أيبك التركماني وتنازلت له عن الحكم، قُتِلَت سنة 655 هـ (ابن تغري بردي، 6: 373-379).

59. المعز: الملك المعز عز الدنيا والدين أيبك التركماني الصالحي الجاشنكير صاحب مصر، من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، تزوج من شجر الدر وتنازلت له عن الحكم وهو أول سلاطين المماليك في مصر، قتلته شجر الدر سنة 655 هـ (الذهبي 1996، 23: 198، 199).

52. الملك الفائز إبراهيم بن العادل، تحالف مع ابن المشطوب ضد الملك الكامل، مرض بين سنجار والموصل، توفي سنة 617 هـ (ابن الجوزي 2013، 22: 247).

53. الملك الصالح عماد الدين أبو الخيش إسماعيل ابن الملك العادل، حكم عدة مناطق مثل بصرى ودمشق وبعلبك، قُتِلَ في القاهرة سنة 648 هـ (الذهبي 1996، 22: 134-137).

54. ابن الملك الكامل، قُتِلَ سنة 646 هـ بتدبير من أخيه نجم الدين أيوب بسبب التنافس على حكم مصر (ابن الجوزي 2013، 22: 406).

55. نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، وُلِدَ سنة 603 هـ وتوفي سنة 647 هـ (ابن الجوزي 2013، 22: 407، 409).

الأفضل والملك الظاهر وبعض الأمراء القيام بثورة ضد العادل سنة 597 هـ، فحاصروا دمشق وحاولوا أخذها وكان فيها الملك المعظم الذي صمد فيها (أبو الفداء، المختصر، 3: 124) وحاول الأفضل استمالة الأمير عز الدين أسامة⁶² صاحب عجلون وكوكب⁶³ إليه "فكتب عز الدين أسامة إلى السلطان العادل، فأخذ حذره وتيقظ لنفسه، وكتب إلى ولده الملك المعظم شرف الدين عيسى يأمره بقصد صرخد ومنازلتها، وكتب إلى الأمراء يأمرهم بالاجتماع مع ولده على ذلك، ولما علم الملك الأفضل بذلك ترك صرخد وتوجه إلى أخيه الملك الظاهر في جمادى الأولى من هذه السنة، وتوجه الملك المعظم إلى بصرى على قصد محاصرة صرخد، وكتب إلى فخر الدين جهار كس⁶⁴ وميمون القصري⁶⁵ يدعوهم إلى منزلة صرخد مع الملك المعظم، فمغلطاه ولم يصل إليه" (ابن واصل، 3: 119)، ولما طال انتظاره على بصرى عاد إلى دمشق (ابن الأثير 2003، 10: 270).

ويبدو أن الملك العادل كان يعتمد على المعظم عيسى كثيراً مما جعله يوسع حدود مملكة دمشق، ففي سنة 604 هـ "اتسعت مملكة العادل، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده... وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العرش إلى حمص وأدخل في ولايته بلاد الساحل الإسلامية وبلاد الغور وأرض فلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد" (المقريزي 1997، 1: 284)، وقد اتسعت أملاك المعظم حتى وصلت تبوك والعُلا والمدينة المنورة

62. عز الدين أسامة الجبلي من كبار الأمراء في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي أوكل إليه بناء قلعة عجلون، يُقال أنه هو من سلم بيروت للصليبيين سنة 593 هـ (أبو شامة 1947، 1: 72، 235).

63. كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة رصينة، تشرف على الأردن افتتحها صلاح الدين (الحموي، 4: 561).

64. أبو المنصور جهار كس بن عبدالله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين، كان من كبار الدولة الصلاحية، توفي سنة 608 هـ في دمشق وُدفن في مقبرة الصلاحية (ابن خلكان، 1: 381).

65. فارس الدين ميمون القصري الصلاحي، أحد أمراء صلاح الدين الأيوبي وهو آخر من بقي من الأمراء الصلاحية، أقطعه الملك العزيز بن صلاح الدين نابلس سنة 591 هـ، توفي في حلب سنة 610 هـ (ابن الجوزي 2013، 22: 40، الذهبي 1997، 34: 391).

المماليك على التتار في معركة عين جالوت⁶⁰، ثم توجه السلطان المظفر قطز⁶¹ إلى دمشق في الثاني من شوال سنة 658 هـ "وملك البلاد" (النويري، 29: 304)، وبقيت الكرك خارجة عن السلطة المملوكية حتى سنة 661 هـ عندما خضعت للدولة المملوكية بمصر (المقريزي 1997، 1: 556).

الملك المعظم

هو الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل ابي بكر، وقد ذكر كل من (الصفدي 2010، 23: 501) و(الذهبي 1996، 22: 121) و(الدمشقي 1990، 1: 445) و(ابن الجوزي 2013، 22: 285) و(النويري، 29: 93) أنه وُلد في القاهرة سنة 576 هـ، بينما ذكر كل من (المقريزي 1997، 1: 346) و(ابن خلكان، 3: 495) أن مولده كان في سنة 578 هـ.

بدأت تظهر شخصية الملك المعظم عيسى بن الملك العادل على مسرح الأحداث بعد سيطرة الملك العزيز بن صلاح الدين وعمه العادل على دمشق سنة 592 هـ وذلك من خلال روايتين ذكرهما ابن تغري بردي، الأولى "لما كان آخر ليلة من مقام العزيز في دمشق، وكانت ليلة الاثنين تاسع شعبان، قال العادل لولده المعظم عيسى: ادخل إلى العزيز فقبل يده واطلب منه دمشق، وكان المعظم قد راهق الخُلم، فدخل إلى ابن عمه العزيز وقبل يده وطلب منه دمشق، فدفعها إليه واعطاه مستحقه" والرواية الثانية "وقيل: بل استتاب العادل فيها ثم أعطاها للمعظم في سنة اربع وتسعين (594 هـ)" (ابن تغري بردي، 6: 126)، وبعد سيطرة العادل على الحكم في مصر سنة 596 هـ وتوحيد الدولة الأيوبية، عين ابنه الكامل نائباً عنه على مصر وابنه المعظم عيسى نائباً عنه على دمشق، وكان الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين في صرخد بعد أن أخرجه العادل من مصر، وقد حاول الملك

60. عين جالوت: بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، احتلها الصليبيون وحررها صلاح الدين الأيوبي سنة 579 هـ (الحموي، 4: 200).

61. قطز: الملك المظفر سيف الدين قطز، سلطان المماليك في مصر وقائد معركة عين جالوت، قتلته بعض المماليك المصريين أثناء عودته من الشام إلى مصر عد الانتصار على التتار سنة 658 هـ وهو ابن أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه (الذهبي 23، 1996: 200، 201).

(أبو شامة، 1947، 1: 398).

قضى المعظم سنة 608 هـ على الأمراء الصلاحية⁶⁶ (أبو الفداء، المختصر، 3: 141، 142) حيث "وصل الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل إلى خدمة أبيه بالديار المصرية، فاستشعر منه عز الدين أسامة، فخرج مُظهرًا أنه يتصيد وهرب في جماعة من مماليكه، فخرج الملك المعظم خلفه يريده" (ابن واصل، 3: 209)، وسبب ذلك أن قلعتي عجلون وكوكب كانتا من أملاك الأمير عز الدين أسامة، وكان هناك خلاف بين السلطان العادل وعز الدين أسامة، فغادر الأخير مصر متوجهًا إلى قلعة عجلون، فلما علم العادل بذلك طلب من ابنه الملك المعظم اللحاق به، ووصل عز الدين أسامة إلى القدس ونزل بصهيون⁶⁷ من قرى القدس" وعلم به الملك المعظم، فأرسل إليه بثياب وطعام، ولطفه، وقال له: أنت شيخ كبير ما يصلح لك الحصون، فسلم إليّ كوكب وعجلون، وقال: أنا أحلف لك على مالك وملكك وجميع أسبابك وتعيش بيننا مثل الوالد، فامتنع عن ذلك وسبَّ المعظم أقبح سب، فلما يئس منه بعث به إلى الكرك، واعتقله بها واستولى على قلاعه وأمواله وذخائره، فكان قيمة ما أخذ له ألف ألف دينار" (ابن الجوزي 2013، 22: 191، 192؛ النويري، 29: 38؛ أبو شامة 1947، 1: 236)، وأخذ المعظم قلعتي كوكب وعجلون، وهدمت قلعة كوكب وأبقى على قلعة عجلون، وبالقضاء على الأمير عز الدين أسامة قضى على الأمراء الصلاحية (ابن واصل، 3: 209)، وقد يكون سبب اعتقال المعظم لعز الدين أسامة ما أورده ابن واصل "وقد قيل أن جماعة من الأمراء كانوا أشاروا على أسامة بتسليم كوكب وعجلون إلى الملك المعظم ويأخذ عوضًا عنهما، فما فعل، ولو فعل لم يطرأ عليه ما طرأ من الاعتقال وأخذ أمواله، وكانت جميع أمواله وذخائره بكوكب، فاستُصِفيت جميعها" (ابن واصل، 3: 210).

سنة 611 هـ حج المعظم ومعه جماعة من الأمراء والمقربين، منهم عز الدين أيبك، وسلك طريق العلا وتبوك، وحج قارئًا على المذهب الحنفي، وجدد في

66. نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي.

67. صهيون: موضع معروف ببית المقدس، فيها كنيسة صهيون (الحموي، 3: 496).

طريقه البرك ومناهل المياه لخدمة الحجاج والقوافل (ابن الجوزي 2013، 22: 200؛ أبو شامة 1947، 1: 250؛ النويري، 29: 42) ويقول ابن الجوزي عنه "ولقد رأيت كتفه بعدما عاد وقد أكلته الشمس وانقشط، وقَيَّح، فقلت: ما هذا؟ فقال: ما غطيت رأسي ولا كتفي مدة ثلاثة عشر يومًا" (ابن الجوزي 2013، 22: 200)، وعاد من الحج ودخل دمشق في يوم 23 المحرم من سنة 612 هـ (أبو شامة 1947، 1: 255). وفي سنة 613 هـ قضى المعظم على فتنة حدثت في دمشق "بين أهل الشاغور⁶⁸ والعقبة⁶⁹ بدمشق، وحملت كل طائفة منهم السلاح، واقتتلوا، وحضر الملك المعظم من جوسق⁷⁰ الرئيس لتسكين الفتنة، وكان مقيمًا به، وقبض على جماعة من مقدمي الحارات واعتقلوا بسبب ذلك" (النويري، 29: 45، أبو شامة 1947، 1: 264).

دور المعظم في الحملة الصليبية الخامسة

عام 614 هـ وصلت أعداد كبيرة من الصليبيين من أوروبا "واجتمعوا كلهم بعكا عازمين على قصد القدس الشريف وانتزاعه من أيدي المسلمين واسترداد كل ما أخذ لهم من البلاد الساحلية" (ابن واصل، 3: 254)، فتوجّه العادل من مصر إلى اللد⁷¹ لقتالهم وخرج الصليبيون من عكا بأعداد كبيرة "وكان العادل على تل بيسان، فنظر، فرأى أنه لا قبل له بهم، فتأخر، فقال المعظم: إلى أين؟ فشتمه بالعجمية، وقال له بمن أقاتل؟ أقطعت الشام ممالكك وتركت أولاد الناس الذين يرجعون إلى الأصول، وذكر كلامًا في هذا المعنى" (أبو شامة 1947، 1: 284؛ ابن الجوزي 2013، 22: 217) حيث وقف المعظم أمام والده العادل واعترض على انسحابه أمام الصليبيين اعتقادًا منه بضعفه وتخاذله، لكن العادل لما رأى كثرة عدد الصليبيين وقلة

68. الشاغور: محلة بالباب الصغير من دمشق، مشهورة وهي في ظاهر المدينة (الحموي، 3: 352).

69. العقبة: أحد أحياء دمشق، بين مقبرة الدحاح وسوق ساروجا (الشهابي 1999، 2: 134).

70. الجوسق: القصر الصغير، واستُعملت للقصر الكبير أيضًا، وتُطلق أيضًا على القسم الذي يعلو المظلة أو سائر المؤذن في المنذنة (الشهابي 1999، 1: 147، 148).

71. اللد: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين (الحموي، 5: 17).

العامة، وطلب المعظم من أكابر دمشق قَسَم الولاء للعادل ومن بعده للمعظم، ثم أعلنت وفاة العادل (ابن واصل، 3: 276)، واستولى المعظم على ما كان لأبيه من الأموال والجواهر النفيسة والذخائر والعدد والأثقال والخيول، كذلك أخذ أموال أبيه التي كانت في الكرك، وقد ذكر كل من (المقريزي 1997، 1: 312) و(ابن واصل، 3: 276) و(أبو الفداء، المختصر، 3: 150) أن قيمة الأموال التي كانت في خزائن العادل حوالي سبعمائة ألف دينار مصرية، وكانت أملاك العادل موزعة بين أولاده ومنهم "الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق والبيت المقدس والكرك والشوبك والسواحل" (النويري، 29: 54)، وفي نفس الشهر التقى المعظم بالفرنج على القيمون⁷⁶، فنُصِر عليهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر من الدّاوية⁷⁷ مائة فارس وأدخلهم القدس منكسة أعلامهم" (أبو شامة 1947، 1: 299؛ ابن الجوزي 2013، 22: 228).

دور المعظم في تخريب قلعة الطور

يذكر ابن الجوزي الذي كان مشاركاً في الجيش الشامي سنة 607 هـ أن المعظم عيسى كان في نابلس، وخرج المجاهدون من دمشق إلى نابلس فالتقاهم المعظم فيها، ثم هاجم المسلمون الصليبيين وانتصروا عليهم، ولم يتمكن الصليبيون من الخروج من عكا "ثم عدنا سالمين غانمين إلى الطور المطل على الناصرة والمعظم معنا، فقال: أريد أن أبني عليه قلعة، وطلب إياه الملك الأشرف وعساكر الشرق وحلب وشرع في عمارة الطور، وأقام العسكر تحته من ذي الحجة سنة ثمان وستمئة، فكمل سورته ودار واستوى وخاف الفرنج منه، فأرسلوا إلى العادل، فصالحهم، وأعطى العساكر دستوراً، فتفرقوا، وأقام المعظم يعمر الطور إلى قبل وفاة العادل، فلا يُحصى ما غرم عليه" (ابن الجوزي 2013، 22: 173).

وهناك آراء مختلفة بين المؤرخين على تاريخ

عدد المسلمين "لم يرَ أن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفاً من هزيمة تكون عليه، وكان حازماً كثير الحذر، ففارق بيسان نحو دمشق ليقوم بالقرب منها ويرسل إلى البلاد ويجمع العساكر" (ابن الأثير 2003، 10: 374)، ثم أرسل العادل ابنه المعظم "كي يمنع الفرنج من بيت المقدس، فنزل الفرنج قلعة الطور⁷² (أبو الفداء، المختصر، 3: 147)، وجدّوا في قتال أهلها حتى تمكنوا من سورها وأشرفوا على أخذها، ففقد الله أن بعض ملوكهم قُتل، فانصرفوا عنها إلى عكا بعدما أقاموا عليها سبعة عشر يوماً" (المقريزي 1997، 1: 308) من يوم الأربعاء 18 شعبان/614 هـ ولغاية يوم الخميس 6 رمضان من نفس السنة (أبو شامة 1947، 1: 285)، "وجاء المعظم، فصعد الطور وطيب قلوب الناس، ثم اتفق العادل والمعظم على خراب الطور" (أبو شامة، 1947، 1: 285؛ ابن الجوزي 2013، 22: 219)، ثم توجه الصليبيون إلى مصر في بداية سنة 615 هـ واستولوا على برج السلسلة⁷³ في دمياط (ابن الأثير 2003، 10: 375) في آخر جمادى الأولى (ابن الجوزي 2013، 22: 228).

وعندما علم الملك العادل باستيلاء الصليبيين على برج السلسلة في دمياط، مرض وتوفي يوم 7 جمادى الآخرة من سنة 615 هـ وكان نازلاً بمنطقة عالقين⁷⁴ (أبو الفداء، المختصر، 3: 149)، ولم يكن أحد من أبنائه معه لحظة وفاته، وكان المعظم عيسى في نابلس، ولم يعلم بوفاته إلا أحد أصدقائه المقربين واسمه كريم الدين الخلاطي⁷⁵ وبعض الأطباء، حيث أرسل إلى الملك المعظم يطلب منه سرعة المجيء، وتوجهوا جميعاً إلى دمشق، وكُتِب خبر وفاة العادل عن

72. الطُّور: بالضم ثم السكون وآخره راء، جبل بعينه مطل على طبرية الأردن، بينهما أربعة فراسخ على رأس بيعة واسعة محكمة البناء موقعة الأرجاء، يجتمع في كل عام بحضرتها سوق (الحموي، 4: 53).

73. برج السلسلة: برج كبير فيه سلاسل حديد تمتد عبر نهر النيل إلى سور مدينة دمياط لتمنع دخول المراكب من البحر إلى القاهرة، ولولا هذه السلاسل والبرج لكانت مراكب الصليبيين تستطيع المسير عبر النيل باتجاه القاهرة، (ابن الأثير 2003، 10: 375).

74. عالقين: قرية في جنوب سوريا.

75. الأمير كريم الدين الخلاطي، كان أديباً، لطيفاً، خدم المعظم والأشرف والكمال، كان أميراً للحج الشامي، توفي سنة 631 هـ، دفن في قاسيون (ابن الجوزي 2013، 22: 334).

76. القيمون: حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (الحموي، 4: 481).

77. الداوية أو الديوية: قوم من الإفرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره، ولهم أموال وسلاح ويتعاونون القوة ويعالجون السلاح ولا طاعة عليهم لأحد، وينسب إليهم حصن الداوية بنواحي الشام (الحموي، 2: 305).

بنائها، فالنويري يذكر بناءها سنة 608 هـ (النويري، 29: 33)، وابن واصل يذكر بناءها سنة 607 هـ (ابن واصل، 3: 202)، ويذكر في موقع آخر من حوادث سنة 609 هـ "وفي هذه السنة أو التي قبلها عمّر السلطان الملك العادل قلعة على جبل الطور، وهو جبل عالٍ مطل على عكا بالقرب منها" (ابن واصل، 3: 215)، ويذكر أبو شامة أن البناء بدأ في نهاية سنة 607 هـ واستمر حتى نهاية سنة 608 هـ (أبو شامة 1947، 1: 210)، حيث "نزل العادل بعساكره حول قلعة الطور وأحضر الصناع من كل بلد واستعمل جميع أمراء العسكر في البناء ونقل الحجارة، فكان في البناء خمسمائة بناء، سوى الفعلة والنحاتين وما زال مقيماً حتى كملت" (المقريزي 1997، 1: 295).

ولكن بعد سيطرة الصليبيين على برج السلسلة في دمياط سنة 615 هـ خاف الملك العادل من سيطرتهم على قلعة الطور القريبة من عكا، لذلك استدعى ابنه المعظم الذي كان على الساحل بعسكر الشام لتخريب قلعة الطور" وقال له: قد بنيت هذا الطور وهو يكون سبباً لخراب الشام، وقد سلم الله من كان فيه من أبطال المسلمين والسلاح والذخائر، وأرى من المصلحة خرابة ليتوفر من فيه من المسلمين والعدد على حفظ دمياط، وأنا أعوضك، فتوقف المعظم وبقي أياماً لا يدخل إلى العادل، فبعث إليه فأرضاه بمال ووعدته في مصر ببلاد، فأجابه، فبعث، فنقل ما كان فيه من العدد والذخائر إلى القدس وعجلون والكرك ودمشق" (أبو شامة 1947، 1: 298؛ ابن الجوزي 2013، 22: 227؛ النويري، 29: 52)، ويعلل ابن الأثير تخريب قلعة الطور لأنها بالقرب من عكا معقل الصليبيين ويتعذر حفظها (ابن الأثير 2003، 10: 375).

دور المعظم في القضاء على مؤامرة ابن المشطوب
بعد وفاة الملك العادل ودخول الصليبيين إلى منطقة دمياط سنة 615 هـ، أرسل الكامل لأخيه المعظم الهدايا وطلب منه المساعدة ضد الصليبيين "وقال: أدركني" (أبو شامة 1947، 1: 308؛ ابن الجوزي 2013، 22: 233)، وكان من التحديات التي واجهت الملك الكامل طمع بعض الأمراء به، حيث

قام أحد الأمراء الأقوياء المعروف بابن المشطوب⁷⁸، واتفق مع جماعة من الأكراد والجند لخلع الكامل وتنصيب أخيه الفائز إبراهيم ملكاً على مصر (ابن الأثير 2003، 10: 376؛ أبو الفداء، المختصر، 3: 150) ليتمكنوا من السيطرة على حكم مصر بسبب ضعف الفائز، فاجتمعت على الكامل الفتنة الداخلية من ابن المشطوب وأعوانه من جهة والصليبيين من جهة أخرى، فانسحب الكامل إلى منطقة أشمون طناح⁷⁹ وأراد مغادرة مصر والتوجه إلى اليمن، ولكن وصل المعظم إلى أخيه الكامل بعد يومين من حركة ابن المشطوب (ابن واصل، 4: 17)، ليساعده ضد الصليبيين، وقام الملك الكامل بإعلام الملك المعظم بأمر ابن المشطوب وأعوانه، فتوجه المعظم إلى خيمة ابن المشطوب وطلب منه الخروج من مصر وأرسل معه جماعة" وأمرهم أن لا يفارقه حتى يُخرجوه من الديار المصرية، وينفوه إلى الشام" (ابن واصل، 4: 18)، ويذكر أبو شامة من حوادث سنة 616 هـ أن المعظم بعد وصوله إلى مصر "ركب آخر النهار، وجاء إلى خيمة ابن المشطوب، وقال: قولوا لعماد الدين يركب حتى نسير، فأخبروه، فخرج من الخيمة بغير صباغات ولحق المعظم، فأبعد به عن العسكر، وقال له: أخي الملك الأشرف قد طلبك وهو محتاج إليك، فتسير إليه الساعة، فقال: ما في رجلي صباغات ولا معي أحد من غلماني ولا قماش، فوكل به جماعة وأعطاه خمسمائة دينار، وقال: كل مالك يلحقك، والله ما يضيع لك خيط واحد، وسار به الموكلون ورجع المعظم إلى خيمته فوقف حتى جهز خيله وغلمانه وثقله وساروا خلفه، وعاد المعظم إلى خيمته، وجاء إليه الكامل، فقبل الأرض بين يديه وخاف الفائز خوفاً عظيماً" (أبو شامة 1947، 1: 314؛ ابن الجوزي 2013، 22: 237)، وهكذا قُضي على فتنة كادت تطيح بسلطان مصر والتي كان من الممكن أن تسهل

78. ابن العباس أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء بن عبدالله بن أبي الخليل بن مرزبان الهكاري الملقب عماد الدين، كان أميراً كبيراً من أمراء الدولة الصلاحية (عصر صلاح الدين الأيوبي وأبنائه)، وُلد سنة 575 هـ وتوفي سنة 619 هـ (ابن خلكان، 1: 180-182).

79. بلد كبير تحت مصر بالقرب من دمياط ويقال لها أشمون طناح وأشمون الرمان وأشمون جريس، أسماء متعددة لبلدة واحدة (أبو الفداء، تقويم البلدان: 117).

أسواره وأبراجه فهدهما ما خلا برج داود عليه السلام فإنه أبقاه، ولما هُدمت أسواره انتقل عنه أكثر المقيمين به، وكان فيه خلق لا يحصون، فلم يبق فيه إلا القليل من الناس، ثم تقدم الملك المعظم بنقل ما كان فيه من الزرد خاناه⁸¹ وآلات القتال وغير ذلك، فعظم على المسلمين خرابه وتأسفوا عليه غاية الأسف" (ابن واصل، 4: 32)، ويبرر أبو شامة ذلك "خوفاً من استيلاء الفرنج عليه" (أبو شامة 1947، 1: 313)، ويؤكد ابن العماد ذلك "وفي أول العام خرب الملك المعظم سور بيت المقدس خوفاً وعجزاً من الفرنج أن تملكه، فشرعوا في هدم السور في أول يوم من المحرم... ودم الناس الملك المعظم" (ابن العماد 1991، 7: 118)، كذلك يقدم (العمرى، 27: 145) و(أبو الفداء، المختصر، 3: 152) تبريراً لهدم أسوار القدس بأن الملك المعظم لما رأى قوة الصليبيين وتغلبهم على دمياط خاف أن يقصدوا القدس، ولعلمه أنه لا يقدر على منعهم.

وننتج عن تخريب القدس أنه "وقع في البلد ضجة عظيمة مثل يوم القيامة، وخرج الناس أجمعين، حتى البنات المخدرات والعجائز والشيوخ وغيرهم، إلى الصخرة والأقصى، فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم، وخرجوا على وجوههم وتركوا أموالهم، وامتلأت بهم الطرقات، فمنهم من توجه إلى الديار المصرية ومنهم من توجه إلى الكرك، وبعضهم إلى دمشق، وصار البنات المخدرات يمزقن ثيابهن ويلفنهن على أرجلهن من الحفا، ومات خلق كثير من الجوع والعطش، ونهب ما كان لهم بالقدس، حتى بيع قنطار الزيت بالقدس بعشرة دراهم ورطل النحاس بنصف درهم" (أبو شامة 1947، 1: 313؛ ابن الجوزي 2013، 22: 237؛ النويري، 29: 60)، "وكانت نوبة لم يكن في الإسلام مثلها" (أبو شامة 1947، المذيل، 1: 313). ولا نستغرب تخريب المعظم لأسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها والاستفادة منها وعدم قدرة المسلمين على حمايتها، فقد سبقه صلاح الدين الأيوبي في تخريب بعض المواقع الأخرى، ففي يوم الأربعاء الثالث من رمضان سنة 587 هـ أمر صلاح الدين الأيوبي بتخريب اللد وقلعة الرملة (ابن شداد

للصليبيين السيطرة الكاملة على مصر وتحقيق أهدافهم في مصر ومن ثم في الشام "فانتظم أمر السلطان الملك الكامل" (أبو الفداء، المختصر، 3: 150)، ولما رتب الملك المعظم القواعد بمصر عاد إلى بلاده، "واستمر الملك الكامل إلى آخر هذه السنة محارباً للفرنج منازلهم" (ابن واصل، 4: 19؛ المقرئزي 1997، 1: 315).

دور المعظم في تخريب القدس

عندما توجه المعظم إلى مصر لمساعدة أخيه الكامل ضد الصليبيين أواخر سنة 615 هـ "بلغه أن طائفة من الفرنج على عزم القدس، فاتفق الأمراء على خرابه، وقالوا: قد خلا الشام من العساكر، فلو أخذه الفرنج حكموا على الشام، وكان بالقدس أخوه العزيز عثمان وعز الدين أيبك أستاذ الدار، فكتب المعظم إليهما بخرابه، فتوقفا وقالوا: نحن نحفظه، فكتب إليهما المعظم: لو أخذوه لقتلوا كل من فيه وحكموا على دمشق وبلاد الشام⁸⁰، فآلجأت الضرورة إلى خرابه، فشرعوا في السور أول يوم من المحرم سنة 616 هـ (أبو شامة 1947، 1: 313؛ ابن الجوزي 2013، 22: 236)، وأصدر المعظم عيسى تعليماته لهما بهدم أسوار القدس "خوفاً من تملك الفرنج... وهج الناس منه على وجوههم، وكان يومئذ أحصن ما يكون وأعمره، وذاك لأنه كان في نجدة أخيه على دمياط" (الذهبي 1996، 22: 234).

ويصف ابن واصل هذه الحادثة "لما اشتدت مضايقة الفرنج لشغل دمياط وأشرفت على الأخذ، خاف الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق أن تصل من البحر أمم عظيمة من الفرنج إذا سمعوا بقوة أصحابهم وتمكنهم من الديار المصرية والملك الكامل مشغول بمحاربة من بديار مصر من الفرنج، فيقصدون البيت المقدس وهو عامر فيملكونه، ولا يمكن بعد ذلك استنقاذه منهم، فتقدم بخراب أبراج البيت المقدس وأسواره، وكانت قد صارت في غاية العظمة والثاقفة، فإنه من حين استنقاذه الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله من الفرنج ما زالت فيه العمارة قائمة، فكان كل برج من أبراجه نظير قلعة، فجمع له الحجارين والنقابين، وعلق

81. الزردخان: من زرد العربية، وخانة بمعنى الدار أو البيت، أي دار الزرد، وهو مصطلح يطلق على المكان أو المخزن الذي تُحفظ فيه الأسلحة (حلاق وصباغ 1999: 106).

80. بلاد الإسلام عند (ابن الجوزي 2013، 22: 236).

الملوك الأيوبيين لنصرة الملك الكامل، حيث توجه إلى البلاد الشرقية لجمع العساكر لمواجهة الصليبيين في مصر، واجتمع بأخيه الملك الأشرف "وأشار عليه بأن يسرع التوجه إلى مصر في عساكره ويستصحب معه ملوك أهل البيت وعساكرهم، فأجابه الملك الأشرف إلى ذلك" (ابن واصل، 4: 92)، وكان معظم من أحرص ملوك الأيوبيين على تحرير مصر من الصليبيين، وذلك بسبب قربهم من أملاكه، فإذا احتلوا مصر تمكنوا من احتلال القدس وبلاد الشام، وتوجهت القوات الإسلامية إلى مصر في بداية شهر جمادى الآخرة سنة 618 هـ (أبو شامة 1947، 1: 344؛ ابن الجوزي 2013، 22: 258؛ النويري، 29: 74)، ووصل معظم والأشرف إلى الكامل في المنصورة في الثالث من رجب (أبو شامة 1947، 1: 345؛ النويري، 29: 74)، وكان الكامل قد انتصر على الصليبيين باستخدام مياه النيل حتى اضطروا لطلب الصلح، وعقدت هدنة بين الطرفين، وهكذا نجح معظم بتوحيد جهود الملوك الأيوبيين ضد الصليبيين في مصر وطردهم منها "وكانت مدة مقام الفرنج بالديار المصرية ثلاث سنين وشهوراً" (ابن واصل، 4: 98)، ثم عاد معظم إلى دمشق "وتأخر الملك الأشرف عند السلطان الملك الكامل، وتصافيا، وزال ما عند كل منهما من الآخر، واتفقا على الملك المعظم صاحب الشام" (أبو شامة 1947، 1: 346؛ النويري، 29: 76)، ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة في حياة الملك المعظم عيسى غلبت عليها المنازعات والمؤامرات بين الاخوة، الكامل والمعظم والأشرف.

الخلافات بين المعظم والكامل والأشرف

تميزت الفترة بعد وفاة الملك العادل سنة 615 هـ إلى سنة 618 هـ—عندما حُررت مصر من الصليبيين—بأنها مرحلة انسجام وتعاون بين الملوك الأيوبيين، وخصوصاً بين الملك الكامل والملك المعظم بسبب الخطر الذي كان يهدد الطرفين، فقد تمكن المعظم من توحيد كلمة بني أيوب لمساعدة اخيهم الأكبر الكامل في مصر والذي كانت تتعرض بلاده للغزو الصليبي وما رافقه من فتنة داخلية كادت أن تعصف بملك الأيوبيين في مصر، حيث كان للملك المعظم عيسى دور كبير في تثبيت الملك الكامل في مصر،

كذلك يذكر ابن شداد عن خراب عسقلان أن صلاح الدين "استخار الله تعالى، فأوقع الله في نفسه أن المصلحة في خرابها لعجز المسلمين عن حفظها عن الفرنج، فاستحضر الوالي بها قيصر وهو من كبار مماليكه وذوي الآراء منهم، فأمره أن يضع فيها المعول، وذلك في سحرة ليلة الخميس التاسع عشر من شعبان سنة سبع وثمانين وخمسائة، ولقد رأيته وقد اجتاز بالسوق والوطاق بنفسه يستتفر الناس للخراب" (ابن شداد 1994: 280)، كذلك أمر بتخريب قلعة النطرون في يوم السبت الثالث عشر من رمضان سنة 587 هـ "وكانت قلعة منيعة حصينة من القلاع المذكورة فشرع في خرابه" (ابن شداد 1994: 286)، كذلك فعل المعظم عيسى، فبعد وفاة الملك العادل سنة 615 هـ واستقرار الحكم له في دمشق، أمر بتخريب حصون بانياس وتبنين "وأظهر أنه ما أخرج بانياس وتبنين إلا خوفاً من استيلاء الفرنج عليهما" (أبو شامة 1947، 1: 308؛ النويري، 29: 56).

دور المعظم في تحرير دمياط من الصليبيين

عندما سيطر الصليبيون على مدينة دمياط كاملة في 10 من رمضان سنة 616 هـ (ابن واصل، 4: 33) بكى الكامل والمعظم، وتراجع المسلمون إلى الخلف (ابن الجوزي 2013، 22: 238) وطلب الكامل من أخيه المعظم التوجه إلى الشام ومشاغلة الصليبيين فيها وإرسال الجيوش من الشرق إلى مصر (ابن الجوزي 2013، 22: 238؛ النويري، 29: 61)، وتوجه المعظم إلى الشام وفي طريقه حاصر قيسارية⁸² وفتحها ثم هدمها (أبو شامة 1947، 1: 316؛ ابن الجوزي 2013، 22: 238؛ النويري، 29: 62)، وحاول الصليبيون التوجه جنوباً لاحتلال القاهرة، وظنوا أنهم إذا احتلوا مصر فإنه يمكنهم احتلال القدس، لذلك قام الكامل ببناء مدينة المنصورة على مفترق نهر النيل وأنزل عساكره فيها (ابن واصل، 4: 33)، وبقي مرابطاً فيها إلى سنة 618 هـ. تمكن الملك المعظم عام 618 هـ من جمع كلمة

82. قيسارية: مدينة بساحل بحر الشام وتعد من أعمال فلسطين وكانت من أمهات المدن العظام (أبو الفداء، تقويم البلدان: 239).

المعظم وبدأ القتال قليلاً، ثم انسحب المعظم وتوجه إلى سلمية فنزل فيها وأخذ ما فيها من المحاصيل وعين والياً عليها ثم توجه إلى معرة النعمان (ابن واصل، 4: 117، 118) "واستولى الملك المعظم على المعرة وما فيها من الحواصل وولّى فيها والياً من قبله" (ابن واصل، 4: 120)، ثم رحل المعظم من المعرة متوجّهاً إلى سلمية "وأقام بها إلى أن خرجت هذه السنة وهو على قصد منازل حماة وانتزاعها من الملك الناصر صاحبها" (ابن واصل، 4: 120)، وبقي المعظم في سلمية ومعرة النعمان من أجل الاستيلاء على حماة حيث طلب من العرب في هذه المناطق عدم تزويد حماة بالمحاصيل الزراعية والمواد الغذائية "ومنع من يقصدها من الجند لإنجاد صاحبها الملك الناصر وجعل طريق القوافل على سلمية" (ابن واصل، 4: 126؛ العمري، 27: 158).

وعندما علم الكامل والأشرف (الذي كان بضيافة الكامل في مصر في بداية سنة 620 هـ) خافا إذا انتزع المعظم عيسى حماة من الناصر فإنه سيتوسع في مناطق أخرى، لذلك طلبا منه مغادرة حماة والعودة إلى دمشق، ثم جرت مراسلات بين المعظم والناصر "فقررت قواعد الصلح بين الملك المعظم وابن أخته الملك الناصر، ورحل الملك المعظم عن سلمية مغضباً محققاً على أخويه، وكان ذلك ابتداء الوحشة بينه وبينهما، وكانت أطماعه قد تعلقت بالاستيلاء على حماة وبلادها وإضافتها إلى ممالكه" (ابن واصل، 4: 128؛ العمري، 27: 159)، وعاد المعظم إلى دمشق، وغادر الأشرف مصر متوجّهاً إلى بلاده مروراً بدمشق، ورفض النزول في قلعة دمشق حسب رغبة المعظم، ونزل في جوسق والده، ثم غادر دمشق متوجّهاً إلى حرّان⁸⁵ دون علم الملك المعظم مما زاد شكوك المعظم بأخويه الأشرف والكامل (أبو شامة 1947، 1: 354؛ ابن الجوزي 2013، 22: 262؛ النويري، 29: 82)، لكن ابن واصل يذكر أن الملك المعظم التقى بالملك الأشرف أثناء عودته من مصر وأنزله في قلعة دمشق لمدة ثلاثة أيام (ابن واصل، 4: 129)، ويذكر ابن الجوزي أن المعظم قال له عندما

لكن حالة الانسجام والتوافق بين الملوك الأيوبيين بدأت تتحول إلى حالة من التنافس والتنافر والتآمر بعد تحرير دميّاط سنة 618 هـ، ففي السنة التالية توجه الملك الأشرف إلى مصر لخدمة السلطان الكامل وبقي عنده إلى نهاية السنة (ابن واصل، 4: 116)، وقد مرّ الأشرف بمدينة دمشق ولم يصطحب المعظم معه إلى مصر (ابن الأثير 2003، 10: 468)، مما أثار شكوك الملك المعظم من اتفاق أخويه ضده، لذلك أرسل محتسب دمشق واسمه الصدر البكري⁸³ رسولاً من قبله إلى جلال الدين خوارزم شاه⁸⁴ ليتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه، فاجتمع البكري بالخوارزمي وقرر معه الأمور وجعله سنداً له" (أبو شامة 1947، 1: 349؛ ابن الجوزي 2013، 22: 258)، وفي نفس السنة توجه الملك المعظم إلى حماة (أبو الفداء، المختصر، 3: 163) والسبب في ذلك أنه عندما توفي الملك المنصور ملك حماة سنة 617 هـ كان له ولدان هما الناصر قلج أرسلان وكان بخدمة خاله الملك المعظم في الساحل ضد الصليبيين والآخر هو المظفر تقي الدين محمود وهو الأكبر وولي العهد، وكان بخدمة خاله الملك الكامل في مصر في مواجهة الصليبيين أيضاً، وبعد وفاة المنصور كتب أمراء وكبار حماة إلى الناصر للقدوم إليها وتملكها قبل أخيه، وقد سمح الملك المعظم للناصر قلج أرسلان بالتوجه إلى حماة واستلام الحكم فيها بشرط أن يدفع الناصر للمعظم مبلغ 400 ألف درهم كل سنة (أبو الفداء، المختصر، 3: 157)، ولكن الناصر لم يف بالاتفاق، مما جعل المعظم يتوجه بعساكره إلى حماة، وكان الناصر في رحلة صيد، وعندما علم بذلك أسرع إليها ودخلها قبل وصول المعظم وتحصن بقلعتها وأمر بغلق الأبواب أمام المعظم وعساكره، فحاصرها

83. الشيخ الإمام المحدث صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ... ابن محمد بن أبي بكر القرشي التيمي البكري النيسابوري الدمشقي الصوفي، وُلد في دمشق سنة 574 هـ، تولى منصب محتسب دمشق، ثم انتقل إلى مصر وتوفي فيها سنة 656 هـ (الذهبي 1996، 23: 326-328).

84. السلطان جلال الدين منكوبري ابن السلطان علاء الدين محمد ابن السلطان خوارزم شاه تكش بن خوارزم شاه أرسلان سلطان الدولة الخوارزمية، تسلم الحكم بعد وفاة والده الذي فرّ من التتار سنة 617 هـ، واستأنف الحرب ضد التتار وانتصر عليهم في بعض المعارك ولكنه انهزم أمامهم، قتله أحد الأكراد سنة 628 هـ (الذهبي 1996، 22: 326-329).

85. حرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبه ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبينها وبين الرقة يومان، على طريق الموصل والشام والروم (الحوي، 2: 271).

ومضى إلى إربل" (أبو شامة 1947، 1: 373) "وفعل الملك المعظم ذلك معاندة لأخويه الملك الكامل والملك الأشرف" (ابن واصل، 4: 146)، ورغم هذا الاتفاق إلا أن المعظم رفض سنة 622 هـ مساعدة الخوارزم شاه ضد الخليفة العباسي في بغداد، حيث طلب منه مساعدته ضد الخليفة العباسي إلا أن المعظم كتب إليه رسالة يرفض فيها الخروج على الخليفة قال فيها "أنا معك على كل أحد إلا الخليفة فإنه إمام المسلمين" (ابن الجوزي 2013، 22: 273؛ أبو شامة 1947، 1: 377)، وهذا يدل على أن المعظم عيسى يعترف بالولاء للخليفة العباسي في بغداد، ورغم هذا الولاء فإن المعظم رفض سنة 623 هـ رسالة الخليفة التي يطلب منه فيها نقض التحالف مع جلال الدين خوارزم شاه باعتباره خارجاً على الخلافة وأن يجري الصلح بين الأخوة المعظم والكامل والأشرف، فكان رد المعظم أن تحالفه مع جلال الدين -الذي كان يحتل خلاط من أملاك الأشرف- هو لمنع اتفاق أخويه ضده، حيث رد المعظم على رسالة الخليفة "إن قصدي الأشرف منعه الخوارزمي وإن قصدي الكامل كان في له" (أبو شامة 1947، 1: 386؛ ابن الجوزي 2013، 22: 279)، وقد بلغ من هذا التحالف "أن المعظم يلبس خلعة⁹¹ الخوارزمي ويركب فرسه، وإذا جلسوا على تلك الحال يحلف المعظم برأس الخوارزم شاه" (أبو شامة 1947، 1: 386؛ ابن الجوزي 2013، 22: 279)، ثم توجه الملك الأشرف إلى دمشق وأقام عند أخيه المعظم وطلب منه التوسط عند جلال الدين خوارزم شاه للخروج من خلاط، فوافق جلال الدين وانسحب منها (ابن الجوزي 2013، 22: 279).

وننتج عن هذه الخلافات والصراعات بين ملوك البيت الأيوبي أن انقسموا إلى فريقين، فريق يؤيد الملك المعظم وفريق يؤيد الملك الكامل، وبالتالي صار المعظم عيسى أحد جناحي الدولة الأيوبية و"لم يكن مع الملك المعظم من أهل بيته إلا الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن عز الدين فرخشاہ صاحب بعلبك والملك العزيز والملك الصالح أبناء الملك العادل، وكان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل

وصل الأشرف إلى حرّان " قال لي المعظم: أما عندك خبر ما قد شنع عليّ أخي؟ إنني أردت أن أمسكه، فقد كان في الجوسق، لو أردت أن أمسكه أمسكته، والله ما خطر هذا أبداً" (ابن الجوزي 2013، 22: 263). وفي عام 621 هـ توجه الملك الأشرف إلى أخيه الملك الكامل، وكان لهم أخ يتبع الملك الأشرف وهو الملك المظفر شهاب الدين غازي، وقد ولّاه الأشرف على بلاد خلاط وميفارقين وحاني⁸⁶ وجبل جور⁸⁷، حتى أن الأشرف جعله ولي عهده لأنه لم يكن له أبناء ذكور، وقد استغل الملك المعظم وجود الملك الأشرف في مصر فقام بمراسلة أخيه المظفر شهاب الدين غازي ومظفر الدين بن زين الدين⁸⁸ صاحب إربل⁸⁹ من أجل الخروج على الملك الأشرف وأخذ بلاده منه (أبو الفداء، المختصر، 3: 166)، ورحل الملك المعظم بعساكره من دمشق بقصد التوجه إلى البلاد الشرقية، ولكن الملك الكامل بعث رسالة تهديد إليه يحذره إذا خرج من دمشق فإنه سيتوجه إليها ويأخذها منه، فخاف المعظم وعاد إلى دمشق (ابن واصل، 4: 137-139؛ ابن الأثير 2003، 10: 440-441؛ العمري، 27: 161).

ونظرًا للخلاف بين الأخوة الكامل والأشرف من جهة والمعظم من جهة أخرى، وبعد فشل تمرّد المظفر شهاب الدين غازي -المدعوم من الملك المعظم- على أخيه الملك الأشرف فقد بحث المعظم عن حليف قوي ضد أخويه، لذلك "اتفق المعظم ومظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل مع جلال الدين خوارزم شاه على الملك الأشرف، وبعث المعظم ولده الناصر داود إلى ابن زين الدين رهينة، وعبر الفرات إلى الحديثة⁹⁰

86. حاني: اسم مدينة معروفة بديار بكر، فيها معدن الحديد، ومنها يُجلب إلى سائر البلاد (الحموي، 2: 240).

87. جبل جور: اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية (الحموي، 2: 119).

88. أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل، وُلد سنة 549 هـ وتوفي سنة 630 هـ (ابن خلكان، 4: 113-121).

89. إربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط، تُعد من أعمال الموصل (الحموي، 1: 167).

90. حديثة الفرات: تعرف بحديثة النورة وهي على فراسخ من الأنبار وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها (الحموي، 2: 266).

91. الخلعة السلطانية: حلّة من حلل السلطان، يكف عن لبسها ويخلعها على من يريد تكريمه، وكان يُضاف إليها أحياناً سيف مملّى بالذهب وجواد كامل العدة (حلاق وصباغ 1999: 84).

واصل، 4: 205، 206؛ ابن العديم 1968، 3: 201؛ أبو الفداء، المختصر، 3: 171).

وننتج عن بقاء الأشرف عند المعظم أن خاف الكامل من اتفاقهما ضده، وساعد على هذا الخوف التحالف الذي عقده الملك المعظم مع السلطان جلال الدين خوارزم شاه لمساعدته ضد أخيه الملك الكامل، لذلك بحث الكامل عن تحالف مضاد، فاتفق مع الإمبراطور فريديريك الثاني⁹³ في سنة 624 هـ ووعده بالتنازل له عن بعض المناطق الساحلية "ليشغل سر أخيه المعظم" (المقريزي 1997، 1: 345)، ثم أرسل الإمبراطور رسوياً إلى الملك المعظم يطلب منه التنازل عن البلاد التي فتحها صلاح الدين الأيوبي وذلك حسب الاتفاق بين الملك الكامل والإمبراطور، وكانت هذه الأراضي تابعة للملك المعظم، إلا أن الملك المعظم رفض التنازل عن هذه البلاد "فأغلظ له، وقال: قل لصاحبك ما أنا مثل الغير، ماله عندي سوى السيف" (أبو شامة 1947، 1: 396؛ ابن الجوزي 2013، 22: 284؛ النويري، ج 29: 91)، وخرج الكامل من مصر متوجهاً إلى دمشق ونزل بلبليس⁹⁴ في شهر رمضان سنة 624 هـ، فأرسل إليه المعظم برسالة في السر يهدده من الاقتراب منه قائلاً له "إنني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدي أتصدق بألف دينار، فإن جميع عسكري معي وكتبهم عندي وأنا أخذك بعسكري" (المقريزي، 1: 345؛ النويري، 29: 92)، ثم كتب له رسالة بالعلن يعترف بأنه يتبع له ويذكره بوقوفه معه ضد الفرنج في مصر سنة 618 هـ، ورجع الكامل إلى القاهرة وقبض على بعض من مماليك أبيه الملك العادل بسبب مكاتبتهم لأخيه الملك المعظم (المقريزي 1997، 1: 345؛ النويري، 29: 92).

وفاة المعظم

أجمع المؤرخون مثل (ابن الأثير 2003، 10: 473) و(ابن العميد: 15) و(ابن الجوزي 2013، 22: 290) و(ابن واصل، 4: 208) و(المقريزي

93. ملك الألمان ولقبه إنبرور وقيل معناه ملك الأمراء (ابن الأثير 2003، 10: 478).

94. بلبليس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام (الحموي، 1: 567).

صاحب بصرى والسواد⁹²، وكان هذان الأخوان ملازمين خدمة أخيهما الملك المعظم لا يفارقانه" (ابن واصل، 4: 176)، لذلك قرر المعظم ضم حصص وحماة إلى أملاكه وخرج بجيشه سنة 623 هـ متوجهاً إلى حمص، وجرت الحرب بين الملك المعظم وعرب دمشق من جهة وجيش حمص وجيش حلب من جهة أخرى (ابن واصل، 4: 177-178) "وأخرب الملك المعظم قرايا حمص ومزارعها وامتدت غاراته إلى سلمية وهي يومئذ للمظفر بن المنصور وهو عند خاله الملك الكامل بمصر، وطال مقام الملك المعظم على حمص، ولم ينل من قلعتها ومدينتها غرضاً" (ابن واصل، 4: 179)، ثم عاد الملك المعظم إلى دمشق في شهر رمضان من سنة 623 هـ، بسبب كثرة ما مات من خيله وخيل عسكريه (العمري، 27: 164؛ أبو الفداء، المختصر، 3: 169).

من هنا يتبين اتساع الخلاف بين الملوك الأيوبيين وخصوصاً بين المعظم والكامل، لذلك حاول الملك الأشرف إعادة الاتفاق بينهم خوفاً من انهيار الدولة الأيوبية، وتوجه إلى دمشق لغاية الصلح بينهما "قطعاً لمادة الشر، وزينت دمشق لقدم الملك الأشرف" (ابن العديم 1968، 3: 198)، واستطاع المعظم أن يسيطر على الأشرف حتى صار "كالتبع للملك المعظم، لا يمكنه أن ينفرد عنه بأمر ولا يتجاسر لكونه في قبضته وكالأسير عنده على مخالفته في قليل ولا كثير" (ابن واصل، 4: 180)، ولم تكن هذه العلاقة ودية بين الملكين، حيث كان كل منهما يُظهر المحبة للآخر بينما يبطن عكس ذلك في الباطن "والملك المعظم يتلَوْن معه تلَوْن الحرباء" (ابن واصل، 4: 204)، وتمكن المعظم من إجبار الأشرف على حلف اليمين أنه يساعده ضد ملك مصر وملك حمص وملك حماة، وبعد اليمين سمح المعظم لأخيه الأشرف بمغادرة دمشق والعودة إلى بلاده في شهر جمادى الآخرة من سنة 624 هـ (ابن العديم 1968، 3: 201)، وكانت فترة بقاء الأشرف في دمشق حوالي عشرة أشهر، ثم تراجع الأشرف عن يمينه بحجة أنه أقسم مكرهاً، وقد ندم المعظم على سماحه للأشرف بمغادرة دمشق، وكرد فعل على ذلك فإنه أرسل العرب إلى حماة وحمص فعاثوا فيهما (ابن

92. السواد: نواح قرب البلقاء، سُميت بذلك لسواد حجارتها (الحموي، 3: 309).

أعمال المعظم العمرانية

1- كانت الكرك والشوبك بأيدي الصليبيين، وبعد الفتح أعطى صلاح الدين الأيوبي الشوبك والكرك إلى أخيه العادل الذي أعطاهما لابنه المعظم (القلقشندي 1914، 4: 157)، وعام 608 هـ حدث زلزال في مصر والكرك والشوبك ومات خلق كثير تحت الهدم، وسقطت عدة أبراج من قلعة الشوبك (المقريزي 1997، 1: 294)، وقام المعظم بتجميل الشوبك وتحسينها وجلب إليها "غرائب الأشجار حتى تركها تظاهي دمشق في بساطينها وتدفق أنهارها وتزيد بطيب مائها" (القلقشندي 1914، 4: 157).

2- ذكر ابن الجوزي بعض أعمال المعظم "بنى مدرسة بقاسيون ودفن فيها والدته وأخاه المغيث، ومدرسة القدس، ودار المضيف، واعتنى بأرض الحجاز، فبنى حمامين بمعان للرجال والنساء، وأقام لهم الضيافة عند رواحهم إلى مكة ومجيئهم وأباحهم الحمامين، وذرع طريق الحجاز من باب الجابية⁹⁶ إلى مكة، وحفر البرك والمصانع، وأوقف على ذلك ضياعاً من الساحل وعلى المدارس، وكان قد حج سنة إحدى عشرة على طريق تبوك والغلا ففعل ما ذكرناه في طريقه، وكانت الغلا لبني صخر وهي قلعة، فأخذها منهم ورتب فيها جماعة، وعمر المساجد عند جعفر الطيار⁹⁷ رضي الله عنه وأقام الضيافات للزوار، وبنى سور دمشق، والطارمة⁹⁸ التي على باب الحديد، والطيّارة التي عند باب السرّ⁹⁹ المشرفة

96. باب الجابية: الجابية قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وباب جابية دمشق منسوب إلى هذا الموضع، ويقال لها جابية الجولان أيضاً (الحموي، 2: 106).

97. هي مؤتة التي استشهد فيها جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام سنة 8 للهجرة وفيها قبره (الحموي، 5: 255).

98. الطارمة: غرفة عالية محاطة بشبابيك كثيرة تطل على ماحولها، ولغة أهل دمشق "الطيّارة" و"الطرمة"، وطارمة باب الحديد كانت على باب الحديد بقلعة دمشق (الشهابي 1999، 2: 79).

99. باب السرّ: باب قلعة دمشق الغربي الحالي، سُمّي باب السرّ لأن أهل القلعة كانوا يدخلون ويخرجون منه دون أن يدري بهم سكان المدينة داخل السور (الشهابي 1999، 1: 25).

(1997، 1: 346) و(الصفدي 2010، 23: 501) و(الذهبي 1993، 1: 420، 1991: 328، 1996، 22: 12) وعبدالقادر (الدمشقي 1990، 1: 445) و(ابن كثير 1988، 13: 121) أن وفاة المعظم عيسى كانت يوم الجمعة في دمشق في نهاية شهر ذي القعدة/ أول ذي الحجة سنة 624 هـ بمرض الدوزنطاريا عن عمر 47 سنة⁹⁵، وقد اختلف المؤرخون في المدة التي قضاها المعظم عيسى ملكاً مستقلاً على دمشق بعد وفاة الملك العادل، حيث ذكر ابن الأثير أن هذه المدة هي عشر سنين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً (ابن الأثير 2003، 10: 474)، بينما ذكر ابن العميد أن هذه المدة ثمان سنين وستة أشهر واثنان وعشرون يوماً (ابن العميد: 15)، ويرى (ابن واصل، 4: 208) و(العمرى، 27: 167) و(أبو الفداء، المختصر، 3: 171) أن المدة تسع سنين وشهور، ويذكر ابن الجوزي حادث تسميم المعظم دون تأكيدها بشكل قطعي "مرض في نصف شوال... واشتد مرضه وأصابه ذرب عظيم بحيث أنه رمى قطعة من كبده ومصرأاً وكثرت الأقوال أنه سُقي السُمّ وأنهم به جماعة وربك الخبير..." (ابن الجوزي 2013، 22: 289)، وبذلك أسدل الستار على شخصية أيوبية جمعت صفات القيادة والسياسة والدهاء والعلم، وربما كان من الممكن أن يُعيد توحيد الدولة الأيوبية تحت قيادته كما فعل قبله عمه صلاح الدين الأيوبي وأبوه الملك العادل.

كان للمعظم عدد من الأولاد، منهم من مات في حياته، وعاش بعده أربعة، أحدهم توفي صغيراً بعد وفاة المعظم بفترة قليلة، وبقي من الذكور ثلاثة هم: الناصر داود، وُلد عام 603 هـ، واستلم الحكم بعد وفاة والده وكان عمره 21 سنة (ابن واصل، 4: 219)، وتوفي سنة 656 هـ (الذهبي، سير اعلام النبلاء 1996، 23: 376-381) والمغيث شهاب الدين عبدالعزيز توفي سنة 649 هـ في البلاد الشرقية والقاهر بهاء الدين عبد الملك توفي في دمشق في بداية سنة 676 هـ، وله تسع بنات وقيل إحدى عشرة (ابن الجوزي 2013، 22: 294).

95. 49 سنة عند (أبو الفداء، المختصر، 3: 171).

بالقراءات السبع، وشرط أن لا يُصرف من وقفها شيء إلا للحنفية فقط" (ابن واصل، 4: 211).

7- أقام الأبنية على طريق الحاج "وكان قد عزم على أن يبني في كل منزلة من طريق الحاج" (الصفدي 2010، 23: 502)، لذلك "سير في سنة اثنتين وعشرين وستمائة —وهي السنة التي حججت فيها ثانية— من مسح الأرض من باب الجابية إلى جبل عرفات وكتبها له منزلة منزلة، وسهل في طريق الحج مواضع كانت وعرة كثنية الصوان، وكثر المير لهم في أرض الكرك والشوبك وتبوك والغلا والمدينة —على ساكنها السلام— فكان الحجاج يجدون بذلك رفقا" (أبو شامة 1947، 1: 398).

8- بنى في دمشق المدرسة الكبيرة الشافعية المعروفة بالمدرسة العادلية، ودفن فيها والده السلطان العادل (ابن واصل، 4: 219، 220).

9- بنى بركة المعظم على طريق الحاج الشامي، والتي لا تزال موجودة حالياً ضمن أراضي المملكة العربية السعودية على الطريق المعبد الحديث وتحمل نفس الاسم (المعظم)، قال عنها الجزيري "ومن أشهرها بركة المعظم، أمر ببنائها الملك المعظم عيسى بن العادل" (الجزيري 2002، 2: 45)، "وهي بركة عظيمة تملؤها السيول ماءً طيباً، ثم يرحل إلى الأفيرع... ثم يرحل إلى أبيار الحجر ومدائن صالح" (الجزيري 2002، 2: 67)، وزارها ابن بطوطة في رحلته مع قافلة الحج الشامي سنة 726 هـ وقال عنها "وهي ضخمة، نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب، ويجتمع بها ماء المطر في بعض السنين" (ابن بطوطة 1987، 1: 127)، وقال عنها الخياري أثناء مروره بها متوجهاً إلى إسطنبول سنة 1080 هـ "بركة مربعة متسعة النواحي والأطراف لم تر عيني قبلها في الكبر مثلاً، ربما يبلغ كل من طولها وعرضها مائة ذراع بذراع العمل تخميناً وحسباً لا تحقيقاً وعلماً، وهي مبنية بالحجر من جنس ما بُنيت به القلعة من لونه، وكونه منحوتاً وهي غائضة في الأرض، بحيث إذا جاءت الأمطار وسال الوادي امتلأت فانتفع بها الحاج إذا أرادوا" (الخياري،

على دار الطعم العتيقة، وبنى الخان على باب الجابية، وبنى الدار والقصر والقيسارية¹⁰⁰، وغير ذلك" (ابن الجوزي 2013، 22: 292؛ الصفدي 2010، 23: 502).

3- بنى قلعة السلط (الصلت): "وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل" (القلقشندي 1914، 4: 106)، ويذكر العمري بأن سبب بناء الملك المعظم لهذه القلعة "أنه عبرت له جوار هناك، فخرج عليهن طائفة تُعرف ببني دحمان من أهل قرية كفر يهودا فسبوهن وأخذوا جماعة منهن، فبناها على قنة (قمة) جبل يُعرف برأس الأمير" (العمري، 3: 362).

4- بنى المدرسة المعظمية: "بالصالحية¹⁰¹ بسفح قاسيون¹⁰² الغربي جوار المدرسة العزيزية، قال الغزي الحلبي: "المدرسة المعظمية والمدرسة العزيزية مجاورة لها، أنشئت المدرسة المعظمية في سنة إحدى وعشرين وستمائة" (الدمشقي 1999، 1: 445).

5- بنى الفندق الكبير سنة 611 هـ المنسوب إليه بأرض عاتكة¹⁰³ قبلي القنوات ظاهر باب الجابية (أبو شامة 1947، 1: 252؛ ابن كثير 1988، 13: 67).

6- بنى في الحرم الشريف قبة للمذهب الحنفي لأنه كان حنفي المذهب بعكس جميع ملوك البيت الأيوبي الذين كانوا على المذهب الشافعي "ووقف عليها وقفاً جليلاً على أن يشتغل في تلك القبة

100. القيسارية: جمعها قيسار وقيساريات، والكلمة يونانية الأصل، تطلق على السوق المغلق بأروقة تحيط بصحن مكشوف حوله عدد كبير من الدكاكين والمشاعل، وربما ضمّ أماكن إقامة للمسافرين والسكن، ومن تسمياتها المرادفة: الخان، الفندق، الوكالة (الشهابي 1999، 2: 134).

101. الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصالحين (الحموي، 3: 442).

102. قاسيون: هو الجبل المشرف على مدينة دمشق، وفيه عدة مغاور، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح، وهو جبل معظم مقدس، تُروى فيه آثار وللصالحين فيه أخبار (الحموي، 4: 335).

103. أرض عاتكة: خارج باب الجابية من دمشق، منسوبة إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب أم البنين، وهي زوجة عبد الملك بن مروان (الحموي، 1: 182).

(المفصل) مائة دينار سورية، ولمن عرض (الجامع الكبير) مائتي دينار، وكان يبحث ويناظر" (الذهبي 1996، 22: 121)، "وكان المعظم يحب الأدب كثيراً ومدحه جماعة من الشعراء المجيدين فأحسنوا في مدحه، وكانت له رغبة في فن الأدب... وقيل أنه كان قد شرط لكل من يحفظ (المفصل) للزمخشري مائة دينار وخلعة، فحفظه لهذا السبب جماعة، ورأيت بعضهم بدمشق والناس يقولون: إن سبب حفظهم له كان هذا، وقيل أنه لما توفي كان قد انتهى بعضهم إلى أواخره وبعضهم في أثنائه وهم على قدر أوقات شروعهم فيه، ولم أسمع بمثل هذه المنقبة لغيره" (ابن خلكان، 3: 494، 495)، "ولا يقطع الاشتغال بالقرآن والجامع الكبير وسيبويه" (النويري، 29: 94).

وكان من شيوخه في العلم الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي والإمام جمال الدين الحصري، "وكان يتردد إلى الشيخين في معظم الأوقات وربما أتى إليهما ماشياً" (ابن واصل، 4: 210)، ويذكر ابن واصل حب المعظم للقراءة "ولقد وقفت على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط الملك المعظم في عدة مواضع أظنها ستة، يقول في بعضها: أتممت هذا الكتاب مطالعة ومراجعة وأنا منازل مدينة أرسوف¹⁰⁴، وفي بعضها يقول أتممته مطالعة ومراجعة وأنا بنابلس" (ابن واصل، 4: 211).

ومن علمه أنه صنف كتاباً سماه "السهم المصيب في الرد على ابن الخطيب" وذلك رداً على كتاب "تاريخ بغداد" الذي ألفه الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت، وفيه طعن على الإمام أبي حنيفة وأجاب فيه على كل الطعون الواردة في الكتاب (ابن واصل، 4: 212)، وكان عند المعظم جماعة من الفضلاء والعلماء لا يفارقونه في سفر أو في حضر، منهم "فخر القضاة نصر الله بن بركة المصري رحمه الله وكان فاضلاً في فنون الأدب والنظم والرسائل، ومنهم شرف الدين أبو المحاسن بن عنين الدمشقي كاتب الإنشاء" (ابن واصل، 4: 214). وفي شعبان من سنة 624 هـ "أمر المعظم الجمال عبدالله ابن الحافظ عبدالغني أن يرتب مسند الإمام أحمد على أبواب الفقه، فقعد في

1: 48)، وزارها محمد بن عبدالله الحسيني الموسوي الشهير بكبريت سنة 1040 هـ برفقة قافلة الحج وقال عنها "ثم أتينا على المعظم وهو وإد فيه قلعة عثمانية عُمرت سنة إحدى وثلاثين وألف، غير أنه لم يكن بها ماء وقد أشرفت على الدمار... وعند القلعة بركة عظيمة متسعة جداً، يأتيها الماء من الأمطار، ولها خمس وعشرون درجة، ولما وردناها وجدنا منها خمسة عشر درجة في الماء الفرات" (كبريت 1965: 235، 236).

10- بنى جامعاً "في صالحية دمشق الشام في سفح جبل قاسيون، وله فيه مدفن وعليه قبة معقودة بالحجر وهو مدفون فيه، وقد خرب الآن جامعته واندثر، وما بقي منه غير الأثر، واقتلع الناس أحجاره وطمسوا آثاره" (النابلسي 1986: 483).

11- بنى المدرسة النحوية في القدس على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة سنة 604 هـ، كان يُدرس فيها الكتاب لسيبويه (كرد علي، 6: 117).

العلم في حياة المعظم

كان الملك المعظم عيسى محباً وداعماً للعلم والعلماء، ففي سنة 617 هـ "كتب الملك المعظم صاحب دمشق إلى سيف الدين الأمدى يستدعيه ليكون عنده بدمشق، ووعدته الوعود الجميلة، فهرب إليه فولاه الملك المعظم تدريس المدرسة العزيزية، وأنزله في دار بدر عزيزة وأحسن إليه" (ابن واصل 5: 37، 38)، "وكان يحضره الملك المعظم ليالي الجمع مع علماء دمشق، ويسمع بحثه ومجادلته" (ابن واصل، 5: 38)، كما أنه "حفظ القرآن وبرع في المذهب، وغني (بالجامع الكبير) وصنف له شرحاً كبيراً بمعاونة غيره، ولازم التاج الكندي، وتردد إليه إلى درب العجم من القلعة، وتحت إبطه الكتاب، فأخذ عنه (كتاب سيبويه)، وكتاب (الحجة في القراءات)، و(الحماسة)، وحفظ عليه (الإيضاح)، وسمع (مسند الإمام أحمد بن حنبل) وله (ديوان شعر)، سمعه من القوصي فيما زعم، وله مصنف في العروض، وكان ربما لا يقيم الوزن، وكان يتعصب لمذهبه، قد جعل لمن عرض

104. أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية وبافا (الحموي، 1: 182).

والده قبالة دار العقيقي¹⁰⁸، يجلس فيها هو ومن معه من أمرائه وخواصه إلى أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة، فيخرج حينئذ ماشياً إلى تربة عمه صلاح الدين رحمه الله المجاورة للكلاسة فيُصلي الجمعة بها مع الناس، أقام على ذلك زماناً" (أبو شامة 1947، 1: 398).

ومن تواضعه أنه عند البدء بحفر خندق في دمشق في بداية سنة 613 هـ "كان المعظم ومماليكه وعسكره ينقلون التراب، كل واحد يأخذ قفة يجعلها على قربوس¹⁰⁹ سرجه، ويمضون جميعاً مع المعظم نحو الميدان الأخضر¹¹⁰ يفرغون القفاف، ويرجعون يفعلون ذلك كل يوم، ثم انقسموا فرقتين، فكان المعظم وعسكره ينقلون يوماً، وكان أخوه الصالح إسماعيل مع من انضم إليه من العسكر ينقلون يوماً" (أبو شامة 1947، 1: 263).

صفات المعظم العسكرية

وكان له معرفة ودهاء بالحرب استغلها ضد الصليبيين "وكان في أيام الفسخ¹¹¹ مع الفرنج يرتب النيران على الجبال، من باب نابلس إلى عكا، وعلى عكا جبل قريب منها يُقال له الكرمل، كان عليه المنورون، وبينهم وبين الجواسيس علامات، وكان له في عكا أصحاب أخبار وأكثرهم نساء الخيالة، وكانت طاقاتهم في قبالة الكرمل، فإذا عزم الفرنج على الغارة فتحت المرأة الطاقة، فإن كان يخرج مائة فارس أوقدت المرأة شمعة واحدة، وإن كانوا مائتين

108. دار العقيقي: تقع في حي الكلاسة بدمشق، وكانت في السابق دار أبي أيوب الملك الأفضل نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين الأيوبي، بُني مكانها المدرسة الظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر بيبرس البندقداري سنة 678 هـ (الشهابي 1999، 1: 281، 2: 194، 195).

109. القربوس: جنو السَّرج (الجزء المرتفع من السَّرج)، للسَّرج قربوسان، فأما القربوس المقدم ففيه العضدان وهما رجلا السَّرج، والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة (ابن منظور، 6: 172).

110. الميدان الأخضر: أكبر ميادين دمشق، كان يمتد بين التكية السليمانية وساحة الأمويين، ذُكر من العهد السلجوقي سنة 507 هـ، نظَّمه السلطان نور الدين زنكي وأنشأ فيه مكاناً للحيوانات المصابة، وكان المماليك يمارسون فيه ألعاب الفروسية (الشهابي 1999، 2: 322).

111. الفتح عند (النويري، 29: 94).

الكلاسة¹⁰⁵ ومعه جماعة من المحدثين، ومنهم الشرف الإريلي، فرتبوه، فمات المعظم وهم على ذلك" (ابن الجوزي 2013، 22: 284).

تواضع المعظم

ويصف كل من العمري وابن واصل تواضع المعظم بأنه "قليل التكلف جداً، لا يركب في السناجق السلطانية¹⁰⁶ في غالب أوقاته، بل يركب في جمع قليل، وعلى رأسه كلوتة¹⁰⁷ صفراء بلا شاش علم، ويتخرق الأسواق والطرق، ولا يُطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك" (ابن واصل، 4: 210؛ العمري، 27: 167)، كما وصفه ابن واصل "ولقد رأيته بالبيت المقدس في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، والرجال والنساء والصبيان بالجامع الأقصى يزاحمونه ولا يردهم أحد عنه، وهذا المسلك لم يسلكه أحد من أهل بيته ولا غيرهم، ولما كثر هذا ضُرب به المثل، فكان الإنسان إذا فعل فعلاً لا تكلف فيه قيل: فعل بالمعظمي" (ابن واصل، 4: 210)، "وكان لا يركب في غالب أوقاته بالعصائب، ويلبس كلوتة صفراء بلا عمامة، وربما مشى بين العوام حتى كان يُضرب المثل بفعله" (الذهبي 1996، 22: 122).

ومن تواضعه أنه "كان عديم الالتفات إلى ما يرغب فيه الملوك من الأبهة والتعظيم والمدح وغير ذلك، فكان ينهي نوابه على إمرة الحاج الشامي من مزاحمة الملوك في إطلاع الأعلام إلى رأس جبل عرفات، فكننت ترى علمه مركوزاً إلى جانب محمله تحت الجبل، وكان يركب وحده مراراً كثيرة ثم يتبعه من شاء من غلمان طاردين خلفه، وإذا كان بدمشق يأتي كل جمعة في الساعة الرابعة أو نحوها إلى تربة

105. الكلاسة: إحدى المدارس الشافعية في دمشق، متصلة بالجامع الأموي من شماله ولها باب إليه، أنشأها نور الدين زنكي سنة 555 هـ، سميت بالكلاسة لأنها بُنيت مكان استخراج الكلس عند بناء الجامع الأموي، أمر صلاح الدين الأيوبي بترميمها، ودرس فيها كثير من الفقهاء والعلماء (كرد علي، 6: 86).

106. نوع من أعلام السلاطين والملوك وهي رايات صفراء صغيرة، وأول من حمل السنجق على رأسه من الملوك في ركوبه هو غازي بن زنكي أخو السلطان نور الدين محمود زنكي (القلقشندي 1914: 4: 8).

107. من كلاة وتعني القبة وهي عبارة عن قبة محشوة بالقطن (حلاق وصباغ 1999: 191).

ومن مواقفه التي تدل على فطنته السياسية أنه صلب رئيس عصاية يُسمى ابن الكعكي سنة 622 هـ في سوق الغنم العتيق على طريق الميدان الأخضر (أبو شامة 1947، 1: 378) وذلك بسبب خوف المعظم أن يسيطر على دمشق "وكان ابن الكعكي رأس حزب، وله جماعة أتباع وكانوا ينزلون على الناس في البساتين، ويقتلون وينهبون، والمعظم يوم ذاك بالكرك، وبلغه أن ابن الكعكي قال لأخيه الملك الصالح إسماعيل: أنا أخذ لك دمشق، وكان إسماعيل ببصري، فكتب الملك المعظم إلى والي دمشق، أن يصلب ابن الكعكي ورفيقه منكسين، فصُلِّبا في العشر الأخير من رمضان" (ابن الجوزي 2013، 22: 274؛ النويري، 29: 86)، وكان رفيق ابن الكعكي رجلاً خباطاً، وقد شهد له أهل دمشق بالصلاح والبراعة من أعمال ابن الكعكي (ابن الجوزي 2013، 22: 472).

من شعر المعظم

وكان شاعراً، ومن شعره وقد مرض بالحمى
(ابن العماد 1991، 7: 202):
زارت محصّة الذنوب وودعت
تباً لها من زائر ومودع
باتت معانقتي كأني حبها
ومقبلها ومبئئها في اضلعي
قالت وقد عزمت على ترحالها
ماذا تريد؟ فقلت: ألا ترجعي
وله أيضاً:

هجم الشتاء ونحن بالبيداء
فدفعْتُ شِرتَه بصوت غناء
وجمعتُ قافات يزول بجمعها
همّ الشتاء ولوعة البرحاء
قدح وقانون وقاني قهوة
مع قينة في قبة زرقاء

رأي معاصريه به

كان المعظم محط إعجاب وتقدير معاصريه، فقد أمر الخليفة العباسي رسوله إلى الملك المعظم سنة 623 هـ أن يخاطبه "بشهر يار الشام"، وقال عنه الملك الظاهر ملك حلب سنة 612 هـ "والله هو واسطة العقد

شمعتين، وإن كانوا يريدون قصد حوران وناحية دمشق أشارت إلى تلك الناحية، وكذا إلى نابلس، فكان قد ضيَّق على الفرنج الطرق إذا قصدوا جهة سبق إليها بعسكره، وكان يعطي النساء الجواسيس في كل فسح جملة كثيرة" (ابن الجوزي 2013، 22: 287؛ النويري، 29: 94).

وفي حادثة أخرى يرويه ابن الجوزي أن المعظم أرسل أحد الرهبان ليتجسس على جيش الإمبراطور فريدريك الثاني، حيث يقول فيها: "حكى لي سعد الدين مسعود والي الجولان قال: كنت والياً بالشوبك، وكان بها راهب منفرد في بعض الجبال، فجاءني كتاب المعظم بنفيه، فنفيته، فغاب سنة، وجاءني بكتاب المعظم يقول: أعده إلى مكانه وتوصَّ به، فبحثت عن قصته، وإذا به قد بعث به إلى البحر كشف له أخبار الإنبرور (الإمبراطور) على وجهها، وإنما نفاه لئلا يُتهم فيتأذى، وأطلق له أرضاً يعيش منها وأعطاه مائة دينار" (ابن الجوزي 2013، 22: 288).

وكان للمعظم جيش قوي منظم "وكان عسكره قريب ثلاثة آلاف فارس، ولم يكن عند أحد من إخوته جند مثلهم، في فرط تجملهم وحسن زيَّهم، وكان بهذا العسكر القليل يقاوم أخويه الملك الكامل والملك الأشرف وبياريهما، وكان الملك الكامل يخافه لما يتوهمه من ميل عسكر مصر إليه ومحبتهم له، ولما يعلمونه من قيامه بأمر الجند وعنايته بهم، وكان الملك الكامل مع سعة ملكه وعديد عسكره الذي يناهز اثني عشر ألفاً لا يجسر على الخروج إلى الشام، ويظن أنه إن خرج إلى الشام انحاز أكثر عسكره إلى الملك المعظم، وحيل بينه وبين الديار المصرية، فكان لذلك يداريه ويهادنه في الظاهر، وكان الملك المعظم مع ذلك يداري أخاه الملك الكامل ويخطب له على منابر بلاده، ولا يذكر اسمه معه في غالب أوقاته، ويضرب السكة باسمه وكذلك يداري أخاه الملك الأشرف" (ابن واصل، 4: 209).

وكان "يوصف بالشجاعة والكرم والتواضع، ساق مرة إلى الإسكندرية في ثمانية أيام على فرس واحد، واعدَّ القصّاد وأصحاب الأخبار، وكان على كتفه الفرنج، فكان يظلم، ويدير ضمان الخمر ليستخدم في ذلك، وكان يركب وحده مراراً ثم يلحقه مماليكه يتطاردون" (الذهبي 1996، 22: 121).

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
1988 **البداية والنهاية**، الجزء 13، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد
1996 **لسان العرب**، المجلد 6، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ابن واصل، جمال الدين محمد
2004 **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، الأجزاء 1، 2، 3، 4، 5، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال والدكتور حسنين محمد ربيع.
- أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن
1947 **المذيل على الروضتين**، الجزء 1، تحقيق إبراهيم الزبيق، دار الرسالة العالمية.
- 2002 **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، الأجزاء 1، 2، 3، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد
د.ت. **المختصر في أخبار البشر**، الجزء 3، تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب والأستاذ يحيى سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 2008 **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود مدرس العربية والألارون ماك كوكين ديسلان، طبع في مدينة باريس، دار الطباعة السلطانية، دار صادر، بيروت، لبنان.
- الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن صفى الدين الملقب عماد الدين
1987 **البرق الشامي**، الجزء 3، نسخة إلكترونية. آن بلنت
- 2007 **الحج إلى نجد مهد العرق العربي**، الجزء 1، ترجمة صبري محمد حسن، تقديم ومراجعة رعوف عباس حامد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى.
- البادي، عوض
2002 **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، منطقة الجوف ووادي السرحان 1845-1922**، نصوص مترجمة، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية.
- البخيت، محمد عدنان
2009 **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
- البغدادى، صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق
1992 **مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، المجلد 1، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- بيل، جيرتروود
2013 **العامر والغامر، رحلة من القدس إلى أنطاكية عام 1905**، ترجمة وفاء الذهبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى.

وعين القلادة، ولولا همّته وأنه مشغول بجهاد الأعداء لما قرّر لي قرار"، وقال عنه أخوه الملك الكامل "وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا الملك المعظم، ومن حفظ عليّ البلاد وأحياني بعد الموت غيره" (ابن الجوزي 2013، 22: 292).

المراجع العربية

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم
1987 **الكامل في التاريخ**، المجلد 4، تحقيق الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم
2003 **الكامل في التاريخ**، المجلد 10، تحقيق الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الرابعة.
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي
1987 **تحفة النظّار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار**، الجزء 1، قدم له وحققه الشيخ محمد عبدالمنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن
1929 **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، الجزء 6، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف
2013 **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، الجزء 22، تحقيق إبراهيم الزبيق، دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين
1978 **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المجلدات 1، 2، 3، 4، 5، 7، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان.
- ابن شداد، بهاء الدين بن شداد
1994 **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)**، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ابن العديم، المولى الصاحب كمال الدين أبو القاسم
1968 **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، الجزء 3، تحقيق سامي الدّهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.
- ابن العماد، الإمام شهاب الدين أبو الفلاح
1991 **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المجلد 7، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن العميد، المكين جرجس
2011 **أخبار الأيوبيين**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.

شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله
 1865 **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، طبع في مدينة
 بطرسبورغ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية.
 الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك
 2010 **الوافي بالوفيات**، الجزء 23، باعتناء مونيكا غرونكه،
 الكتاب العربي للنشر، برلين، الطبعة الأولى.
 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير
 1965 **تاريخ الرسل والملوك**، الجزء 7، تحقيق محمد أبو
 الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
 العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى
 2010 **مسالك الإبصار في ممالك الأمصار**، الأجزاء 2، 3،
 27، تحقيق مهدي النجم وكامل سلمان الجبوري، دار
 الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
 غوانمة، يوسف حسن درويش
 1980 **إمارة الكرك الأيوبية**، منشورات بلدية الكرك، عمان،
 الأردن.
 2015 **التاريخ السياسي للأردن في عصر دولة المماليك
 الأولى**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
 فورد، آر تشيول
 2011 **مغامرات بين العرب**، ترجمة مارية عثمان، هيئة
 أبوظبي للثقافة والتراث.
 القلقشندي، أبو العباس أحمد
 1914 **صبح الأعشى**، الجزء 4، دار الكتب الخديوية، المطبعة
 الأميرية، القاهرة، مصر.
 كبريت، محمد بن عبدالله الحسيني
 1965 **رحلة الشتاء والصيف**، تحقيق وتقديم وفهرسة الأستاذ
 محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة
 والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
 كرد علي، محمد
 1954 **خطط الشام**، الجزء 6، مكتبة النوري، دمشق، سوريا،
 الطبعة الثانية.
 لورنس، ت.أ.، المعروف بلورنس العرب
 1963 **أعمدة الحكمة السبعة**، منشورات المكتب التجاري
 للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة
 الأولى.
 المغربي، ابن سعيد
 1958 **بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق الدكتور
 خوان قرنيط حينيس، تطوان، معهد مولاي الحسن.
 المقرئ، تقي الدين أبو العباس
 1997 **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر
 عطا، الجزء 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
 الطبعة الأولى.
 موزيل، لويس
 2010 **في الصحراء العربية**، رحلات ومغامرات في شمال
 جزيرة العرب 1908-1915، ترجمة عبدالإله الملاح،
 هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات
 العربية المتحدة، الطبعة الأولى.

2016 **رسائل جيرتروود بيل 1899-1914م**، ترجمة رزق
 الله بطرس.
 الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر
 2002 **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة
 المعظمة**، المجلد 2، تحقيق محمد حسن محمد حسن
 إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة
 الأولى.
 الحصان، عبدالقادر محمود
 1999 **محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور**، مطابع
 الأرز، الطبعة الأولى.
 حلاق، حسان وصباح، عباس
 1999 **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية
 والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**،
 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
 الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله
 د.ت. **معجم البلدان**، الأجزاء 1، 2، 3، 4، 5، تحقيق فريد
 عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
 الخطيب، إبراهيم ياسين
 2001 **القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل
 الأيوبي**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،
 الطبعة الأولى.
 الخياري، إبراهيم بن عبدالرحمن الخياري
 د.ت. **تحفة الأدباء وسلوة الغرباء**، الجزء 1، تحقيق رجا
 محمود السامرائي.
 الدمشقي، عبدالقادر بن محمد النعيمي
 1990 **الدارس في تاريخ المدارس**، الجزء 1، أعد فهارسه
 إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
 الطبعة الأولى.
 الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان
 1991 **الإشارة إلى وفيات الأعيان**، تحقيق إبراهيم صالح، دار
 ابن الأثير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
 1993 **الإعلام بوفيات الأعلام**، المجلد 1، تحقيق مصطفى بن
 علي عوض وربيع أبو بكر عبدالباقي، مؤسسة الكتب
 الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
 1997 **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الجزء 43،
 تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب
 العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
 1996 **سير اعلام النبلاء**، الأجزاء 20، 21، 22، 23، تحقيق
 شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي والدكتور
 بشار عواد معروف والدكتور محيي هلال السرحان،
 مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الحادية عشرة.
 الزركلي، خير الدين
 2002 **الأعلام - قاموس تراجم**، الجزء 8، دار العلم للملايين،
 بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر.
 الشهابي، قتيبة
 1999 **معجم دمشق التاريخي**، الجزآن 1، 2، منشورات
 وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا.

عارف الدهيثم: ترجمة الأعلام والوظائف في نقش قلعة الأزرق الأيوبي

هاردنغ، لانكستر

1965 آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، منشورات اللجنة
الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عن العددين 1 و2
من السنة الثامنة، الطبعة الأولى.

هوبير، شارل

2003 رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882م،
ترجمة إليسار سعادة، كتب، بيروت، لبنان.

المراجع الأجنبية

Butler, H.C.; Frederick A.N. and Edward R.S.

1930 *Syria, Publications of the Princeton University
Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905
and 1909*, Leyden, Division 1.

ميرل، سيلاه

2010 شرق الأردن سجل رحلات وملاحظات في بلاد مؤاب
وجلعاد وباشان، ترجمة محمد رفيق النجار، مراجعة
وتدقيق سمير عزت نصار، الأهلية للنشر والتوزيع
عمان، الأردن، الطبعة العربية الأولى.

النبلسي، عبدالغني بن إسماعيل

1986 الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر
والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة
المصرية العامة للكتاب.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

2003 نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء 29، تحقيق
الدكتور نجيب مصطفى فواز والدكتورة حكمت كشلي
فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

دراسة موقع الطلحات على طريق درب زبيدة - العراق في ضوء أعمال المسح الميداني والكشف عن نقوش إسلامية هامة وتسليط الأضواء عليها

حيدر محمد الرماحي، ومحمد كاظم محمد، وعبدالقادر محمود الحصان

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على بركة الطلحات الواقعة على طريق درب زبيدة - العراق (طريق الحج العراقي) في ضوء أعمال المسح الأثرية الحديثة، كما يهدف إلى دراسة النقوش الإسلامية التي عثر عليها أثناء أعمال المسح الأثري الميداني.

الكلمات المفتاحية

العراق، درب زبيدة، طريق الحج العراقي، بركة الطلحات، نقوش إسلامية.

بركة الطلحات

الوصف الجيوغرافي

هو سهل ضيق يمر به طريق الحج البري القديم، إحداثيات مركزها (شمال 30.5607.22، شرق 43.5422.99)، ويتراوح ارتفاعه بين 265 و270م فوق سطح البحر وتحيط بجانبيه مناطق صخرية وعرة جداً تبدأ بالارتفاع كلما ابتعدت عنه. وأرض المنطقة طينية بسبب تراكم الطمي والسيول الموسمية، وتتخللها عدة طرق ترابية تربط بين محافظة النجف وناحية الشبكة الحدودية القريبة من المملكة العربية السعودية.

تمتاز بركة الطلحات بوجود أشجار الطلح الباسقة وهي من نوع *Acacia Gerrardi Negevensis* مع نباتات معمرة وحولية أخرى. وتقع المناطق الأثرية

على يمين طريق الحج البري بالنسبة الى المتجه إلى الديار المقدسة في الحجاز.

التنقيبات السابقة

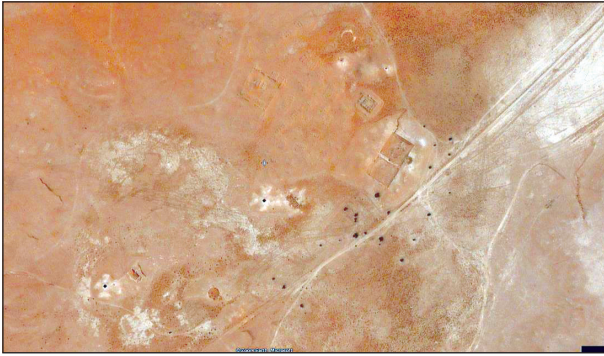
لم تجر أي تنقيبات سابقة والمنطقة غير مسجلة ضمن أرشيف دائرة الآثار العراقية.

وصف الموقع الأثري

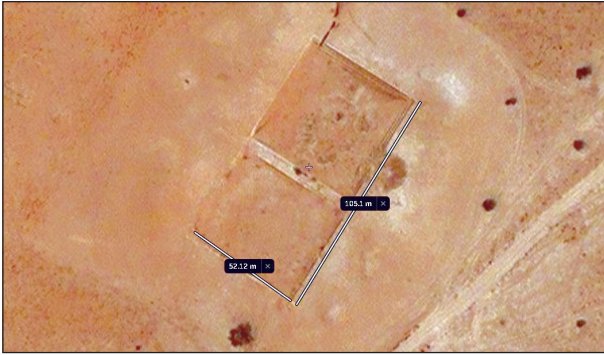
المنطقة الأثرية الحالية تشغل مساحة كيلومتر مربع واحد، وتتكون من عدة معالم أثرية بعضها قائم والآخر مندرس، والمعلم الرئيس القائم هو حوض المياه الكبير والذي ستقاس أبعاد بقية المعالم الأثرية نسبة إليه (الشكل 1).

• **حوض جمع المياه الكبير:** الحوض ما زال بوضع جيد وتغمر قاعه الرمال الخفيفة، وهو مستطيل الشكل مبني من حجارة مشذبة مغلفة من الداخل بطبقة شيد ممزوج برمل السيل، والحوض ذو شكل هندسي متقن بزوايا قائمة يبلغ طوله 105م وعرضه 52م، وينقسم الحوض من منتصفه بجدار سميك إلى حوضين متساويين وله مجرى مائي يصب فيه من ناحية الزاوية الشمالية، ولا توجد أي كتابات أو نقوش فيه (على الأقل في الجزء الظاهر منه) (الشكل 2).

• **القصر:** هو بناء متهدم يقع إلى الشمال من حوض جمع المياه الكبير وهو عبارة عن باحة مربعة



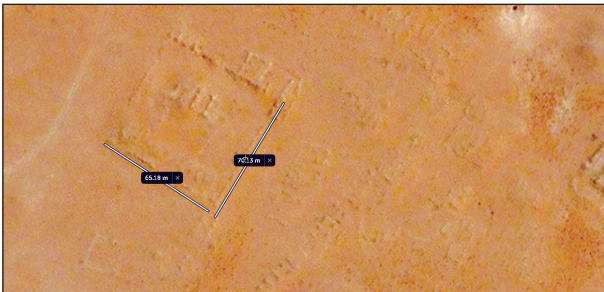
1. صورة جوية لموقع بركة الطلحات يبين بقايا المنطقة الأثرية.



2. يبين الحوض الرئيس لجمع المياه ويظهر مجرى مليء بالمياه في زاوية الحوض الشمالية.



3. 1. القصر، 2. البئر الدائري، 3. الحوض الدائري (الزبيدي).



4. الحصن الكبير مع عدد كبير من أطلال البيوت الصغيرة التي تنتشر بينه وبين القصر.

الشكل طول ضلعها 24م مقسمة من الداخل إلى غرف وبوابتها شمالية. ويحيط بالقصر من جهتيه الشمالية والغربية سياج يبعد عن البناء 5م وطول جزئه الشمالي 36م والغربي 35م (الشكل 3).

- **البئر الدائريان:** ويقعان شمال القصر ويبعد الأول عن حوض جمع المياه الرئيس 129م والثاني 185م وهما محفوران بالصخر وغير مغلفين بالحجر وإلى الشمال منهما أثر ضعيف لبركة دائرية (زبيدية) متهدمة بصوره شبه تامة قطرها 32م ويبدو أنها تعرضت للتخريب في فترة ما سابقة (الشكل 3).

- **الحصن الكبير:** يتوسط المنطقة الأثرية ويبعد 252م عن شمال شرق الحوض الرئيس وهو بقايا أطلال بناء قديم من الحجارة المتهدمة في معظمها، طوله 70م وعرضه 65م، ويتوسطه بناء بمساحة 254م² وعلى الجدار الجنوبي صف من الغرف تشغل مساحة حوالي 1000م². الباب في الاتجاه الشمالي الشرقي وهو بعرض خمسة أمتار وبجوارها غرفة خارجية بمساحة 180م². وعلى بعد 54م من جانب الحصن الكبير الشمالي الشرقي هناك دائرتان حجريتان مرصوفتان قطر كل منهما 20م يبدو أنهما حوطتا عبادة (بيت صلاة) أو مركزان دفاعيان أو مقبرتان وذلك لعدم وضوح معالمها جيداً (الشكل 4).

- **البيوت الصغيرة:** تنتشر آثار البيوت الصغيرة بين الحصن الكبير والحوض الرئيس وبعضها منفرد وأغلبها مرصوفة وموصولة مع بعض البعض لتشكل شوارع غير منتظمة الشكل (الشكل 4).

- **البئر المربع الأول:** يبعد 214م عن جهة الحوض الرئيس الجنوبية الغربية، وهو بئر يقع على ربوة أنقاض، وله فتحة مربعة (فوهة البئر) طول ضلعها 5م وهو مغلف بحجارة مشذبة متقنة الصقل وهو مشابه لأغلب آبار طريق الحج القديمة (طريق زبيدة) وهناك قناة مائية سطحية مرصوفة بالحجر تنقل الماء من البئر إلى الحوض الصغير الأول (الشكل 5).

- **الحوض الصغير الأول:** حوض ذو شكل مستطيل طول ضلعه الموازي للبئر 29م وعرضه 15م، وهناك مدرجان يقع كل منهما وسط أضلاع طول

الشوائب في قعره ويبدو أن هذه الفتحة أو الميزاب من ضمن بئر الحوض الرئيس (الشكل 6).

- **الحوض الدائري (الزبيدي):** شبه مدفون بالرمال ويبعد مسافة 394م عن الحوض الرئيس و137م عن الحوض الصغير الثاني وهو بقطر 25م ويبدو أنه مصمم لجمع مياه الأمطار حيث ينتهي به أحد فروع الوديان الصغيرة (الشكل 6).

الوصف التاريخي

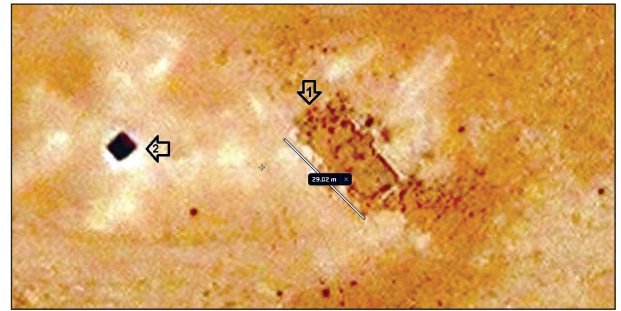
إن اللغظ الذي يحصل لمتتبع هذا الموقع هو في كثرة التسميات وشمول الوصف وهذه صفة العرب؛ فهم يطلقون التسميات الوصفية على ما يرون، كما أن وصفهم لأرض القبيلة ما لا يمكن قياسه بأحد الأحياء أو الحارات في الوقت الحالي، فمثلاً عندما تذكر كتب التاريخ مقراً لبني يربوع لا يمكن تطبيقه على المنطقة الأثرية التي وصفت سابقاً تحت مسمى بركة الطلحات، التي لا تتجاوز مساحتها كيلومتراً مربعاً واحداً وكانت العرب تقول: "من تربع الحزن وتشنتي الصمان وتقيظ الشرف فقد أخصب"، وهذا يدل على تنوع موائل قبائلهم واتساعها.

إن المعلومات عن هذا الموقع تبدو للوهلة الأولى متضاربة فبعض المصادر يذكرها منطقة وعرة لا ترعاها الحيوانات جدياً قليلة الماء (1)، ومصادر أخرى تصفها بأجود مراعي البادية (2)، ومنهم من يصفها بأهم منازل طريق الحج ومنهم من يستثنى منها، ومن أهم الأسماء التي تنطبق أوصافها على هذه المنطقة:

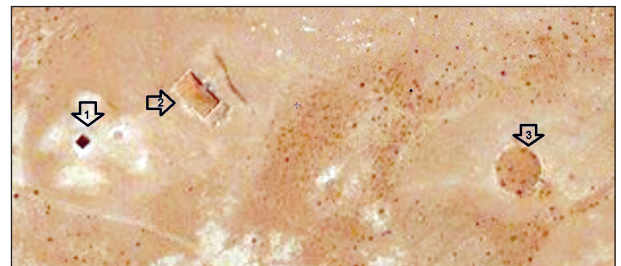
1. حزن بني يربوع أو أرض الحزن: والحزن هي الأرض الغليظة الوعرة وتعود إلى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وصف (3) مكانها قائلاً أن المصعد لمكة المكرمة ينتهي من أول الحزن من العذيب إلى أرض تدعى البيضة حتى يبلغ مرحلة العقبة في أرض تدعى البسيطة والوصف مطابق تماماً لموقع بركة الطلحات.
2. البيضة: يصفها ياقوت الحموي (3) أنها موقع بين العذيب وواقصة (7) في أرض الحزن وهي ديار بني يربوع بن حنظلة وفي موضع آخر يقول هي متصلة بحزن بني يربوع. وهو كلام دقيق جداً يجعلها الجزء السهل من الحزن (3).

الحوض وهما مسندان بدعامات أسطوانية، وهو مبني من الحجارة، ومبلم بطبقة مصقولة من جص مقاوم للمياه (شيد مُطْفَأً)، والحوض مدفون بشكل شبه كامل بالرمال (الشكل 5).

- **البئر الكبير الثاني:** هو نسخة طبق الأصل عن البئر الكبير الأول إلا أن أغلب حجارته المغلفة قد هوت وسقطت إلى قعره، ويبدو أنه رمم أكثر من مرة بدليل اختلاف نوع الحجارة ووجود كتابات ورموز وبقايا لما يبدو أنها آيات قرآنية كريمة، وهناك قناة نقل المياه السطحية بطول خمسة أمتار تربط البئر بالحوض الصغير الثاني (الشكل 6).
- **الحوض الصغير الثاني:** يقع شمال شرق البئر وهو بحالة جيدة، بطول 23م وعرض 13م، وله مدخلان مدرجان من جانبيه بعرض ثلاثة أمتار وهما مسندان بدعامات أسطوانية. ويبدو أنه رمم عدة مرات حيث أن هناك عدة طبقات من مادة التغليف الكلسية (القسارة الجدارية) سقط بعضها فظهر من تحتها كثير من الكتابات والنقوش العربية الشمالية (الصفائية) والإسلامية القديمة. في جهة هذا الحوض الجنوبية هناك حوض ملحق آخر بعرض خمسة أمتار يبدو أنه خاص لتجميع مياه السيول (حوض تصفية) وتظهر بين الحوضين فتحة عالية تسمح بمرور الماء الصافي بعد ترسب



5. 1. الحوض الصغير الأول، 2. البئر المربع الأول.



6. 1. البئر الكبير الثاني، 2. الحوض الصغير الثاني، 3. الحوض الدائري (الزبيدي).

هدم وإعمار بركة الطلحات

ذكرت عدة مصادر تاريخية بسبب أهمية هذا المنزل من منازل طريق الحج العراقي فإنه تعرض للتخريب والتدمير على يد القرامطة حيث قام ذكرويه القرمطي (أبو طاهر) بدم وتخریب الآبار والأحواض بالتراب والحجارة والجيف (درر الفوائد) ومنعوا الحج وقتلوا من الحجاج عدداً كبيراً، وبعدها ذكر سبط الجوزي أن الخليفة العباسي المقتدر بالله أعاد ترميم طريق الحج وكان ينفق سنوياً على طريق الحج 300 ألف دينار، وكانت أمه الملقبة بأم جعفر شغوفة بصيانة درب الحج حتى أنها أنفقت عليه ألف ألف دينار (19).

دراسة النقوش العربية الإسلامية المكتشفة في بركة الطلحات

أولاً: النقوش الأموية (القرنان الهجريان الأول والثاني)

1. الحوض الصغير الثاني: عثر على هذا النقش منحوتاً على القصاراة الجدارية الخاصة في الموقع الأثري (الشكل 7).
طول النقش: 76سم، عرض النقش: 12سم.
عدد الأسطر: سطر واحد.
عدد الكلمات: ثلاث كلمات.
نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط بسيط منحوت على القصاراة بأداة حادة.
صيغة النقش: الحمد لله.
تاريخ النقش: أموي مبكر - القرن الأول الهجري.
قراءة النقش: الحمد لله الكبير.

الشرح والتحليل

يبدأ الكاتب نقشه بأداة حادة على القصاراة الجدارية



7. النقش الأول (الحمد لله الكبير).

3. القرعاء ذكرت أغلب كتب التاريخ التي تناولت طريق الحج البري ثلاثة منازل للطريق في الجانب العراقي هي العذيب والقرعاء وواقصة والقرعاء (4، 5، 6) اسم مطابق لسهل بركة الطلحات حيث أنه مغطى بالطين المستوي وهو خال من العشب لأنه ينظم باستمرار مع كل موسم أمطار بشكل تراكمي مع الملح والطيني على حد سواء.

4. طلع: موضع في ديار بني يربوع وطلحي منطقة في صدر الإسلام كانت لبني يربوع وهي التيسية وكان جزء كبير منها يسمى حزن بني يربوع. ذو طلوح ذكرت بعدة مصادر أنها منطقة تابعة لحزن بني يربوع بين العذيب وواقصة والمغيثة (4)، كما أنها ظهرت في خارطة محطات درب زبيدة في دراسة علمية موثقة للدكتور الراشد (12) ضمن المحطات الرئيسة للطريق الخاص للمنازل الواقعة على طريق الحج العراقي ما بين بركة المسجد وبركة السمعية وواقصة (نفس المرجع السابق الذكر ص 41).

وتدل الفقرات السابقة في أمهات كتب التاريخ على أن حزن بني يربوع هي أرض واسعة وعرة وفي الوقت الحالي فإن جوانب بركة الطلحات وعرة لايمكن التنقل خلالها إلا بصعوبة بالغة ومن غير المعقول أن تختار قبيلة عربية عريقة خربت البادية مثل هذا الموضع الوعر، والآن أن تكون من ضمنها مناطق ذات مراعى جيدة وآبار مياه، ومن هذه المناطق البيضاء أو القرعاء التي هي حتماً جزء من حزن بني يربوع والتي يمر بها طريق الحج البري ومنطقة أخرى قمنا باكتشافها (فريق البحث العلمي الميداني) على مسافة بعد الأرض الوعره غربي منطقة بركة الطلحات وتسمى محلياً الصنع (بكسر الصاد والنون)، وهي عبارة عن مرعى كبير محصن بالتلال الوعره المحيطة به ويتوسطها بئر قديم مربع مغلف بحجر يبلغ طول ضلعه 1,5م. وحوله على ما يبدو مدينة قديمة دارسة نوعاً ما. فقد زار المستشرق موزل المنطقة عام 1908 وذكر نصاً عنها كالآتي: "إن سهل البيضاء يمتد من ذي حسم وهو نفسه ما ذكر في كتب العرب على أنه ماء بين واقصة والعذيب ويسمى اليوم بركة الطلحات" (9).

صيغة النقش: لفظ الجلالة (الله).

تاريخ النقش: أموي مبكر - القرن الهجري الأول.

قراءة النقش: الله.

الشرح والتحليل

وثق الكاتب نقشه عبر تسجيل لفظ الجلالة (الله)

عز وجل.

ثانيًا: النقوش العباسية (القرنان الهجريان الثالث والرابع)

4. بركة الطلحات/البئر الكبير الثاني: حجارة البئر

من الداخل المدمك الثالث المرمم في العصر

العباسي.

طول النقش: 30سم عرض النقش: 27سم.

عدد الأسطر: سطر واحد.

عدد الكلمات: ثلاث كلمات.

نوع الخط وشكله والزخارف المستخدمة فيه:

كوفي غير منقوط مزخرف ومورق واللام ألف

مجدولة ثلاث جدلات متداخلة.

صيغة النقش: تسجيل اسم الخليفة العباسي.

تاريخ النقش: عباسي يعود إلى 295-320هـ

الموافق 908-932م مرحلة حكم الخليفة المقتدر

بالله والملقب بجعفر الإمام.

قراءة النقش: عبد الله جعفر الإمام.

الشرح والتحليل

نلاحظ أن الكاتب (الناحت) قد نحت اسم الخليفة

العباسي جعفر الإمام الملقب بالمقتدر بالله وقد

سبق اسمه لقب عبد الله وهذه سمة في كل الكتابات

الأموية والعباسية وهو لقب كان يطلق على

أصحاب الشأن.

5. بركة الطلحات/البئر الكبير الثاني: عثر على هذا

النقش منحوتًا على حجرين ضمن المدمك الثالث

المرمم داخل البئر ذاكراً اسم الخليفة العباسي

الثامن عشر الذي حكم بين 295 و320هـ أي

أنه حكم مدة 24 سنة متواصلة، وقد ساهم في

ترميم درب زبيدة على ما يبدو من خلال تلك

النقوش الهامة غير المؤرخة للأسف ومن الممكن

أن تكون سقطت داخل البئر فلابد من البحث

عنها للوصول إلى تاريخ الترميم وإصلاح البئر

والموقع الخاص بالحجاج العراقيين وبلاد فارس

على السواء (الشكل 10).

بتسجيل حمده لله الكبير، وذلك لأنه وجد المياه في
البئر على الأرجح حينذاك.

2. بركة الطلحات: الحوض الصغير الثاني، نحتت

الكتابة بطريقة الحز بأداة حادة على القسارة

الجدارية والخاصة بالبناء (الشكل 8).

طول النقش: 67سم، عرض النقش: 10-15سم.

عدد الأسطر: سطر واحد.

عدد الكلمات: كلمة واحدة.

نوع الخط وشكله: كوفي بسيط غير منقوط صيغة

النقش: تسجيل اسم الشخص.

تاريخ النقش: أموي مبكر - القرن الأول الهجري.

قراءة النقش: حنظل.

الشرح والتحليل

على الرغم من أن الحرف الأول غير واضح في

الصورة إلا أن الاسم واضح، وبما أن الأرض

لبنى يربوع بن حنظلة فلا عجب من تكرار نفس

الاسم بين أفراد القبيلة لعدة أجيال (انظر الصورة

رقم واحد).

3. بركة الطلحات - الحوض الصغير الثاني: عثر

على هذا النقش على الجدار الخارجي منحوتًا

على القسارة الجدارية بأداة حادة (الشكل 9).

طول النقش: 30سم، عرض النقش: 25سم.

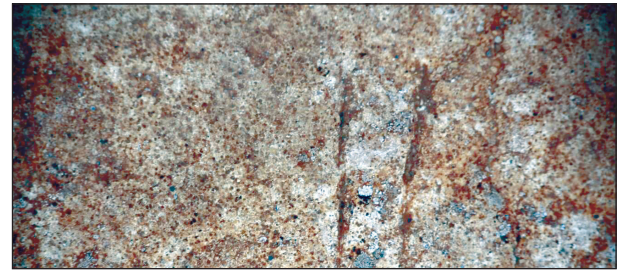
عدد الأسطر: سطر واحد.

عدد الكلمات: كلمة واحدة.

نوع الخط وشكله: كوفي مبكر بسيط غير منقوط.



8. النقش الثاني (لحنظل).



9. النقش الثالث (الله).

طائفة على طريق الحج بعد أن خرب ملامحه ذكرويه القرمطي وجماعته المشؤومة.
6. بركة الطلحات/البئر الكبير الثاني: فكما هي حال النقوش سابقة الذكر العباسية فقد عثر على نقشين متجاورين كل منهما على حجر مربع بقياس 70سم وبينهما حجر مزخرف عليه هيئة معينين متداخلين الأول غائر في الحجر والثاني الأوسط حدوده بارزة بشكل واضح وهذه زخارف هندسية معتمدة في ذلك العصر (الشكل 11).
طول النقش الأيمن: 50سم، عرض النقش: 30سم.

عدد الأسطر: سطران.
عدد الكلمات: أربع كلمات.
نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط غائر عن طريق النحت بأداة حادة.
صيغة النقش: تأكيد وتوثيق العمل مع اسم العامل في أعمال الترميم والصيانة.
تاريخ النقش: عباسي - القرنان الهجريان الثالث والرابع.

قراءة النقش (الشكل 12):

1- عمل الحيقر 2- محمد رسول

الشرح والتحليل

يبدأ الكاتب نقشه بتبيين منفذ العمل المعماري لجدران البئر واصفاً نفسه بالحقيقر، ولكن هناك خطأ إملائي حيث قدم سن الياء على حرف القاف كما هو في قراءة النقش أعلاه وذلك في سطره الأول، أما في سطره الثاني فيذكر لنا اسمه من مقطعين محمد رسول أي أنه محمد ابن رسول دون ذكر كنيته أو اسم عائلته - قبيلته.

7. بركة الطلحات/البئر الكبير الثاني: وفي الحجر الثاني الأيسر يوجد نقش توثيقي لاسم المنفذ المساعد على الأرجح مكون من ثلاثة أسطر على نفس المدماك الثاني المرمم من الأسفل في نفس البئر (الشكل 13).

طول النقش: 50سم، عرض النقش: 40سم.

عدد الأسطر: ثلاثة أسطر.

عدد الكلمات: خمس كلمات.

نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط موزق زخرفياً.

طول النقش: 60سم، عرض النقش 40سم.
عدد الأسطر: سطر واحد على حجرين متجاورين.
عدد الكلمات: أربع كلمات.
نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط مزخرف وجميل المظهر استخدمت فيه الجدلة خاصة للآم ألف، كما أن الناحت وضع حرف الراء فوق حرف التاء مباشرة لعدم وجود مكان له.
صيغة النقش: ذكر اسم الخليفة العباسي ولقبه.
تاريخ النقش: عباسي يعود إلى القرن الهجري الثالث وبداية القرن الرابع بين عامي 295 و320هـ.

قراءة النقش: المقتدر بالله جعفر الإمام.

الشرح والتحليل

يبدأ الكاتب - الناحت بنحت اسم الخليفة العباسي الثامن عشر على حجرين متجاورين داخل البئر لتأريخ ذكرى تأسيس البئر ذكراً اسمه وألقابه، ويلاحظ أن الخلافة العباسية ضعفت في عهده وكثرت الفتن وانشقت الدولة الفاطمية في مصر والمغرب عنه، وكذلك ظهر المدعو قرمط في البحرين ومنع الحج سنوات عديدة بعد سرقة الحجر الأسود من الكعبة المشرفة، وكما مر ذكره بالسابق أن الخليفة المقتدر كان يصرف أموالاً



10. النقش الخامس (المقتدر بالله جعفر الإمام).



11. صورة النجمة الثمانية لعلها تكون مهمة في معرفة تاريخ استخدام نقش النجوم المسدسة والخماسية في العمارة الإسلامية وخاصة في الفترتين الأموية والعباسية.

حيدر الرماحي وآخرون: موقع الطلحات على طريق درب زبيدة - العراق

9. بركة الطلحات/ البئر الكبير الثاني: وهذا النقش العباسي عثر عليه أيضًا ضمن امتداد الخط الخاص لكل الحجارة التذكارية التأسيسية لترقيم البئر الكبير الثاني (الشكل 15).
طول النقش: 40سم، ارتفاع النقش: 50سم.
عدد الأسطر: ستة أسطر.
عدد الكلمات: تسع كلمات.



12. النقش السادس (عمل الحيقر محمد رسول).



13. النقش السابع (عمل محمد بن جعفر الكبير).



14. النقش الثامن (عمل محمد بن حويان/خويان)، والحجر الذي بعده رسة معينين متداخلين.

صيغة النقش: تحقيق اسم العامل واسم أبيه ولقبه.
تاريخ النقش: عباسي مبكر - القرنان الثالث والرابع الهجريان.
قراءة النقش: (انظر الصورة المرفقة رقم (7)).

1- عمل محمد

2- بن جعفر

3- الكبير (كذا)

الشرح والتحليل

يبدأ الكاتب نقشه بذكر فعل "عمل" الخاص به من خلال إعمار البئر وإصلاحه وترميمه ذاكراً اسمه واسم أبيه ولقبه الكبير ويلاحظ عدم تحقيق سن الياء في كبير فكتبها بدون سن لحرف الياء كما أسلفت.

8. بركة الطلحات/ البئر الكبير الثاني: وعلى امتداد نفس حجارة النقشين السابقين يوجد نقش ثالث وقبله يوجد حجر مزخرف على هيئة إشارة ضرب ضمن إطار مربع وبعده مباشرة حجر عليه زخرف نجمة ثمانية ضمن إطار مربع وهي سمة خاصة بالعباسيين أي النجمة الثمانية (الشكل 14).

طول النقش: 45سم، عرض النقش: 40سم.

عدد الأسطر: سطران.

عدد الكلمات: أربع كلمات.

نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط مزخرف الأطراف.

صيغة النقش: تحقيق العمل وذكر اسم العامل واسم أبيه.

تاريخ النقش: عباسي مبكر - القرنان الثالث والرابع الهجريان.

قراءة النقش:

1- عمل محمد

2- بن حويان (خويان) أو (خوبان)

الشرح والتحليل

يبدأ الكاتب نقشه بذكر فعل "عمل" في بداية السطر الأول، وبعدها يذكر اسمه واسم أبيه ويمكن قراءة اسم الأب خويان أو حويان على السواء لعدم وجود تنقيط في ذلك العصر ويرجح الباحث اسم خويان أو خوبان وهي بالفارسية بمعنى جيّدون ومفردتها خوب.

4- الحكم لله

5- الواحد القها

6- ر (كذا)

الشرح والتحليل

يبدأ الكاتب نقشه بالطلب من الله عز وجل باستخدام صيغة الفعل الماضي أن يتغمد شخصاً اسمه عبد الرحيم برحمته، وأن يرحمه ويغفر له، ومن ثم يذكر أسماء الله الحسنى مقتبساً من القرآن الكريم من سورة الأعراف (7) من الآية الكريمة (16) بقوله جل وعلا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) صدق الله العظيم.

ويكتب الكاتب ذكر صفات الله الأخرى غير الموجودة في الآية الكريمة مثل القدرة والحكم. ومن خلال الملاحظات الإملائية نرى أن الكاتب لم يكمل لفظ الجلالة الله، وعلى الرغم من تعرض الكتابة لبعض التشويه في السطرين الأولين إلا أن النص واضح للباحث، هذا وقد وضع حرف الراء في سطر وحده أسفل القهار لتكتمل الكلمة كما فعل أنفاً في كلمة المقتدر إذ أنه وضع حرف الراء هناك فوق حرف التاء مباشرة وهذا فن خالص ومقدرة على الكتابة العملية والتحكم بالكتابة حسب حجم الحجر المنحوت عليه ومساحة الكتابة المنقوشة عليه أيضاً.

10- خربة بني يربوع - ذو طلوح (طلح) (الشكل 16).

طول النقش: 30سم.

عرض النقش: 20سم.

عدد الأسطر: سطر واحد.

عدد الكلمات: كلمة واحدة وحرف جر.

نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط وقد وضع حرف الجر (الباء) وحده مفصلاً وليس موصولاً مع كلمة واد (انظر الصورة المرفقة).

صيغة النقش: تحديد مكان معين جغرافياً في المنطقة وهو وادي.

تاريخ النقش: عباسي مبكر - القرنان الثالث والرابع الهجريان.

قراءة النقش:

1- ب واد.

الشرح والتحليل

نلاحظ من خلال صورة النقش وما جاورها من

نوع الخط وشكله: كوفي غير منقوط غائر في الحجر.

صيغة النقش: طلب الرحمة لشخص اسمه عبد الرحيم، الاقتباس من القرآن الكريم من سورة غافر آية رقم (16).

تاريخ النقش: عباسي مبكر - القرنان الثالث والرابع الهجريان.

قراءة النقش:

1- تغمد الله

2- عبد الرحيم الملك

3- والقدرة و



15. نقش الدعاء.



16. النقش العاشر (ب واد).



17. النقش الثاني عشر (الإطار).

الشرح والتحليل

للأسف الشديد تساقط الحجارة التي على مستوى النقش وفي صفه الأمامي وهذا الأمر حرمانا من معرفة ماهية الكتابة كاملة غير منقوصة في ذلك الشريط التاريخي الهام للإطار نفسه، ويحدونا الأمل والرجاء أن يتم إجراء أعمال تنقيب مستقبلية يعثر خلالها على ما فقد من الحجارة المنحوت عليها تلك الكلمات والعبارات الهامة والمهمة على السواء لتكتمل الصورة عند الباحثين والقراء على السواء.

حيدر محمد الرماحي ومحمد كاظم محمد
جامعة الكوفة - العراق
منظمة النعمان لحماية بيئة وتراث البادية

عبدالقادر محمود الحصان
باحث أكاديمي، المفرق - الأردن.

المراجع

- القرآن الكريم.
الطبري
1967 تاريخ الرسل والملوك، ج 5، ص: 40.
العلي، أحمد صالح
1965 منطقة الكوفة دراسة طوبغرافية مستندة للمصادر الأدبية، مجلة سومر مجلد 21.
ياقوت الحموي
1995 معجم البلدان، ج 4، ص: 41.
ابن رسته
1892 الأعلام النفيسة، ص: 174-180.
اليقوي
2009 البلدان، ص: 312.
ابن خردادبة
2004 المسالك والممالك، ص: 110-111.
الإسكندري، نصر بن عبد الرحمن
دب. الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والآثار، الجزء 2.
حمد، كنعان
2009 أمراء وأسرى وخواتين حكايات مستخلصة من رحلة ابن جبير الأندلسي 1183-1185، دار السويدي للنشر والتوزيع، ص: 264.
أ. موزل
1972 طريق الحج العراقي القديم عن كتاب شمال نجد، ترجمة: دار اليمامة، مجلة العرب، السنة السابعة، جزء 5، ص: 37.

حجارة أن هنالك الكثير من حجارة البركة - البئر قد نزعت من مكانها وعلى الأرجح أن يكون هنالك تنمة لهذا النقش الهام قد سقطت في غياهب البئر أو قد أخذت إلى مكان آخر، فحرف الجر الباء وضع وحده وقد كتب بعده مباشرة واد بكسر التنوين.

وهذا الحجر المنحوت عليه وجد في آخر جدار البركة - البئر وهو متقاطع مع جدار آخر نحتت عليه كلمة واحدة وحرف جر واحد كالتالي: ب واد، وقد تكون اقتباسا من آية من القرآن الكريم من سورة إبراهيم الآية (37).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) وذلك لأن المنطقة تقع في أعماق البادية على الطريق المؤدي إلى نجد والحجاز على طريق - درب زبيدة الخاص بالحج العراقي وجواره من بلاد المسلمين، كما هو الحال في طريق الحج الشامي وطريق الحج المصري أيضًا، وقد استفيد من الوديان القريبة في الحصاد المائي عبر العصور وخاصة وادي الأبيض وكذلك وادي عمج وهي عادة قديمة متوارثة من العهود النبطية القديمة في عملية الحصاد المائي.

11- النقش الحادي عشر: (الشكل 17).

الطول: 30سم، العرض: 20سم.
عدد الكلمات: كلمة واحدة.
عدد الأسطر: سطر واحد.
نوع الخط وشكله: كوفي مزخرف وغير منقوط، وقد تقفن النحات بنحت الأحرف وخاصة أحرف الألف واللام ألف واللام الموصولة وحرف الطاء أيضًا وذلك بوضع نهايات معكوفة لها بشكل شبه مورق، كما أنه استخدم اللام المجدولة داخليًا على هيئة ثلاث جدلات متداخلة على شكل ثلاث مثلثات متساوية الأضلاع بشكل جميل وجذاب.
صيغة النقش: كلمة واحدة تذكر الإطار الخاص بالنقش أو إطار البركة المرممة - البئر وجداره.
تاريخ النقش: عباسي مبكر نهاية القرن الهجري الثالث وبداية القرن الرابع.
قراءة النقش:
الاطار

2008 مدونة النقوش العربية الإسلامية في الأردن، المجلد الأول، وزارة الثقافة الأردنية، مادة النقوش العباسية والأموية، مطبعة السفير، عمان، الأردن.
الراشد، سعد بن عبدالعزيز
1983 الربذة، المحطات الرئيسة والمنازل الواقعة على طريق الحج العراقي، ص: 40-41، جامعة الملك سعود، الرياض.

عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي
2011 الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، جزء 1، دار الكتب العلمية، بيروت.
الحصان، عبدالقادر
2006 القلاع والخانات التركية العثمانية على طريق الحاج الشامية في الديار الأردنية، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة الأردنية، مطبعة السفير، عمان، الأردن.

بيت راس 2024-2018

ساهر عبدالعزيز طويق

الموقع الجغرافي

تقع بلدة بيت راس شمال مدينة إربد وهي ملاصقة لها تمامًا، وتتربع على هضبة مرتفعة تعد من أعلى مناطق محافظة إربد، إذ ترتفع عن سطح البحر 595م. تقع بيت راس على هضبة مرتفعة، وتحيط بها الوديان من الجهات الأربع. يسود المنطقة مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل شتاءً الحار صيفًا. وتتميز التربة في المنطقة بأنها تربة صالحة للزراعة وخصبة وتنتشر في المنطقة زراعة الزيتون والعنب وغيرها.

أصل التسمية

تتكون كلمة بيت راس من شقين الأول بيت ويعني مكان السكن والإقامة، والثاني راس ويعني الشيء المرتفع أو العالي، فيصبح معناها السكن في المكان المرتفع.

ويذكر ياقوت الحموي أن بيت راس لغويًا تعني العيش في المرتفعات، حيث أن بيت يعني منزل، أما راس يعني أعلى ارتفاع البلدة، وقد تم التعرف على معاصر العنب في الجهة الجنوبية. ويورد البكري أن بيت راس سميت كابيتوليوس خلال العصر الروماني، وكلمة كابيتو تعني "رأسًا" وهي أعلى نقطة في جسم الإنسان، ولياس تعني المنزل، ويقول البكري:

من بيت راس عتقت في الختام

شج بصهباء لها سورة

يولى عليها فرط عام فعام

عتقها دهرًا رجاء برها

وفي الفترة الرومانية أطلق عليها اسم المدينة الجديدة جوبيتر كابيتوليانس Gupiter Capitolinus نسبة للمعبد الرئيسي في المدينة والذي ظهر على مسكوكات من بيت راس.

ويذكر البلاذري أن المدينة دخلت في الإسلام بدون قتال إبان الفتح الإسلامي لبلاد الشام. ويرد ذكر مدينة بيت راس في شعر شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول حسان بن ثابت:

كأن خبيئة من بيت راس

يكون مزاجها عسل وماء

كما ورد ذكر المدينة في لائحة المؤرخ الروماني بطليموس باسم كابتوليوس ضمن مدن حلف الديكابولس الرومانية العشرة.

قال فيها مصطفى وهبي التل (عرار) قصيدة

وا حنيني إلى كأس

مشعشة والدنان بتراسي

تاريخ البحث الأثري

زار المدينة عدد من الرحالة والرواد أمثال سيتزن وجيمس سلك بكنجهام وميرل ومتمان وشيري لينزن ومكويتي وشومخر الذي قام بإعداد المخططات لبعض المناطق المهمة في المدينة حسب اعتقاده بين عامي

الميلادي كغيرها من المدن الأخرى في المنطقة. وقد أعيد استخدام المدينة في العصور اللاحقة البيزنطية والإسلامية، ولا تزال بيت راس مسكونة وعامرة بالحياة حتى هذا اليوم.

مخطط المدينة

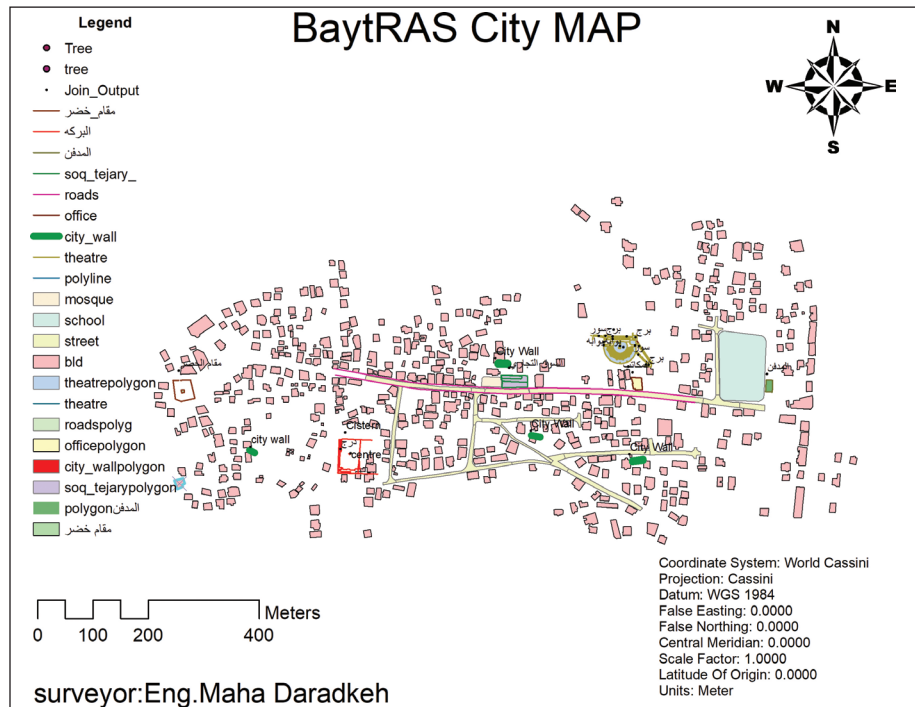
في ثمانينيات القرن التاسع عشر زار المدينة المهندس الألماني شوماخر، الذي وثق المدينة من خلال رسم مخطط لها، فقد رسم ما كان ظاهرًا في ذلك الوقت، حيث رسم الأسوار وشارع الكاردو وجزءًا من الديكومانوس الذي يصل إلى البركة، ورسم بركتين في المدينة وبوابة المدينة، وذكر وجود مبانٍ وأعمده مهذمة لكنه لم يتطرق لوجود مسرح لا من خلال الوصف ولا من خلال المخطط، ولكن بمقارنة المخطط الحالي للمدينة مع مخطط شوماخر فإن المسرح يقع في الطرف الشمالي الشرقي للمدينة، ولكن بسبب اختفاء معظم أجزاء أسوار المدينة ولغاية الآن من الصعب وضع المسرح على مخطط شوماخر. في مواسم التنقيبات في المدينة 2021 و2023 تم إعادة رسم مخططات جديدة للمدينة الأثرية حسب أرض الواقع، حيث تم وضع كافة المعالم الأثرية الظاهرة على المخطط وتنشيت موقع المسرح لأول مرة على مخطط المدينة، إلا أنه من الصعب إسقاط

1878 و1879، وقد أشار إلى منطقة رأس التل، وأظهر أن المدينة كانت محاطة بسور وأثناء تنقيبات شيري لنزن في المنطقة خلصت إلى أن هذا الجدار هو جزء من سور المدينة (كبيتولياس الرومانية) أدرجها نلسون جلوك ضمن عملية المسح الأثري التي قام بها لمواقع شرقي الأردن عام 1951.

وفي عام 1999 قامت دائرة الآثار الأردنية بالكشف عن باقي العناصر المعمارية والحضارية في الموقع للدلالة على عظمة المدينة في تلك الآونة.

تاريخ الاستقرار في المدينة

أرخت المدينة بناءً على تأريخ سك العملة والكسر الفخارية التي عثر عليها في أكثر من منطقة في المدينة سواء من المدافن أو المعاصر أو المسرح، وكذلك على المسكوكات التي أرخت إلى 165-166م. وقد كانت هذه الفترة بداية سك المسكوكات في المدن وتأسست المدينة في فترة حكم تراجان 98/97م وقد زاد من ازدهار المدينة وقوعها على الطريق التجاري المعروف باسم طريق تراجان، وكانت تشكل مع المدن الرومانية الأخرى حلف مدن العشر المعروف باسم حلف الديكابولس، ومع إنشاء الولاية العربية عام 106م خضعت بيت راس إلى فلسطين وتحديداً إلى مقاطعة قيساريا إدارياً في القرن الثاني



1. مخطط المدينة الحديث.

واقع مسرح بيت راس بهدف إظهار التعديلات التي جرت على الموقع أثناء البناء. والتعديلات المعمارية التي جرت عليه وخاصة في منطقة المنصة والبوابات الشرقية المتصلة من الخارج مع أسوار المدينة الأول والثاني وكذلك اتصال سور المدينة مع البرج الغربي واتصال نظام التصريف المائي مع سور المدينة من الجانب الغربي من المسرح والذي تم اكتشافه موسم 2018 (الشكلان 3 و4).

بوابات المسرح

يحتوي المسرح على 16 بوابة (باستثناء بوابات مداخل الجمهور وبوابات كهوف الأوركسترا) وتقع هذه البوابات حول منصة المسرح وأوركسترا المسرح وتفصيلها كالآتي:

بوابة رقم (1)

بوابة أوركسترا من الطرف الشرقي إغلاق فترة واحدة مبنية من الحجارة الجيرية المتآكلة، جوانب البوابة مزخرفة وكانت تستخدم لدخول الممثلين والفرق الموسيقية إلى الأوركسترا.

بوابة رقم (2)

بوابة المنصة من الطرف الشرقي إغلاق فترة واحدة مبنية من الحجارة الجيرية المتآكلة أعلى البوابة قوس، تم إغلاق البوابة من الخلف لاحقاً وهو ملتصق بالجدار الخارجي للمسرح بجانب البوابة من الجهة الشمالية (يسار) يوجد مدخل من أجل الصعود إلى البرج.

بوابة رقم (3)

بوابة البرج الشرقي الخارجية مغلقة فترة واحدة.

موقع المسرح على مخططات شوماخر بسبب عدم دقة قياساته على أرض الواقع (الشكلان 1 و2).

المواقع الرئيسية

مسرح بيت راس

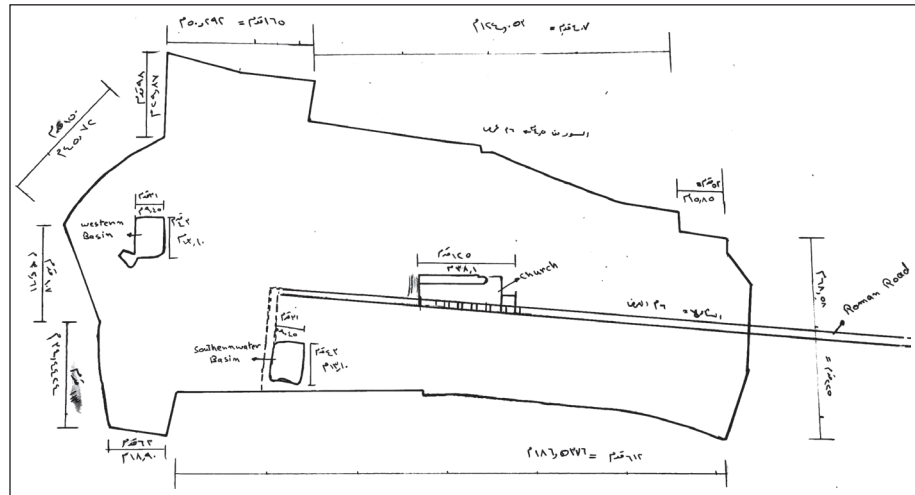
تم عمل توثيق أولي للمسرح من خلال التوثيق الوصفي والتوثيق بالقياسات حيث تم تجزئة المسرح إلى مجموعة مظاهر وظيفية هي على النحو التالي:

1. البوابات.
2. جدار Back stage.
3. منصة المسرح.
4. الأوركسترا.
5. كهوف الأوركسترا.
6. المدرج.
7. الغرف الجانبية.
8. الأبراج.
9. مداخل الجمهور.
10. الفريسكو.
11. القناة الوسطية للمسرح.

تم إنهاء أعمال التوثيق للبوابات والأوركسترا حسب التوثيق والتصوير.

وعلى الجانب الآخر من أعمال التوثيق أجريت أعمال الرسم والرفع المساحي للمسرح حسب الرسومات المرفقة وتم من خلال الفريق العامل أعمال الدراسة المقارنة بين مسرح بيت راس والمخططات الأصلية للمسارح الرومانية حسب المهندس الروماني فيتروفياس.

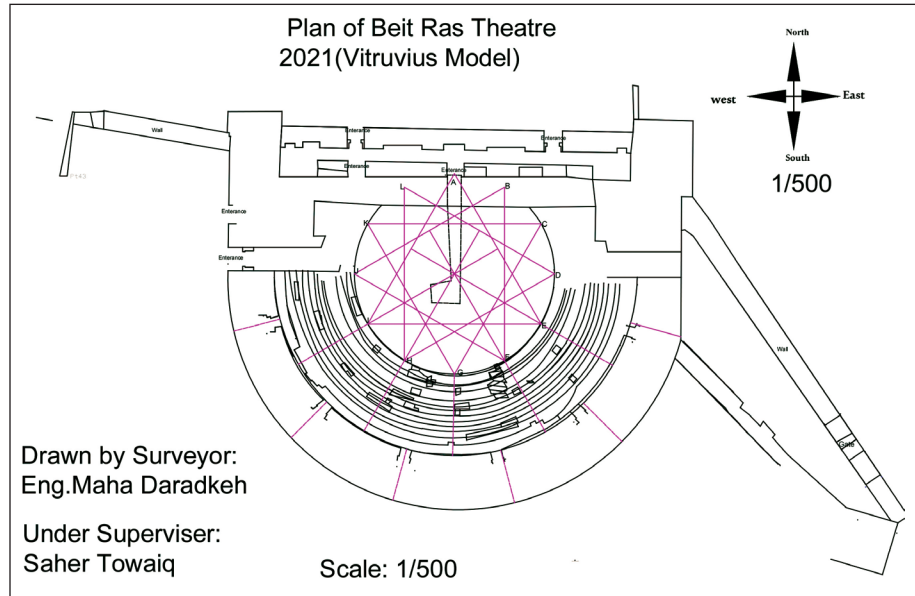
إذ تم تطبيق أسس بناء المسارح الرومانية على



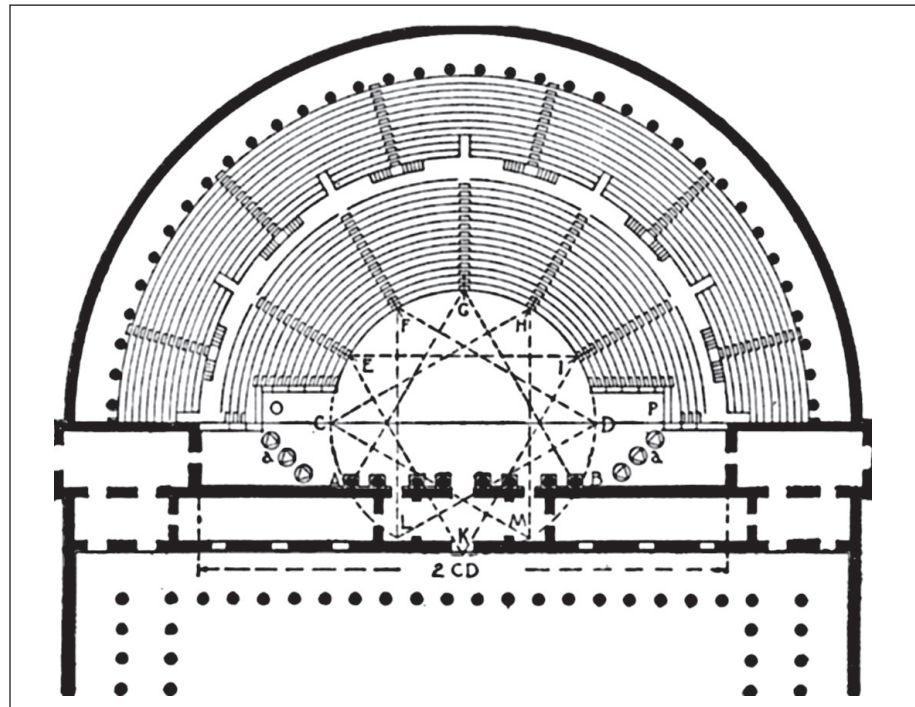
2. مخطط شوماخر.

- (7) بوابة رقم
مدخل المسرح الرئيسي في وسط جدار المنصة
مغلقة.
- (8) بوابة رقم
بوابة مسرح رئيسية جانبية في الطرف الغربي
مفتوحة.
- (9) بوابة رقم
بوابة في الطرف الغربي لجدار منصة المسرح
نصف مغلقة بسور المدينة وقد تم إغلاقها في فترات

- (4) بوابة رقم
بوابة خدمات غرفة غيار الملابس شرقية مغلقة
فترة واحدة.
- (5) بوابة رقم
بوابة بالطرف الشرقي في جدار منصة المسرح
مغلقة فترتين.
- (6) بوابة رقم
بوابة مسرح رئيسية جانبية في الطرف الشرقي
مفتوحة.



3. مخطط المسرح.



4. مخطط فيتروفياس.

الأوركسترا

يعتبر شكل الأوركسترا في مسرح بيت راس الأثري قطع دائري كما يظهر من خلال المخططات ذو أرضية صخرية كما بنيت جدران الأوركسترا على شكل قوس من الحجارة البازلتية والجيرية التي تأكلت بفعل العوامل الجوية عبر الزمن ويميز أوركسترا بيت راس الجدران التي تفصل الأوركسترا عن منصة المسرح إذ تعتبر نقطة وصل ما بين منصة المسرح والمدرج لتكمل دائرة الأوركسترا. وتبين من خلال دراسات المقارنة مع باقي مسارح الأردن (16 مسرح) تعتبر علامة فارقة لمسرح بيت راس حيث لا تتكرر هذه الظاهرة في باقي المسارح لغاية الآن ولم يتم معرفة الوظيفة البنائية لهذه الأسوار الداخلية ذات المداخل الضيقة بسبب عدم وجود قرائن مماثلة في باقي مسارح المنطقة، كما تحتوي الأوركسترا على مدخلين من الجهتين الشرقية والغربية يؤديان إلى داخل الأوركسترا وخارجها. تنخفض الأوركسترا عن المنصة 2,70م وتنخفض عن المدرج 3,13م كما يتوسطها قناة محفورة بالصخر تمتد بالاتجاه الشمالي إلى خارج المسرح من تحت المنصة. يوجد في الاتجاه الشمالي الشرقي للأوركسترا قطع صخري مستطيل محاذ للجدار الصخري للمسرح طوله 2,45م وعرضه 70سم.

كهوف الأوركسترا

تقع الكهوف في القطع الصخري للأوركسترا، إذ يحتوي القطع الصخري على 3 كهوف إذ يبلغ ارتفاع الكهف الأول الذي يقع في الجهة الغربية للقطع الصخري والذي يبعد عن جدار الأوركسترا 2م وعرض مدخله 1,60م وعمقه 2م ويبعد عن الكهف الأوسط 10,70م ويبلغ ارتفاع الكهف الأوسط 2,35م وعرض عتبة 2,10م وعمقه 2,30م كما يحتوي الكهف على عتبة مرتفعة ما يدل على أن الكهف كان يحتوي على بوابة ويبعد عن الكهف الثالث والذي يقع في الجهة الغربية لجدار المدرج 10,60م ويبلغ ارتفاعه 2,60م وعرض عتبة 1,65م وعمقه 2,35م كما يحتوي على عتبة مرتفعة مما يدل على أن الكهف كان يحتوي على بوابة ويبعد عن جدار الأوركسترا الغربي 7,35م. ونستنتج من المخطط أن المسافات متقاربة ما بين الكهوف مما يدل على أنها محفورة

لاحقة وهذه البوابة مبنية من الحجارة الجيرية المتآكلة.
بوابة رقم (10)

بوابة في نهاية جدار منصة المسرح في الطرف الغربي مغلقة فترة واحدة وهي بوابة غرف غيار ملابس غربية.

بوابة رقم (11)

بوابة البرج الغربي نصف مغلقة.

بوابة رقم (12)

بوابة منصة المسرح الغربية الخارجية نصف مغلقة.

بوابة رقم (13)

بوابة منصة المسرح من الطرف الغربي الداخلية مفتوحة.

بوابة رقم (14)

بوابة أوركسترا المسرح من الطرف الغربي مفتوحة.

بوابة رقم (15)

بوابة في جدار المنصة الداخلي من الطرف الغربي مفتوح.

بوابة رقم (16)

بوابة في جدار المنصة الداخلي من الطرف الشرقي مفتوح.

جدار Backstage

الجدار الخارجي يحتوي على 7 بوابات تم إغلاق 5 بوابات واثنان مفتوحان من الجهة الغربية والشرقية ويبلغ عرضه 1,50×44,4م وطول وارتفاع الجدار 5,20م وقد تعرض جزء من الجدار للانهدام والتدمير من الأعلى.

الجدار الداخلي يوجد صفيين من الحجارة سمكها 1,70م وارتفاعها 4,60م وطوله 44,4م.

منصة المسرح

تقع المنصة في الجهة الشمالية من المسرح وهي مبنية من الحجر الكلسي وهي الجزء المخصص للنشاطات الفنية وتحتوي على جدارين جدار داخلي وجدار خارجي.

يدويا بالصخر أي أنها ليست كهوفاً طبيعية بالإضافة إلى وجود آثار النحت في الكهوف مما يدل على أنها نحتت بالصخر يدويا.

المدرج

يتكون مدرج بيت راس الأثري من مستويين سفلي وعلوي مدمرين، حيث تم حفر جزئه الأوسط في الصخر وتم بناء الأطراف، إذ يحتوي المستوى السفلي على 14 صفاً ما تبقى من مقاعدها 75 مقعد بازلت من الأسفل إلى الأعلى وتتمثل فيما يلي: الصف الأول = 5 مقاعد، الصف الثاني = 9 مقاعد، الصف الثالث = 3 مقاعد، الصف الرابع = 4 مقاعد، الصف الخامس = 4 مقاعد، الصف السادس = 3 مقاعد، الصف السابع = 10 مقاعد، الصف الثامن = 3 مقاعد، الصف التاسع = 4 مقاعد، الصف العاشر = 13 مقعد، الصف الحادي عشر = 4 مقاعد، الصف الثاني عشر = 0 مقعد، الصف الثالث عشر = 4 مقاعد، الصف الرابع عشر = 9 مقاعد. ويفصل المستوى السفلي عن العلوي بممر عرضه 1,25م ويحتوي الجزء العلوي على 8 صفوف بقي فيها 5 مقاعد متآكلة تتوزع على كافة الصفوف، إذ تتميز المقاعد بوجود حفر زخرفي بشكل طولي على الأطراف و عرض المقعد 65سم، كما يحتوي المدرج على مقعد واحد ذي مسند خلفي VIP وتتراوح مسافة المدرج من نقطة المركز إلى نهاية المستوى العلوي 30م كما تحتوي بعض هذه المقاعد على ثقب ويقدّر سعه المسرح بـ 2000 مشاهد.

الأبراج

برجان يقعان على زوايا المسرح الشمالي الشرقي والشمالي الغربي، وهما متمثلان، حيث يحتويان على درج صاعد يلتف حول عمود وسطي وهو مربع الشكل واتجاه دوران الدرج الصاعد بعكس اتجاه عقارب الساعة، وما يميز هذه الأبراج هو وجود المظاهر العسكرية، من ارتباط بالأسوار ووجود فتحات إطلاق السهام، ويحتوي كل برج على مدخلين واحد إلى داخل المسرح والآخر مباشرة إلى خارج المسرح، وهذه المخارج مغلقة حالياً بسبب الإضافة الخارجية التي تمت على الجدار الرئيسي من واجهة المسرح الشمالية.

الفريسكو

يقع الفريسكو على واجهة القطع الصخري للأوركسترا وإذ يحتوي القطع الصخري على العديد من بقايا الفريسكو المتآكلة، إذ وجدت بقايا الفريسكو على الجدار الشرقي للقطع الصخري للأوركسترا بجانب القبو الشرقي من الجهة الشمالية على طول 1,60م وعرض 5,40م كما تحتوي على طبقة من القصاراة وطبقة من الجبصين ولونها وردي وبني، كما وجدت لوحة الفريسكو الثانية بجانب القبو الأوسط من الجهة الجنوبية الشرقية على طول 2,25م وعرض 5,70م وتحتوي على طبقة من القصاراة وطبقتين من الجبصين، إذ تتميز هذه الفريسكو بأنها طبقتين متلاصقتين من الفريسكو، أما اللوحة الثالثة وجدت بجانب القبو الأوسط من الجهة الجنوبية على طول 1,25م وعرض 6,60م وتحتوي على طبقة من القصاراة وطبقة من الجبصين باللون الوردي والبني، أما اللوحة الأخيرة تقع في الاتجاه الغربي للقطع الصخري للأوركسترا على طول 2,40م وعرض 3,60م وتحتوي على طبقة من الجبص وطبقة من القصاراة، وهذه اللوحات غير مكتملة وهي على شكل أجزاء متفرقة.

القناة الوسطية في المسرح

تقع القناة في وسط أوركسترا مسرح بيت راس الأثري وهي محفورة بالصخر تبدأ بمربع صخري عمقه 1,70م وعرضه 2,70م وطوله 2,50م حيث يحتوي على طبقة من القصاراة من الجهة الجنوبية وطبقتين من الجهة الغربية ويتصل مع قناة طولها 14,25م وارتفاعها 1,42م حيث تمتد من منتصف الأوركسترا باتجاه الشمال يتوسطها حاجز صخري ويمتد تحت المنصة بنفق طوله 18,80م، وارتفاعه 1,8م، وعرضه 1م ولم يتم التعرف على وظيفة هذه القناة حتى الآن.

مخططات فيتروفياس

التصميم الهندسي للمسرح الرومانية

1. اعتمد التصميم في العادة على وجود مركز محدد وبعده يتم رسم دائرة ويحدد قطرها، ثم يتم رسم أربعة مثلثات متساوية الأضلاع ومتطابقة تتوزع

تحليل معماري لمسرح بيت راس وارتباطه بأسوار المدينة المسرح

يقع المسرح في الطرف الشمالي من المدينة، والذي تم اكتشافه في موسم عام 1999 أثناء إجراء أعمال التنقيب على أسوار المدينة. ومن خلال كل الشواهد والأدلة والمعطيات الأثرية تبين لنا أن تاريخ بناء المسرح يعود للنصف الأول من القرن الثاني الميلادي وكذلك تم بناء الأسوار في نفس الفترة حيث تظهر أعمال البناء في رسومات مدفن بيت راس الذي تم تأريخه إلى نفس فترة بناء المسرح والمدينة. هذا وترتبط أسوار المدينة مع المسرح بثلاث نقاط هي: البرج الشمالي الشرقي، والبرج الشمالي الغربي، ومدخل القبو الثاني من الواجهة الشرقية للمسرح.

تعديل على مخطط المسرح

يظهر التعديل على المخطط في الطرف الخارجي من الجهة الشرقية من المسرح، حيث أنه وحسب المخطط المثالي للمسارح الرومانية للمهندس الروماني (فيتروفياس)، يكون الشكل الخارجي للمدرج متماثل مع الشكل الداخلي له، وهو عبارة عن نصف دائرة يكون مركزها في وسط الأوركسترا، وقطر دائرة الأوركسترا يفصل معمارياً المدرج عن باقي العناصر المعمارية للمسرح. أما نصف الدائرة الخارجي للمدرج حسب المخطط الحديث للمسرح الذي تم رسمه موسم 2021، فإن نصف الدائرة الخارجي للمدرج غير مكتمل. حيث تم قطع جزء من نصف الدائرة الخارجي من مدخل القبو الثاني الشرقي باتجاه البرج الشرقي للمسرح. ونقطة القطع الدائري على القوس الخارجي للمدرج هي نقطة إغلاق القبو الشرقي الثاني بواسطة سور المدينة الجنوبي (الثاني). وحول نقطة القطع الدائري بالقوس الخارجي يدور سؤالان.

الأول: وجود منطقة انهيار في الواجهة الشرقية للمسرح والتي تم إعادة بنائها في فترة لاحقة ضمن الفترة الرومانية، وهذه المرحلة من إعادة البناء كانت من الحجر البازلتي الصغير وهو متشابك مع السور الثاني الذي يغلق مدخل القبو الثاني من الواجهة الشرقية.

- رؤوسها على محيط الدائرة بمسافات متساوية
- رأس المثلث الوسطي يدل على مكان تواجد الباب الرئيسي الخارجي في الجدار الرئيسي.
- تدل امتدادات رؤوس هذه المثلثات على الاتجاه الذي يتواجد فيه ممرات المشاهدين بين المقاعد في الطابق الأول وبعده يكون الممر الفاصل بين الطابق الأول والثاني وتتواجد ممرات المشاهدين في الطابق الثاني على منتصف ما كان في الطابق الأول أي أن الممرات في الطابق العلوي يكون اتجاهها في منتصف اتجاهات الممرات في الطابق الأول.
- بالنسبة للارتفاعات يجب أن يكون ارتفاع جدار واجهة المنصة وأعلى نقطة في المدرج متساويين من أجل توزيع الصوت (الشكل 4).

أسوار المدينة الأول والثاني

تم الكشف عن أسوار المدينة من خلال التنقيبات في المواسم السابقة 1999-2004 وجرت أعمال تنظيف الأسوار بهدف التوثيق وإعادة الرسم والرفع المساحي وبالتالي ربط هذه الأسوار مع البرج المكتشف حديثاً جنوب شرق المسرح والذي يشكل نقطة انطلاق أسوار المدينة باتجاه المسرح من الجانب الشرقي. وخلال موسم التنقيبات على أسوار المدينة 2022 تحديداً على السور الشرقي المتصل مع برج المسرح الشرقي تم الكشف عن بوابة ذات قواعد جانبية كبيرة مربعة الشكل تشكل أحد مداخل المدينة الفرعية والتي عثر بداخلها على سراج برونزي ذي فتحتين للشعلة، ويجدر التنويه إلى أن هذه البوابة لم يذكرها شوماخر ولم ترسم على مخططه أثناء عملية توثيقه للمدينة عام 1886 (الشكلان 3 و8).

ظهر من خلال التنقيبات فتحات على سطح الجدار الشرقي وهي مربعة الشكل وهي مصفوفة بشكل منتظم على جانبي السور الأول المتصل مع البرج الشرقي للمسرح وهذه الفتحات المربعة ظهر بداخلها بقايا المادة الرابطة مع بقايا خشب متفحم وأجزاء من الطوب الأحمر كان مثبتاً داخل هذه الفتحات والذي يعتقد أنها كانت تستخدم لتثبيت درابزين أو مظلات على سطح السور.

الثاني: وجود سور ثاني يتصل بالمسرح من نفس الواجهة الشرقية، وهذا السور يرتبط بالبرج الشرقي للمسرح، وكلا هذين السورين ينطلقان من برج واحد خارج المسرح باتجاه نقطتين مختلفتين من المسرح. وبعد دراسة الوضع المعماري لهذه الأسوار فقد تبين وجود انهيار ناتج عن دفع من تربة الموقع على السور الثاني (الجنوبي) مما أدى إلى انهياره وبالتالي تم استبداله بالسور الشمالي الذي يتصل بالبرج الشرقي من المسرح.

إن اتصال الأسوار بالمسرح من خلال البرج الشرقي والغربي إنما كان نتيجة تعديل طراً على مخطط المسرح والمدينة بشكل كامل، حيث تبين لنا من خلال ما سبق أن اتصال أسوار المدينة مع المسرح كان بهدف استخدام سور واجهة المسرح الشمالية بعد أن تم إضافة جدار داعم له ليزداد عرضه ليصبح بنفس عرض أسوار المدينة، وذلك ليتم استخدامه كجزء من سور المدينة، وتكون أبراج المسرح عبارة عن برجين على سور المدينة ذات طابع عسكري، وليست ذات طابع ثقافي وتعتبر هذه الحالة سابقة معمارية في تاريخ العمارة الرومانية في المسارح. وقد تم إثبات ذلك من خلال وجود فتحات رمي السهام في جدران الأبراج، وكذلك تم العثور على سهم مكتمل موسم 2018 على مدخل البرج الغربي للمسرح من المدخل الداخلي للبرج الغربي.

وكل ما تم ذكره يقودنا إلى أحد فرضيتين حول المسرح وهما: إما أن يكون المسرح تم بناؤه ولم يتم استخدامه، وتم تحويله من موقع ثقافي إلى موقع عسكري، أو أنه لم يتم استكمال بنائه أصلاً ثم تم تحويله إلى موقع عسكري في أحد مراحل البناء، ويتم استخدام واجهة منصة المسرح كجزء من سور المدينة ويتم استخدام أبراج المسرح أبراج عسكرية. وبالتالي هذا يقودنا إلى دراسة تاريخية حول ما جرى في المدينة خلال فترة 158 عاماً، ما بين التأسيس عام 98م وعام 256م وهو تاريخ إغلاق المسرح من خلال نقش المسرح على الواجهة الشرقية من الطرف الخارجي.

تطبيق مخطط فيثروفياس على مسرح بيت راس
تم رسم مخطط حديث للمسرح وتم تطبيق مخطط

فيثروفياس المثالي عليه بهدف معرفة العناصر المعمارية المفقودة، وتحليل ما تم التعديل عليه أثناء فترات البناء، فقد تم استنتاج ما يلي:

1. وجود إزاحة بمقدار 85سم لمجموعة منصة المسرح والواجهة الشمالية كاملة باتجاه الشمال، فمن المفترض أن يقع رأس المثلث على خط التماثل في منتصف البوابة الوسطية، ولكن على أرض الواقع فإن النقطة تقع إلى الداخل بمقدار 85سم.

2. رؤوس المثلثات السبعة الواقعة على دائرة المدرج الداخلية، وبحسب المخطط المثالي لفيتروفياس ينطلق منها أدراج الصعود والنزول للطابق الأول من المدرج، إلا أن هذه الأدراج لا ينطبق منها سوى ثلاثة، والباقية تتقاطع مع وجود مقاعد للمشاهدين وبالتالي فإنه تم إلغاء وجود أربعة مسارب من الأدراج، والأدراج التي لا تتقاطع مع مقاعد المشاهدين هي درج خط التماثل الوسطي وأدراج خطوط الاتصال ما بين بوابات المنصة الجانبية مع المدرج.

3. من المفترض أن تقع نقاط مداخل الجمهور بين الطابق الأول والثاني في منتصف المسافة بين رؤوس المثلثات السبعة حتى يتكون لدينا ستة مداخل، إلا أنه تبين وجود إزاحة في المداخل الثلاثة الشرقية بمقدار 70سم باتجاه خط التماثل. وهذا يفسر سبب عدم توافق الخط المنصف للمسرح والذي يفصل مجموعة المدرج عن مجموعة المنصة، حيث تبين وجود إزاحة زاوية من نقطة المركز تشكل قوس طوله 25سم نقص في دائرة المدرج من الطرف الشرقي.

ونستنتج مما سبق أن كل التعديلات المعمارية حدثت في النصف الشرقي من خط تماثل المسرح وهو نفس النصف الذي يرتبط به أسوار المدينة الشرقية. والتي تم إجراء التعديلات عليها واستبدال سور مكان آخر بعد عملية الانهيار والدفع الذي تعرض له السور الجنوبي (الشكلان 3 و4).

البركة

تقع البركة في الجزء الغربي من مدينة بيت راس الأثرية، تم بناؤها على السفح الجنوبي من الجزء

ما بين التل والبركة أي أن الجدار الجنوبي للبركة هو جزء من سور المدينة وهذا ما ظهر في مخطط شوماخر للمدينة.

استخدم في بناء هذا الجدار الحجارة البازلتية والجيرية المشذبة حيث يبلغ قياس الحجر المستخدم الكبير فيها 27×88 سم والحجر الصغير 27×30 سم، عدد المداميك الظاهرة 23 مدمكاً، وما زال هناك العديد من المداميك غير الظاهرة، بنيت هذه الحجارة بشكل متراص فوق بعضها البعض وتقدر طبقة المادة الرابطة المستخدمة في ربط الحجارة 5 سم واستخدم فيها المواد العضوية وحجارة السيل والكلس ويقدر عرض الجدار من الأعلى 2,44م.

وبالرغم من أنها أكثر الواجهات اكتمالاً إلا أنها تعاني من نسبة الرطوبة العالية التي تؤدي إلى تعرضها للمزيد من التلف، حيث يؤدي ذلك لنمو المزيد من النباتات التي تعمل على إضعاف المادة الرابطة بين



5. مخطط البركة Georeference.

الغربي المطل على تل إربد الأثري والتي ما زالت شاهدة على العبقرية المعمارية الرومانية في التصميم والبناء، بنيت جدرانها من الحجارة الجيرية والبازلتية المشذبة بطريقة جميلة وقوية كما نلاحظ من سماكة جدرانها.

تمتاز البركة بسعتها الكبيرة والتي تقدر بحوالي (20000م³) واتخذت مساحتها الشكل المستطيل (شمال جنوب)، بنيت لتزويد أهالي المنطقة بالمياه لغايات الزراعة والري والاستعمالات المنزلية والبناء. وقد اعتمد في بنائها على النمط المعماري الذي يحوي سماكة الجدران، والأقواس المنحنية إلى الداخل، ودرجاً، وقنوات مياه.

لقد تم توثيق البركة أول مرة من خلال مخطط شوماخر للمدينة الأثرية، إلا أنه من الملاحظ أن قياساته كانت غير دقيقة ويوجد فروقات كبيرة عن الواقع، وكذلك تحديده لمنطقة تزويد البركة بالماء لم يكن نتيجة أعمال تنقيب أثري أو دراسة متخصصة، إنما اعتمد على المشاهدة فقط، فقد حدد مكان تزويد البركة بالمياه من الواجهة الغربية بينما تبين بعد التنقيب أن مكان التزويد من الطرف الجنوبي كما سنرى لاحقاً والجانب الغربي للبركة هو مكان الدرج (الشكل 5).

الجدار الجنوبي للبركة

يحتوي السطح العلوي الجنوبي على قناتي ماء، واحدة في الزاوية الجنوبية الشرقية والمتصلة مع حوض ترسيب المياه حيث يتم تصفية المياه في الحوض قبل نزولها عبر القناة إلى البركة، وواحدة في الزاوية الجنوبية الغربية إذ تمتد بشكل قطري بين الزاوية الداخلية والخارجية لجدار البركة الجنوبي ولم يظهر لغاية الآن أي اتصال بين هذه القناة وأي أجزاء من نظام مائي مثل أحواض أو قنوات مائية والشواهد الطبوغرافية للمنطقة وقربها من منطقة التل تشير إلى تجمع المياه من المناطق العلوية في منطقة تل بيت راس لتصب في البركة وشاهد ذلك اتجاه السور الجنوبي للبركة يتجه نحو التل وهناك بقايا من أسوار المدينة في التل تمتد باتجاه الشرق نحو البركة ونعتقد (مبدئياً) أن هذه الأسوار ترتبط مع الجدار الجنوبي للبركة وبالتالي يكون هناك نظام معماري مائي متصل

لتدعيم مناطق الضعف والضغط، ويظهر لدينا من خلال أسلوب بناء البركة أنه يتم استخدام نظام الأقواس والعقود بشكل كبير حيث يظهر لدينا من خلال الانهيار الحاصل في الواجهة الغربية لجدار البركة وجود أقواس داخلية مخفية كانت مبنية داخل السور (الشكل 6).

الجدار الغربي للبركة

استخدمت الحجارة المنتظمة لبناء الواجهة ، يقدر عدد دمايك هذه الواجهة بـ 50 دماغاً وتقدر سماكة القصارا التي غطت الجدار بـ 6 سم تقريباً، تحتوي على الحجارة الصغيرة وحجارة السيل، قياس الحجر نفسه المستخدم في بناء المدماك الصغيرة 33 سم، أما الحجارة الكبيرة فهي 66 سم، أما ارتفاع الحجارة جميعها متساوية 22 سم.

يوجد في هذه الواجهة عقدان لدعم البناء من الداخل وهذه العقود في الأصل إنها غير ظاهرة وهي عقود دعم داخلي مغلقة بحجارة غير مشذبة بنيت عليها الحجارة الجيرية والبازلتية لتشكل واجهة منتظمة الشكل لكنها تهدمت بفعل العوامل الخارجية وقد بنيت هذه العقود لدعم الجدار.

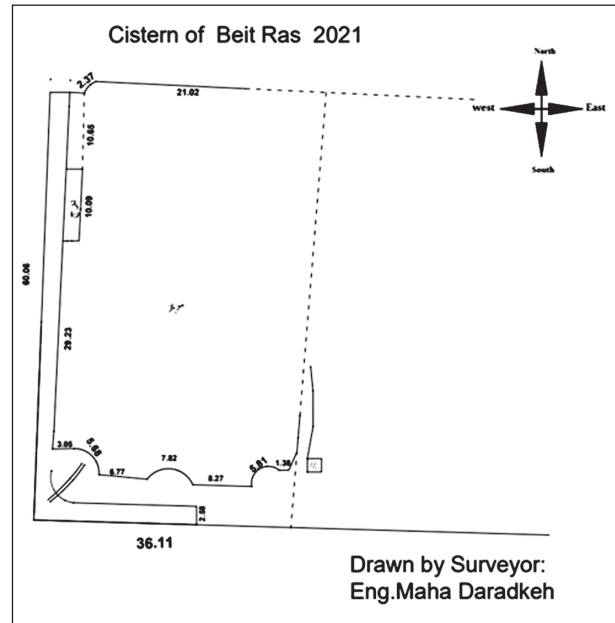
ومن خلال الحفريات الأثرية لموسم 2021 تم اكتشاف درج البركة من الجهة الغربية عدد درجاته المتبقية 24 درجة حيث استخدمت الحجارة الجيرية المنتظمة في بنائه ويقدر حجم الحجارة الصغيرة المستخدمة في بنائه 30×50 سم، أما الحجارة الكبيرة حجمها 30×80 سم، قياس دعة الدرجة 32 سم وارتفاع الدرجة 16 سم، وعرض الدرج 2,10 م.

الحالة العامة للدرج جيدة جدا ويتصل الدرج في نهايته مع أرضية البركة أما في بدايته من الأعلى فهو مهدم بالكامل ولا يظهر منه إلا الأساسات ويقدر عدد كامل الأدراج من أعلى نقطة إلى أخفض نقطة بـ 65 درجة تم العثور على بعض الأجزاء المعمارية ويعتقد بأنها تخص الدرج ومن الممكن أن تكون واقفاً للدرج (درازين). وفي موسم التنقيبات 2024 بجانب أساسات درج البركة تبين وجود جدار داعم لأساسات الدرج على أرضية البركة، وتبين كذلك أن هذا الجدار الداعم مبني على أرضية (أرضية البركة) مائلة بشكل حاد في الزاوية الشمالية الغربية للبركة تصل درجة الانحدار إلى 25 درجة (الشكل 7).

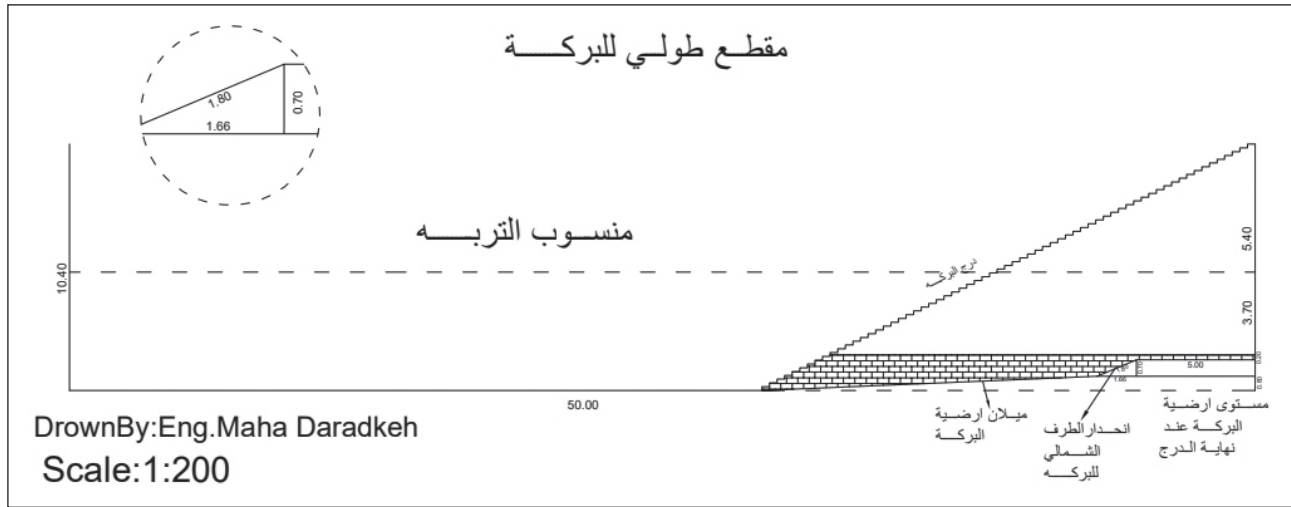
الحجارة وتساهم في تقليل العمر الافتراضي للحجر وسقوط حجارة البناء.

وكما هو واضح من بقايا طبقات القصارا في هذه الواجهة التي يقدر فيها السماكة من (6-8 سم) تقريباً، يظهر لدينا وجود ثلاث طبقات من القصارا، الأولى: قصارا ممزوجة مع الكلس و المواد العضوية، الثانية: طبقة قصارا ممزوجة مع الحصى الصغيرة (حصى سيل) بمعدل قياساتها 2 سم وهي تشكل مستوى سميكا من القصارا يعطي دعماً بنائياً للطبقة الخارجية حيث تشكل هذه الطبقة ساتراً حجرياً بين الجدار والطبقة الثالثة من القصارا، الثالثة: طبقة من الكلس الناعم وسماكته تقريباً 1 سم يحتوي سطح هذه الطبقة على عدة ألوان نعتقد مبدئياً أن هذه الألوان استخدمت كمقياس للماء في البركة والاحتمال الآخر أن يكون بسبب التكتلات الناتجة عن ترسب الأملاح على سطح القصارا.

تم بناء الجدار الجنوبي على شكل أقواس منحنية إلى الداخل بهدف دعم للجدار من ضغط الماء، يحتوي الجدار على ثلاثة أقواس مقعرة إلى الداخل اثنان منها في الزوايا وواحد وسطي وهذا دليل على أن اتجاه ميلان البركة يكون باتجاه الجنوب. حيث تم إثبات ذلك من خلال نتائج التنقيب في الموقع التي أظهرت ميلان الأرضية باتجاه الطرف الجنوبي المدعم بالأقواس الداخلية مما دعا المهندسين الذين أشرفوا على البناء



6. مخطط البركة.



7. مقطع طولي للبركة.

عرضها 40سم وهي تشبه قنوات أخرى تعود للفترة الرومانية تم العثور عليها في مواقع أخرى. 2. هي قناة مستطيلة الشكل مبنية من الحجر مسقوفة ومقصورة بقصارة ناعمة وأطوالها (39×1,42×22)، اعتمد في بنائها على تدرج هبوط خفيف متبع خطوط التضاريس حيث تتدفق المياه بها بسلاسة من المصدر لتصب أخيراً بحوض ترسيب قبل أن تصب في البركة. 3. حوض مقصور بقصارة ناعمة جداً متصل من الطرف الغربي مع القناة المسقوفة الواصلة مع البركة، وبمقارنة هذا النظام مع أنظمة مائية أخرى

الجدار الشمالي للبركة

استخدمت الحجارة البازلتية والجيرية في بناء هذه الواجهة، جزء من الواجهة مقصور، أما باقي حجارة هذا الجدار من الجهة الشمالية متساقطة بفعل العوامل الخارجية.

عرض المدمك في هذه الواجهة 38سم تقريباً ارتفاع الحجارة المستخدمة 20سم طول الحجر الكبير متفاوت ما بين 22 و 26سم وطول الحجارة الصغيرة 18سم مفرغة بين حجارة المداميك بفعل العوامل الجوية قياس 5سم.

الواجهة الشرقية للبركة

جدار هذه الواجهة مداميك منتظمة الشكل استخدمت فيها الحجارة البازلتية والجيرية ولم يتم الكشف عنه بشكل كامل، حيث لا يظهر في هذا الجدار سوى الزاوية الجنوبية الشرقية، الجدار من الأعلى منتظم الشكل عرضه تقريباً 1,50م يحتوي هذا الجدار على قناة مائية.

النظام المائي للبركة

من خلال أعمال التنقيب خلال المواسم من 2018 لغاية 2021 تم الكشف عن جزء من النظام المائي يزود البركة وتمثل ذلك اكتشاف:

1. قناة تمتد بشكل قطري ما بين الزاوية الجنوبية الغربية الخارجية للبركة مع الزاوية الجنوبية الغربية الداخلية للبركة وهي بقياسات 7,60م



8. سراج بيت راس البرونزي.

فإنها مشابهة لنفس أسلوب بناء القنوات في البركة (الشكل 6).

المراجع

الشامي، أحمد

2004 مشروع التنقيبات الأثرية في بيت راس موسم 2002
تقرير أولي. حولية دائرة الآثار العامة 48: 11-22.

Bibliography

Schumacher, G.

1889 Abila of the Decapolis, 1st Edition. Henry
Sotherton Ltd: London, United Kingdom.

Vitruvius, P.

1914 The Ten Books on Architecture, Translated by
Morris Morgan. Cambridge, Harvard University
Press: UK.

فإن هذا الحوض يعتبر حوض ترسيب الشوائب قبل وصولها إلى البركة ومن المفترض أن يتصل الحوض من الطرف الآخر مع قنوات تزويد المياه إلا أن الموقع في هذا الطرف مدمر ولم يتم استكمال إجراء التنقيب فيه، مقاساته تقريبا $1,83 \times 1,94$ م ويبلغ ارتفاعه 1,15 م.

4. تم إجراء مجموعة من المجسات في الطرف الخارجي الشمالي والشرقي من البركة لمحاولة العثور على النظام المائي الذي يزود البركة إلا أن النتائج لغاية الآن لم تشر إلى أي مظهر من مظاهر النظام المائي في هذه الاتجاهات.

5. تم العثور على قناة تخترق سور المدينة المتصل مع مسرح بيت راس من الطرف الغربي وهذه القناة مسقوفة ومقصورة بقصارة ناعمة وبالتالي

تاريخ مكتبة دائرة الآثار العامة

سماح العواملة

مقدمة

تأسست دائرة الآثار العامة كواحدة من أولى الدوائر الرسمية في المملكة الأردنية الهاشمية عام 1923، ولكونها دائرة علمية متخصصة كان لابد من وجود مكتبة متخصصة تهتم بمجال علمي واحد- تضم مختلف المصادر والمراجع الأكاديمية الضرورية للباحثين في علم الآثار (الشكل 1). تطورت المكتبة عبر السنين إلى أن غدت من أفضل المكتبات المختصة بعلمي الآثار والتاريخ في الأردن، ففيها ما لا يقل عن خمسة عشر ألف مجلد ما بين كتاب ودورية، من بينها مجموعة كتب ودوريات

نادرة تزيد عن 89 كتاباً، ودورية (الشكل 2). مقتنيات المكتبة متخصصة في علم الآثار بشكل عام وفي آثار الأردن بشكل خاص وهي مكتوبة بعدة لغات كالعربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية. صنفت مقتنيات المكتبة وفق نظام «ديوي العشري» والفهرسة «الأنجلو-الأمريكية»، وأنشئ لها نظام بحث الكتروني يسهل الوصول إلى المعلومة، في حين صنفت دورياتها أبجدياً حسب عناوينها. مكتبة دائرة الآثار العامة مفتوحة أمام جميع المهتمين بتاريخ وأثار الأردن والعلوم ذات العلاقة،



1. مكتبة دائرة الآثار العامة عام 2024.

الأربعينيات والخمسينيات: مرحلة البناء

بعد ازدياد أعداد الكتب في الدائرة خصص مدير الآثار السيد لانكستر هاردينج غرفة للمكتبة في المدرج الروماني وتحديداً في القبو الغربي المخصص حالياً لمتحف الحياة الشعبية، وصنفت الكتب في سجلات وأعطيت أرقاماً تسلسلية، فكانت بمثابة مكتبة صغيرة احتوت مع نهاية الخمسينيات ما لا يقل عن 1800 كتاب ودورية.

كان تصنيف محتويات المكتبة تلقائياً غير خاضع لأسس علمية، وقد أسهمت السيدة هيام طهوب بمجهود كبير في هذا المجال.

الستينيات والسبعينيات: مرحلة التنظيم والتحديات

أصبح الاهتمام بالمكتبة أحد أولويات دائرة الآثار العامة لاسيما في عهد الدكتور عوني الدجاني الذي كان من أوائل الأردنيين الحاصلين على شهادة الدكتوراة في علم الآثار، وقد عين السيد أنور عكروش كأول أمين مكتبة في دائرة الآثار.

التحق السيد عكروش بدورة تدريبية في تصنيف وفهرسة المكتبات في الجامعة الأردنية فبدأ بتصنيف محتويات المكتبة في سجلات خاصة وفق أسس علمية صحيحة (الشكل 3).

نقلت الدائرة محتويات المكتبة إلى جبل القلعة بعد تعرض المدرج الروماني إلى فيضان مائي منتصف ستينيات القرن الماضي (الشكل 4)، مما أدى إلى تلف عدة كتب ودوريات، وقد أنشئت سجلات جديدة لمحتويات المكتبة وضمت إلى متحف الآثار الأردني الذي كان يعرف باسم متحف عمان (الشكل 5).

والذين يرغبون في الاستفادة من مقتنياتها. وتقتصر الإعارة فيها على موظفي دائرة الآثار العامة، أما روادها من غير موظفي الدائرة فيمكنهم الاطلاع عليها والاستفادة منها ونسخ ما يشاؤون من صفحات بألة تصوير موجودة في المكتبة.

العشرينيات والثلاثينيات: مرحلة النواة

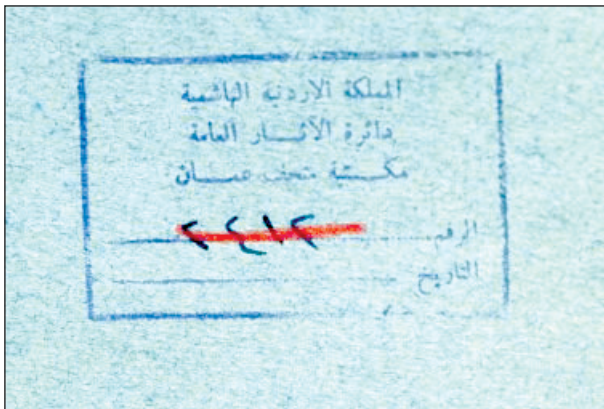
كانت نواة المكتبة مجموعة الكتب التي اقتناها مديرو دائرة الآثار على مدار هذين العقدين سواء في مقرها بجرش أو في المدرج الروماني بعمّان.



2. بعض الكتب النادرة في مكتبة دائرة الآثار العامة.



3. جانب من بطاقات الفهرسة والأدراج التي تضمها.



5. السجلات التي تحمل اسم مكتبة متحف عمان.



4. تغطية صحفية لفَيضانات عمان عام 1965.

الألفية الثانية: مرحلة الحوسبة

بتوجيه من عطوفة المرحوم الدكتور فواز الخريشة انتقلت المكتبة نقلة نوعية من خلال حوسبة محتوياتها وفق نظام ويناييسيس (Winisis) (الشكل 7) وإنشاء قاعدة بيانات إلكترونية خاصة بالمكتبة. وقد ساهمت كل من السيدات وفاء عساف وتغريد البسطامي وصاحبة المقال في إنجاز هذه المهمة مع نهاية عام 2008.

ضمت المكتبة إلى قسم التسجيل والنشر في مديرية الدراسات والنشر، وتولت السيدة أروى مساعدة أمانتها وعملت بمساعدة كل من السيدة بسمة الزعبي وصاحبة المقال على تفعيل دور المكتبة الرئيس من خلال التبادل والإهداء والاشتراك والشراء وحفظ الكتب والدوريات النادرة، وقد رُمم خلال هذه الفترة 16 كتابًا بالتعاون مع مركز التوثيق الهاشمي وبتوجيهات مباشرة من مدير الدائرة آنذاك الدكتور منذر جمحاوي.

ثم تولت السيدة هالة السيوف أمانة المكتبة عام 2016، وشهدت المكتبة خلال هذه الفترة تنسيقًا تامًا مع أرشيف الدائرة بما يعود بالنفع على المراجعين والباحثين والمهتمين بعلم الآثار في المملكة، وبما يعطيهم معلومة متكاملة مترابطة. كما ساهمت السيدة تغريد أبو غوش بمجهود وافر في المكتبة.

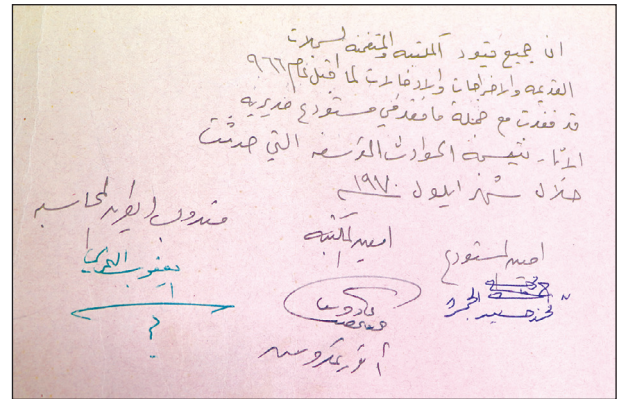
عام 2021 قدمت صاحبة المقال مقترحًا إلى الإدارة العليا لتطوير المكتبة بإشراف السيد محمد ناصر مدير مديرية الدراسات آنذاك لإعادة تأهيل القاعة المكتبية لاستغلال الفراغات وتنظيم الكتب والدوريات بطرق تواكب أنظمة المكتبات العالمية. وبتوجيهات عطوفة مدير عام دائرة الآثار العامة سابقًا الأستاذ الدكتور فادي بلعاوي أدخل نظام جديد إلى المكتبة عام 2024 هو نظام كوها (koha) العالمي لإدارة المكتبات الذي سيكون مصدرًا مفتوحًا للمعلومات عبر موقع الدائرة الإلكتروني (الشكل 8)، والعمل جارٍ على تحديث بيانات المكتبة وفق هذا النظام ليصبح مصدرًا متاحًا لكافة الباحثين والمهتمين.

نتيجة ما حدث في أيلول عام 1970 (الشكل 6) فقدت أجزاء كبيرة من سجلات المكتبة، فأنشئت سجلات جديدة، وزاد الاهتمام بالمكتبة حيث طورت السجلات، وازدادت أعداد الكتب.

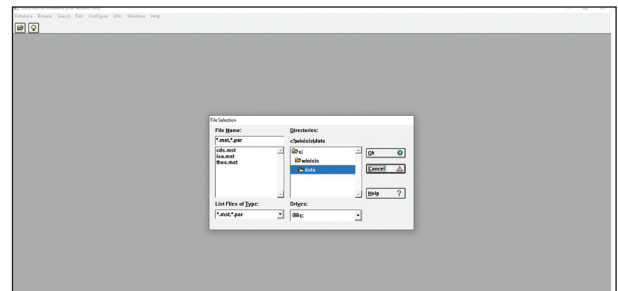
الثمانينيات والتسعينيات: مرحلة الفهرسة والتصنيف

نقلت مكتبة دائرة الآثار العامة في نهاية السبعينيات إلى مركز الدائرة الجديد في مبنى على الدوار الثالث في جبل عمان، وخصصت لها قاعة كبيرة فيه. ومع بناء مركز الدائرة الحالي قرب رجم الملفوف في جبل عمان، خصص للمكتبة جناح كامل في الطابق الثاني، وزود بمتطلبات الحفظ والمراجعة والمطالعة الضرورية.

صنفت محتويات المكتبة في هذه الفترة وفق نظام ديوي العشري، وبدأت فهرسة الكتب والدوريات فيها وفق الأسس العلمية الصحيحة. وساهمت السيدتان هانية أبو ناعمة وراوية نبيل بقسط وافر من الجهد المبذول في ذلك. بدأ في هذه المرحلة الإعلان عن الكتب الواردة وشراء الكتب المتخصصة على نطاق واسع، والاشتراك في عدة دوريات، والتبادل والإهداء.



6. جرد رسمي يوثق أحداث عام 1970.



7. لقطة شاشة لنظام "Winisis" المحوسب لمحتويات المكتبة.

المستقبل

تتطلع المكتبة إلى أن تصبح من أعرق مكتبات المملكة وأكثرها حداثة من خلال الالتحاق بالأنظمة المكتبية العالمية التي تفيد في الإعارة والتصنيف والإهداء والتبادل والفهرسة واسترجاع المعلومة وفق الأسس العلمية والأكاديمية المعتمدة.

المراجع

الأخرس، محمود

1979 نظام التصنيف العشري، ط:17. عمان – الأردن

العابدي، محمود؛ ياغي، هاشم؛ الإيراني، محمود؛ ياغي، عبدالرحمن؛ الناعوري، عيسى؛ سرحان، نمر؛ العمدة، هاني؛ النمر، توفيق.

1972 ثقافتنا في خمسين عامًا. منشورات دائرة الثقافة والفنون. عمان – الأردن.

لاش، أحمد؛ السيوف، هالة؛ الفايز، نيرمين.

2017 إطلالة على تاريخ دائرة الآثار العامة من خلال مشروع جذور، حولية دائرة الآثار العامة 58: 37.

زغلول، منى

1987 دائرة الآثار العامة : مدراء ومنجزات 31: 9-7.

أرشيف مديرية الموارد البشرية في دائرة الآثار العامة.

سجلات مكتبة دائرة الآثار العامة.

تواصل شخصي

الدكتور أديب أبو شمس، وراوية نبيل، وهانية أبو ناعمة، ورلى القسوس، ووفاء عساف.



8. في الأعلى جزء من محتويات المكتبة بعد حوسبتها وفق نظام "koha"، وفي الأسفل لقطة شاشة للنظام على شبكة الإنترنت.

دور الحفريات العرضية في حماية موروث عمان الحضاري

طاهر الغنمين

البلدات والقرى والأبراج التي تحيط بمدينة عمان عبر الفترات التاريخية التي توالى السكن والاستقرار في المحيط البيئي لها فيأتي القرار من خلال ما تم ملاحظته بالكشف الحسي الميداني بوجود مظاهر تنتشر على السطح تستوجب القيام بحفريات ومجسات أثرية لتبيان حقيقة ومكونات ما تختزله الطبقات الترابية بين طياتها، فالحفريات العرضية تساهم في التعرف على ماهية وطبيعة هذه العناصر البنائية ووظائفها وطرف بنائها ومعرفة الطبقات الأثرية وتسلسلها وما تحتويه من مخلفات، في محاولة لربطها مع الطرز البنائية القريبة من مراكز تجمعها وتواجدها، من أجل إعطاء صورة شاملة وحقيقية عن طبيعة المباني المنتشرة ضمن مناطق العاصمة عمان لتكوين صورة عن صيرورة التطور والارتقاء الحضاري والإنساني من خلال دراسة وتحليل ومقارنة تراكمات ورواسب الاستقرار الحضاري عبر رحلة العصور التاريخية المفعمة بالتفاعل الموصول بين المكان والزمان والأحداث المتجددة، والاستفادة من تراكم الخبرات العملية لتطور العصور التاريخية وارتقائها، مكونة قصة وحكاية التطور للإنسان العماني. فبعض قطع الأراضي تختزن بين طيات ترابها مواقع أثرية وحضارية تحتاج إلى قرار فاصلي وجريء من شأنه استملاكها وتحويلها بعد انتهاء أعمال التنقيب وإجراء أعمال الصيانة والترميم اللازمين كممتنزهات ومتاحف أثرية مفتوحة للزوار وخاصة الأشخاص الذين تعتبر هذه المواقع متنفساً وبيئة

تعتبر مدينة عمان من أكثر المدن والمناطق تعرضاً للزحف العمراني، لا سيما أن مناطق التنظيم تنتشر بكافة الاتجاهات، فنتيجةً للتوسع والزحف العمراني الذي تشهده محافظة العاصمة ومشاريع التنمية والتطوير في أمانة عمان الكبرى، فقد صاحب ذلك تعدٍ على جزء كبير من المواقع الأثرية الحضارية في مناطق العاصمة، علماً بأن ملكية عدد كبير من المواقع الأثرية التي تشغل مساحاتٍ لا بأس بها ليست جزءاً من أملاك الدولة، وإنما تتبع للأهالي وينقب فيها بعد مراجعة أصحابها مديرية آثار العاصمة للحصول على رخصة بناء، لا سيما أن أغلب القطع تحتوي على بقايا عمرانية وجدرانٍ غير واضحة المعالم فيتوجب تنفيذ حفرياتٍ عرضيةٍ (يكشف كادر مديرية آثار العاصمة الآثارى المتخصص من ذوي الخبرة والمعرفة الأثرية أحياناً على قطع الأراضي التي يقدم مالكوها مساهمة مالية كإمانات في دائرة الآثار العامة تغطي أجور العمال ومواد وعدد الحفر لإسراع إجراءات الحصول على تصريح البناء) في حال لم يعثر على بقايا عمرانية تستوجب قرار الشروع في استملاك قطعة الأرض، يبدأ التعرف على طبيعة انتشار الظواهر على السطح، فإذا كانت خالية الأرض من أي ظواهر أثرية يمنح تصريح بناء للمالك، أما في حال تم الكشف وتبين ما يستوجب إجراء مجساتٍ اختباريةٍ للتعرف على ماهية الظواهر والبقايا البنائية غير واضحة المعالم المنتشرة على السطح والتي تشكل جزءاً من منظومة توزيع

خاصة أنها كانت تشكل وحدات استيطانية مترابطة يعتري أغلبها الاستمرارية في الاستيطان البشري الخلاق ومحط ازدهار وتطور في شتى ميادين الحياة عبر التفاعل الموصول بين المكان والزمان والأحداث المتجددة عبر الأزمان المتعاقبة.

تغيير الصورة النمطية للأهالي القاطنين والمجاورين والزائرين لمكان الحفريات عن طبيعة المواقع الأثرية والغاية من الكشف عنها وضرورة الاهتمام بها وحمايتها من العبث، خاصة أنها تشهد هجمة شرسة من قبل لصوص الآثار والباحثين عن الغنى السريع. وبالتالي بلورة الأفكار الناجعة عن أهميتها لدى المواطنين والمجتمعات المحلية وبأنها ليست مجرد كنوز وذهب؛ واعتبارها مواقع تشكل القصة والذاكرة الحية للمكان عبر فترات التاريخ التي تمثل استقرارها وواضح على ثراها، فهي أغنى من الذهب نفسه. وبالتالي تعظيم وتعزيز دورهم بالإحساس بالمسؤولية لحماية المواقع الأثرية من خلال بث روح الانتماء والمواطنة الحققة والحرص على المواقع الأثرية، وزرع التوعية في نفوس الناس من خلال التعرف على طبيعة هذه المواقع والإجابة على كافة استفساراتهم، وترسيخ الفهم العام بأنها تشكل إرثاً حضارياً وبعداً تاريخياً يجب المحافظة عليه. كونها تمثل تاريخ أمم وحضارة شعوب استقرت وساهمت مساهمة فاعلة في مجريات الحضارة الإنسانية.

شكلت هذه الحفريات متحفاً مفتوحاً من خلال مشاهدة المواطنين والزائرين لأعمال الحفر والتنقيب في هذا المواقع الأثرية، والتعرف عن كثب أكثر عن هذا الموروث الحضاري وتفسير ما يلزم عن طبيعة مجريات التنقيب وأهمية المواقع الحضارية والتاريخية في إثبات حقيقة المكان والروايات التي تواترت عبر الأجيال عنه، ويتم طرح الأسئلة من قبل المواطنين عن طبيعة ما تقوم به دائرة الآثار العامة ممثلة بكوادرها من أعمال الحفر والتنقيب ويتم الاستجابة بالشرح البسيط عن الدور الحضاري والإنساني الذي كان يلعبه الموقع والإنسان الذي عاش ضمن هذه المنطقة، ومساهماته الفاعلة في الركب الحضاري وأهم الفترات الاستيطانية التي استقرت وعاشت على ثرى هذه المنطقة.

توظيف طبقة الشباب المتعطلين وطلاب المعاهد والجامعات والذين يشكلون الأغلبية ممن يتم توظيفهم

للتعلم والتفكير وتعتبر وسيلة للتوعية بأهمية الموروث الحضاري، ومن خلالها يبرز الدور البناء والمتميز للإنسان الذي استقر واستغل البيئة ومصادرها من أجل البقاء والتعاش. ومن شأنه زيادة الوعي بأهمية التراث الإنساني وضرورة المحافظة عليه ووقف جميع أشكال العبث والتشويه والاعتداء على المواقع الأثرية.

تعمل الحفريات العرضية على خلق نوع من علاقة المنفعة بين الساكنة المحليين والمجاورين لمكان الحفريات والمواقع الأثرية، والتي ستعكس إيجابياً على المواقع الأثرية المنتشرة ضمن مناطق العاصمة وبالتالي الشعور بمدى المنفعة والفائدة المادية التي سوف تتحقق من وجود هذه المواقع بالقرب من مكان سكنى السكان المحليين، خاصة أن مجموعة من الأبراج الأثرية العمونية والخرب والبلدات والقرى الأثرية تنتشر وتشكل في مجموعها مواقع حيوية وسياحية ومن الضروري ربطها بمسارات سياحية جديدة ونشطة لتشجيع واستقطاب المجموعات السياحية ويحصل التنوع في نوعية الزيارة تلبي حاجات ورغبات والمتخيل الذهني من الزيارة، فتعمل على إطالة مدة إقامة السائح وهي الغاية والهدف الرئيس والمنشود، والتي تساعد في تنمية المجتمعات المحلية وتحفيز المشاركة في سياسات وخطط تنميتها وتطويرها، فتساهم في خلق جيل واع بأهمية هذه الكنوز والاهتمام بمستقبله من خلال وضع خطط طموحة ومدرسة من أجل النهوض بواقع المواقع الأثرية المنتشرة في المنطقة لكي تكون رديفاً اقتصادياً مهماً وعنصر جذب لاستقطاب المزيد من الزوار الرئيسيين والمحتملين.

تهدف الحفريات العرضية أيضاً للكشف والتعرف أكثر على طبيعة امتداد وانتشار البقايا المعمارية المنتشرة ضمن حدود مناطق العاصمة عمان، وتكوين صورة شاملة وواضحة عن طبيعة المواقع التاريخية المترامية الأطراف وطبيعة انتشار البقايا العمائرية في كل جزئية من مناطق العاصمة، والوظيفة التي كان يشغلها كل عنصر ومظهر من المظاهر المعمارية المنتشرة، والدور البناء في مسيرة وازدهار الكيانات الحضارية عبر الحقب والفترات التاريخية التي عاشت واستقرت في مناطق العاصمة، فالرسالة العامة من هذه الحفريات هو تأكيد لأهمية المواقع وغناها بالتراكمات الأثرية والحضارية.

وبسبب هذا التزايد في الطلب على شراء الأراضي للقيام بالبناء عليها، تزايدت معه أعداد الحفريات العرضية والطائرة خلال السنوات العشر الأخيرة التي أجريت من قبل كادر مديرية آثار العاصمة وقد يتجاوز عدد الحفريات التي أنجزت في عام واحد تتراوح ما بين 15-20 حفرة عرضية. وهذا ناجم عن الزيادة الطلبية على الشراء والبناء أيضًا. وقد شملت عمليات الحفر والتقيب والتوثيق الأثري عدة مناطق ضمن حدود مناطق وضواحي العاصمة عمان.

ختامًا نعرض عدة صور تمثل جانبًا من أعمال التفتيش والاستكشافية التوثيقية لمواقع أثرية شملت الحفريات العرضية منها مناطق شمال وجنوب وشرق وغرب العاصمة عمان.

د. طاهر محمد الغنميين
مشرف إداري وأمين متحف الآثار الأردني



2. برج المراقبة الفترة الحديدية/العمونية القرن 7-6 ق ب (برج الهاشمي الشمالي) وتظهر من خلال الصورة سماكة الجدران التحصينية والتوزيعات لتخطيط المرافق الداخلية المعمارية.



4. مخطط عام يظهر أجزاء كنيسة البصة، وعدد من المقابر الفردية والجماعية التي نحتت في الصخر الطبيعي.

في مثل هذه المشاريع المؤقتة والتي تساهم بتغطية جانب من الالتزامات المالية وزيادة دخلهم وتحسين وضع ذويهم الإقتصادي.

العمل على إبراز دور الحفريات العرضية في توثيق المواقع الأثرية وإسهاماتها بالتعريف بالمواقع الأثرية المعرضة للزوال والتجريف، لا سيما في ضوء نقص الإمكانيات المالية المخصصة لاستملاك الأراضي الواقعة عليها المواقع والخرب الأثرية، بفعل التوسع العمراني الكبير الذي تشهده التنمية للعاصمة عمان وغيرها من المدن الأردنية ذات الكثافة السكانية والذي يتطلب الأمر تزايد الحصول على الأراضي للبناء والتوسع على حساب المواقع الأثرية، ونتيجة لذلك أصبحت أغلب المواقع الأثرية محصورة بين العمارات والشقق التي تأخذ المنحى العمودي وليس الأفقي أي بناء أكثر من طابق واحد، وبالتالي انعزالية بعض المواقع الأثرية بين هذه الشقق والعمارات العالية.

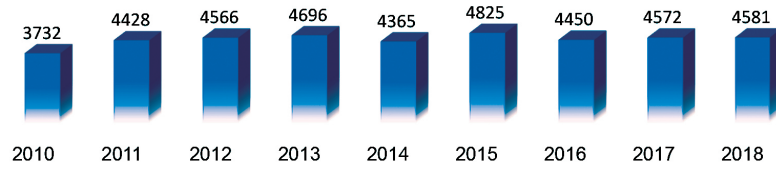


1. تظهر المظاهر المعمارية المكتشفة في موقع ياجور مبانٍ سكنية تمثل الفترتين الإسلاميتين المبكرة والمتأخرة الأموية والأيوبيه المملوكية.



3. توضح العناصر والمرافق الرئيسية لمعصرة ثمار الزيتون/تل العميري الشرقي.

مقارنة التصاريح الممنوحة خلال الأعوام 2010-2018



5. جدول يبين حجم الزيادات السنوية للتصاريح الممنوحة للبناء في جميع مناطق وضواحي العاصمة عمان من مديرية آثار العاصمة خلال الفترة من 2010-2018م.

كنيسة ياجوز الشمالية 2016

اكتشاف أثري جديد

طاهر الغنميين

الموقع الجغرافي¹

تقع قطعة الأرض التي تضم الكنيسة في منطقة شفا بدران، شمال مقبرة شفا بدران، على تل أثري واسع يُعرف بتلعة نمر أو خربة مدينة ياجوز الأثرية. تبعد حوالي كيلومتر واحد شمال الطريق الرئيسي بين صويلح والزرقاء، وعلى بعد 10 كم شمال العاصمة عمان. يتميز الموقع بتضاريسه المتنوعة من تلال وهضاب وأودية، إلى جانب أراضي زراعية خصبة، وفي طرفه الغربي توجد عين ياجوز التي تسيل مياهها على مدار العام، والموقع عبارة عن خربة أثرية لمدينة ياجوز، مسجلة لدى دائرة الآثار العامة كبقايا مدينة رومانية أُعيد استخدامها خلال فترات تاريخية متعددة، تشمل العصور البيزنطية، الإسلامية المبكرة (الأموية والعباسية)، الإسلامية المتأخرة (الأيوبيية والمملوكية)، وبداية الحقبة العثمانية. وقد تم توثيق

الموقع ضمن مشروع توثيق مواقع الآثار الأردنية المحوسب (JADIS) تحت الرقم 2315,166. تقع قطعة الأرض ضمن الإحداثيات التالية: 1160593.04N، 236300.92E، و 1160591.84N، 236283.46E وفق نظام UTM، المنطقة 36، بارتفاع يتراوح بين 880 و 883 مترًا عن سطح البحر. مدينة ياجوز تُعتبر من المدن البيزنطية المهمة التي بُنيت على أنقاض مدينة رومانية مزدهرة، ولها دور حضاري بارز في فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية. أظهرت المدينة مدى تأثير البيئة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث اعتمد سكانها على موارد البيئة المحلية في البناء والمعيشة، مما ساعد في استمرارية الاستيطان وتطوير تقنيات حضارية ملائمة (المحيسن 2007: 141). تشهد البقايا الأثرية في المدينة على استيطان متعاقب لفترات تاريخية مختلفة، منها العصر الحديدي (Abel 1967: 185)، والفترات الكلاسيكية (الرومانية والبيزنطية)، والإسلامية المبكرة (الأموية والعباسية)، والإسلامية المتأخرة (الأيوبيية والمملوكية)، وحتى العثمانية المبكرة (Kennedy 1982: 134) ساهم موقع المدينة على طريق Via Nova Trajana، الذي أنشئ بين 111 و 114م خلال حكم الإمبراطور تراجان (98-117م)، في ازدهارها كحلقة وصل بين مدن الديكابولس العشر عبر شبكة طرق مرصوفة (Rostovtzeff 1932: 13).

1. جرت عمليات التنقيب وتوثيق لقطعة الأرض لمدة قصيرة من خلال الحفريات العرضية التي تجريها مديرية آثار العاصمة وكان مدير آثار العاصمة خلال مدة الحفر 2017 أحمد الشامي، وكانت نتائج الحفر تمثلت بالكشف عن بقايا جدران لمظاهر معمارية غير واضحة المعالم وتوقف العمل الصورة رقم (1)، وجاء تكليفي باستكمال عمليات الحفر والتنقيب لإظهار ما تكتنزه هذه الجزئية من موقع ياجوز جرت أعمال التنقيب والتوثيق الأثري في الحفرية العرضية لمدة شهر ونصف، ابتداءً من 10/9 واستمرت حتى 2017/11/22 في قطعة الأرض رقم 838 بناءً على كتاب التكليف من مدير مديرية آثار العاصمة رقم 268/17/1 تاريخ 8/10/2017.

المكتشفة أهمية الموقع وتوثق عظمة الحضارات التي استوطنت هذه المنطقة. ومع ذلك، يتطلب الموقع جهوداً بحثية ودراسات توثيقية علمية لفهم العلاقة بين العناصر الأثرية المكتشفة وربطها ببعضها البعض، مما يسهم في تقديم صورة متكاملة عن الدور الحضاري والتاريخي لمنطقة شمال عمان عامة، ومدينة ياجوز خاصة. امتدت فترات الاستيطان في ياجوز من العصر الحديدي، مروراً بالفترة الرومانية، ثم الفترات البيزنطية، الإسلامية المبكرة والمتأخرة، وصولاً إلى الفترة العثمانية المبكرة. يشير هذا التسلسل الزمني إلى أهمية الموقع وغناه التاريخي، الذي يعكس استمرارية الاستيطان وإعادة الإعمار عبر العصور، مما يجعل مدينة ياجوز شاهدة على عمق حضاري عريق ومساهمة إنسانية لا تُقدر بثمن.

منهجية العمل ونتائج أعمال الحفر

تعتبر هذه الحفريات جزءاً من الجهود الكبيرة التي تبذلها دائرة الآثار العامة في الاهتمام بالمواقع الأثرية المنتشرة في المملكة بشكل عام، وبخربة ياجوز الأثرية بشكل خاص. جاءت هذه الحفريات استكمالاً لما تم الكشف عنه من أعمال الحفر والتنقيب المستمرة خلال المواسم السابقة، التي بدأت منذ اكتشاف هذا الموقع الأثري. تم تقسيم منطقة الحفر إلى عدة مناطق (A, B, C, D) باستخدام جهاز المساحة Total Station، بعد تحديد نقطة مرجعية مركزية للموقع. تم فتح شبكة من المربعات بأبعاد 5×5م شملت غالبية مساحة القطعة، بهدف الكشف عن البقايا المعمارية المنتشرة على السطح في المنطقة الشمالية الغربية من الموقع، التي تعد امتداداً طبيعياً له.

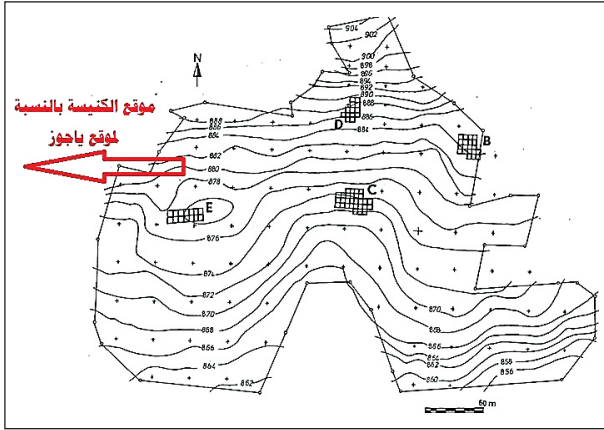
تم فتح 17 مربعاً في المنطقة (A) هي: (D1, D2, D3, D4, E1, E2, E3, E4, F1, F2, F3, F4, F5, G2, G3, G4, G5)، بينما تم فتح 3 مربعات في المنطقة (D) هي: (D1, D2, F1)، وقد تم رفع المظاهر المعمارية المكتشفة باستخدام جهاز Total Station، لربطها بالبقايا المعمارية المكتشفة في المواسم السابقة.

كانت الجامعة الأردنية، ممثلة بقسم الآثار، قد نفذت تسعة مواسم تنقيب بين عامي 1995 و2003 بقيادة الدكتور لطفي خليل، بهدف تدريب طلبة

كان لطريق Via Nova Trajana دور كبير في تنشيط حركة التجارة والاقتصاد بين المدن والبلدات الواقعة شمال عمان، مما أسهم في ازدهار مدينة ياجوز وحضورها الحضاري المميز. ساعد هذا الطريق في النهوض بالمنطقة، حيث تم إنشاؤه لأسباب سياسية وعسكرية، إلى جانب تعزيز التجارة والاقتصاد بين المدن التي يمر بها (William 1920: 13-16). تنتشر بقايا هذا الطريق بالقرب من شارع الأردن الحالي، حيث ربط شمال عمان بالقرى المجاورة عبر طرق فرعية، مثل خرب منطقتي الجبيهة وشفا بدران. أدى ذلك إلى جعل المنطقة نقطة ازدهار اقتصادي وأمني، وشكل منظومة دفاعية توزعت شمال عمان (Maurice 2007: 258). كما أن قرب مدينة ياجوز من مدينتي جرش وعمان، وهما من مدن الديكابولس العشر، جعل موقعها استراتيجياً ومساهماً في ازدهارها في مختلف المجالات الاقتصادية، التجارية، والزراعية عبر العصور. برزت ياجوز كمركز حضاري احتضن القرى والتجمعات السكنية المحيطة، مما عزز مكانتها كمدينة مركزية عبر الزمن (دراذكة 1997: 60).

تميز موقع ياجوز الأثري بوجود ينابيع مياه وفيرة، مثل عين ياجوز الواقعة جنوب غرب الموقع الأثري، وعين الفارعة التي تبعد كيلومتراً واحداً إلى الجنوب الشرقي. هذه العيون، التي ما تزال تتدفق حتى اليوم، لعبت دوراً حيوياً في ري المزروعات المحيطة وإمداد المنطقة بالمياه. أحاطت بالموقع التلال والأراضي الزراعية الخصبة، مما جعله موقعاً مثالياً للاستقرار البشري واستمرارية الاستيطان. ساهمت هذه العوامل الطبيعية بشكل كبير في ازدهار ياجوز عبر مختلف العصور التاريخية.

تُعد الفترات التاريخية التي تعاقبت على مدينة ياجوز والمنطقة المحيطة بها ذات أهمية كبيرة للدراسة والمقارنة، حيث تُظهر البقايا الأثرية المعمارية المكتشفة وغير المكتشفة مدى الزخم العمراني وأهمية هذه المدينة عبر التاريخ. تشير الدراسات إلى أن ما تم الكشف عنه لا يتجاوز 30% من إجمالي معالم المدينة الممتدة، مما يجعل الحاجة إلى أعمال تنقيب منظمة وواسعة النطاق أمراً ضرورياً لفهم تاريخها ودور الإنسان الذي عاش فيها. تُبرز البقايا الأثرية



1. مخطط طبوغرافي للتضاريس الطبيعية لموقع ياجوز الأثري يوضح توزيع مناطق الحفر والتنقيب.



2. منظر عام لقطعة الأرض التي تختزل بين طبقات الثرى معالم ومرافق الكنيسة قبل الشروع بالحفر والتنقيب.

وقد اتخذت شكلاً نصف دائري بقطر 4,40م، مكونة من ثلاث صفوف من الأدرج المبنية من الحجارة الجيرية. كانت هذه الأدرج تستخدم كمقاعد لرجال الدين. استمر العمل في التنقيب للكشف عن امتدادات الحنية، لاسيما الجدار الجنوبي والشرقي، للكشف عن أي تغييرات طرأت على منطقة الحنية، خاصة بعد العثور على بعض الحجارة المشذبة التي كانت تستخدم كعتبات أبواب وعضادات، والتي تم توظيفها لإكمال بناء الجدار الجنوبي للحنية، كما تم فتح مجس اختباري بطول 1,50م وعرض 50سم وارتفاع 1م في منطقة المحراب أسفل أرضية الكنيسة. ومن خلال هذا المجس، تم التعرف على بعض الطبقات الأرضية التي كانت قد أعدت لرصف وتسوية الأرضيات الفسيفسائية. تظهر الطبقات من الأعلى إلى الأسفل الموضح في الشكل رقم (1) وهي:

البكالوريوس والماجستير على تقنيات الحفر والتنقيب والتوثيق الأثري، وقد تم تقسيم الموقع إلى مناطق متعددة. في موسم التنقيب لعام 2017، تم العمل في المنطقة E وفقاً للتقسيمات السابقة. وقد تم الكشف عن كنيسة غربية بنيت على النظام البازيليكي (خليل 2005: 53-63). كما تم إعداد خريطة طبوغرافية لموقع ياجوز وتوثيق جميع الحفريات التي أجريت ضمن الموقع على المخطط كما هو موضح في (شكل 1) (Khalil 1998: 458).

سير عمل التنقيبات الأثرية

جرت أعمال التنقيب والتوثيق الأثري في الحفريات العرضية لمدة شهر ونصف، ابتداءً من 10/9 واستمرت حتى 2017/11/22 في قطعة الأرض رقم 838. بعد فتح 20 مربعاً بأبعاد 5×5م في منطقتي A و D (شكل 2). تم الكشف عن الامتدادات الحقيقية للعناصر والمظاهر المعمارية المكملة لأجزاء ومرافق مبنى الكنيسة البيزنطية المبنية من الحجارة الجيرية وفق النظام البازيليكي. بلغ طول الجدار الخارجي للكنيسة حتى الجدار الغربي للرواق الأوسط 24,15م، بينما تراوح العرض بين 9,32 و 9,50م. تتكون الكنيسة من جزأين رئيسيين: الهيكل (Sanctuary)، الذي يتكون من الحنية والغرفتين الجانبيتين الجنوبيتين (Diaconicon)، والقاعة الرئيسية المخصصة للمتعبدين، التي تشمل الرواق الوسطي الأعرض، والذي ينتهي بحنية نصف دائرية في الشرق على شكل حذوة الفرس. أما الرواق الجنوبي فقد شهد تغييرات وإعادة بناء، واستُبدل بغرف جانبية خدمية.

جاء إنشاء مخطط الكنيسة وفق النظام البازيليكي باتجاه منحرف نحو الشرق، كما في الكنيسة الأولى المكتشفة في موقع ياجوز في مواسم التنقيب 1994-1996 التي أجراها مصيطف سليمان (Suleiman, 1995: 457-462). ارتبط هذا الطراز ارتباطاً وثيقاً بالديانة المسيحية لملاءمته العقائدية والمعمارية. وقد تم الكشف عن أغلب أجزاء الحنية خلال موسم 2016،

2. كلمة "بازليكا" (Basilika) هي كلمة يونانية تعني "صالة الملك" (Basilens)، وفي الاصطلاح الروماني قبل المسيحية كانت تعني قاعة لجلوس الملك. استخدم الطراز البازيليكي في بناء الكنائس منذ القرن الخامس الميلادي (بهنسي، 1987: 101-102).

ومدماكين وصفين من الحجارة الجيرية المشدبة التي تم الكشف عنها هي 5,10م والعرض 3,30م، وأهم ما تم العثور عليه خلال التنقيب في هذه الحجرة هو لوح من الحجر الجيري نقش عليه حرفان لاتينيان وهما AI أو A1. كما عثر أثناء الحفر الأثري على رأس تمثال لرجل ملتج نحت من الحجر الجيري الطري كما هو واضح في (شكل 3). ويوحى من خلال الملامح والشكل العام للوجه إلى الوقار بالرغم من آثار التحطيم والتشويه الظاهرة على بعض تفاصيله وحياءه وخاصة في منطقة الأنف، ربما كان يخص أحد القديسين أو الشهداء أو المحسنين المتبرعين الذين ساهموا في بناء الكنيسة ويعود إلى الفترة البيزنطية، وبلغت قياسات هذا الرأس للتمثال Human's Status Head الطول للوجه بلغ 23سم والعرض 18سم، أما السماكة للحجر الجيري فهي 7سم عند الرأس و2سم من الأسفل وعند منطقة العنق وفتحة الفم 5سم، وطول الأنف 6سم واتساع حدقة العين بلغت ما بين 4-5,5سم، أما الأذنان فتراوحت ما بين 3-6,5سم. وهذا يشبه ما تم الكشف عنه وظهوره على الأرضيات الفسيفسائية في كنائس مأدبا وخاصة في كنيسة الكاهن يوحنا الصغرى في نابو (بيشريللو 1993: 330).

لقد اضطلعت الإدارة في الكنيسة المحلية بدور أساسي في التمويل والإشراف على بناء الكنائس وملحقاتها، بينما غاب الدور الإمبراطوري في تمويل بناء الكنائس في شرق الأردن. وجاء التمويل الرئيسي لبناء وتشيد الكنائس من قبل المؤمنين الأثرياء، رجالاً ونساءً. حيث شاعت ظاهرة إشراك مجموعة من المتبرعين في تمويل بناء الكنائس في موقع أو مدينة



3. رأس تمثال لرجل ملتج من الحجر الجيري الطري تظهر آثار التشويه في الأنف.

- طبقة من المكعبات الفسيفسائية الصغيرة الحجم بسماكة 1,5-3سم.
 - طبقة من الملاط الأبيض مكون من مسحوق جيرى طباشيري مخلوط بالرماد بسماكة تراوحت ما بين 5-10سم.
 - طبقة من التراب الطبيعي المرصوص والمتماسك - التأسيسية - ذات اللون البني المحمر والتي تراوحت سماكتها ما بين 7-12سم.
 - طبقة من التراب الأحمر تحتوي على حجارة صغيرة بأحجام مختلفة مخلوطة مع حصى نهري صغير الحجم بسماكة تراوحت ما بين 15-25سم.
 - حاجز الهيكل³ Chancel screen.
- وقد تعرض شكل حاجز الهيكل للتغيير عبر مراحل بناء الكنيسة، حيث انتهى في المرحلة النهائية ليصبح ممتدًا من الجدار الشمالي إلى الجدار الجنوبي على عرض الكنيسة، ليبرز داخل الصالة أو الصحن الأوسط. بلغ طول جدار حاجز الهيكل 6,50م وعرضه 1م، وقد بُني من الحجارة الجيرية المتقنة التشذيب. أما الجدار الأموي، فقد بلغ طول ما تم الكشف عنه 7,40م وارتفاعه 95سم، وبُني من مدمك واحد على أساسات من الحجارة والطين المدكوك، والتي شكلت الأساس للمدمك الحجري الذي بُني إلى الغرب من حاجز الهيكل بمسافة 1,25م. من أجل التأكد من طبيعة امتداد حجارة الجدران الأثرية في الجهة الجنوبية من الحنية، ولإكمال الكشف عن عناصر الهيكل بما في ذلك الحجرات الجانبية الجنوبية، تم فتح ثلاث مربعات في المنطقة D، وهي D1 و D2، وقد تكللت نتائج أعمال الحفر والتنقيب بالكشف عن ثلاث حجرات مختلفة في قياساتها، مع مستويات أرضياتها وطبيعة معثوراتها.

تقع الحجرة الأولى المستطيلة الشكل إلى الجنوب من الحنية وبلغ طول جدرانها المكونة من مدمك

3. وهو الذي يغلق محراب الكنيسة ويمتد أمام المحراب داخل الكنيسة، يفصل رجال الدين عن الجمهور المصلين، فمنذ القرن الرابع الميلادي رافق عملية الفصل بين رجال الدين والمصلين رفع منطقة المحراب والخورس بدرجة أو درجتين عن مستوى أرضية الكنيسة، وهي ظاهرة مألوفة في الكنائس، وقد تأثرت أشكال الحواجز بطبيعة الطقوس وبأسلوب مشاركة المصلين وبالشعائر الدينية المتعلقة بالقديس والشهداء وأماكن وضع رفاتهم داخل الكنيسة.

تم قراءة الجزء المتبقي منها غير المتآكل. وكان النص المكتوب على الوجه "لا إله إلا الله وحده"، أما على الظهر فكانت الكتابة غير واضحة، وما تم قراءته هو كلمة "سبعين" التي تشير إلى سنة ضرب المسكوكة خلال الفترة الأموية. هذه القطعة ظهرت بكثرة خلال الحفريات الأثرية التي جرت في عدة مواقع في المملكة، وتمثل هذه الفترة الزمنية. كلمة "سبعين" التي اقترنت بالدنانير والدرهم والفلوس الأموية تمثل السنة التي ضربت أو سكت فيها المسكوكة، وتعود إلى فترة الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي حكم خلال الأعوام 65-85 هـ (684-705 م). شهدت فترة حكمه مرحلة التعريب للعملة الإسلامية والإصلاحات التي تخلصت من استخدام وتداول العملة البيزنطية التي كانت تحمل تأثيرات وشعارات دينية مسيحية، حيث تم إصدار المسكوكات الإسلامية الخالصة في سنة 77 هـ، وتم ضرب أول درهم إسلامي خالص في سنة 78 هـ (القسوس والطراونة 1991: 47-57؛ التل 1983: 73-74).

كما عثر على جزء من مذخر Reliquary تم إنجازه وصنعه من الجبصين ويظهر على محيطه السفلي زخرفة الخرزة والبكرة Decoration وهي زخرفة معمارية على شكل شريط يزین جوانبه كما في (شكل 5)، وهو ربما منقول من مكانة الأصلي وفي الغالب يكون موجوداً في منطقة الهيكل بالقرب من المذبح أو المحراب، ولربما بفعل ما حصل من تخريب وتدمير للأرضيات الفسيفسائية قد نال هذا المذخر جانباً من ذلك التخريب، خاصة أنه عثر عليه بين الحجارة المتساقطة داخل الحجرة.



5. منحوتة حجرية لجزء من مذخر تظهر عليها زخرفة الخرزة والبكرة.

معينة، مما يدل على درجة ثراء هؤلاء المتبرعين. وقد كان من الشائع أن يتبرع الشخص نفسه لبناء أكثر من كنيسة في نفس الموقع، ما يعكس مساهمة فعالة من السكان في عملية البناء (قاقيش، 2007: 45-48). وقد تم الكشف أثناء الاستمرار في الحفر على جدار من مدماك واحد امتد بموازية الجدار الشرقي للحجرة وبطول 2,30م وعرض 75سم، يعتبر هذا الجدار جزءاً لعنصر معماري بني خلال فترات لاحقة لبناء الكنيسة خلال الفترة الأموية وذلك من خلال مجاميع الكسر الفخارية التي تم العثور عليها على طول امتداده، و يظهر طبيعة الاستخدام والتوظيف العام لهذه الحجرة؛ بأنها معدة من أجل ممارسة الأعمال اليومية، وهذا واضح في طبيعة الأدوات التي تم العثور عليها والخاصة بأدوات طحن الحبوب المختلفة التي تظهر في (شكل 4).

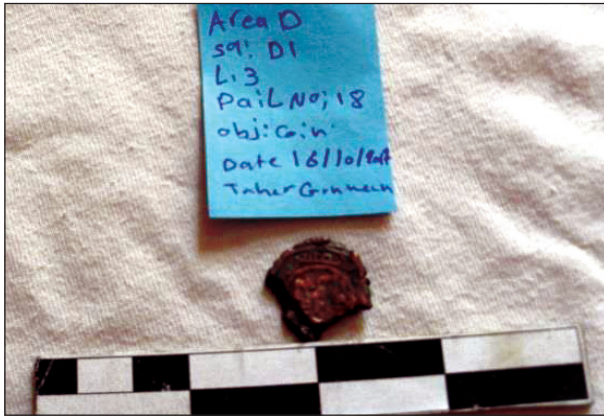
كما تم العثور على جزء من عمود أسطواني الشكل من الحجر الكلسي في الحجرة، قطره 33سم وارتفاعه 75سم. وجد بجانبه حجر مستطيل الشكل بأبعاد 60×35سم، وتحيط بهما طبقة من الرماد والفحم، مما يدل على طبيعة الاستخدام لهذه الحجرة ويؤكد وجود طبقة حرق تشير إلى أنها كانت تستخدم كموقد لإعداد الطعام وممارسة الأعمال اليومية. وعثر بالقرب من العمود ضمن الطبقة الثالثة على مسكوكة لفلس أموي من معدن البرونز، فقدت بعض أجزائها خاصة في الوسط وعند الحواف. يعود الفلس إلى العصر الأموي، بقطر 1,6سم ووزن 2غم (شكل 4). بسبب فقدان بعض أجزاء المسكوكة وعدم وضوح العبارات القرآنية التي تم سكها على الوسط والإطار،



4. أجزاء من أدوات الجرش والطحن للحبوب والمدقات البازلتية المختلفة الأحجام.

مواسم التنقيبات التي أجريت خلال الأعوام 1994-1995 من قبل مصيطف سليمان فإنها تعود للعصر البيزنطي (Suleiman 1995: 457-462).

كما عثر على إبريق فخاري وبجواره كأس أو فنجان كامل من الفخار، ومشعل فاقد لبعض أجزائه في الأعلى كما هو واضح في (شكل 8) (الحواف الدائرية التي كان يوضع ويتجمع فيها الزيت وتلتف حول الفتحات الثلاث الخاصة بوضع الفتيل) والأجزاء السفلية لقاعدة المشعل والقطع الثلاث ترجع إلى العصر البيزنطي ما بين القرنين السادس والسابع الميلاديين. كما عثر على مشبك نحاسي ودرة مغزل صغير الحجم بلغ قطرها 2,5سم، وعثر أيضاً بأرضية الحجرة على قرن لحيوان أليف (غنم) وبجواره جرس من معدن النحاس صغير الحجم (شكل 9). الحجرة غنية من حيث حجم المعثورات التي وجدت بين ثنايا طبقاتها الأثرية الاستيطانية، فأغلب المعثورات التي



6. فلس أموي من البرونز فاقد أجزائه المكمل في الوسط والإطار.



7. سراجان أحدهما مصنوع من الصلصال فاقد للمقبض وأجزاء من فوهة الفتيل، والآخر كتلة صوانية تبين محاولة لصنع سراج من هذا الحجر الصلد.

الحجرة الثانية تقع إلى الجنوب من الحجرة الأولى بلغت قياساتها الطول 4,20م والعرض 4,93م، احتوت على قاعدتين لقوس من مدماك واحد، امتد باتجاه شمال-جنوب والمسافة بينهما 2,90م، عرض الحجرة لقاعدة القوس أو حنية العقد 70سم، ووجد جدار امتد بشكل غير منتظم البناء يوحى طبيعة الاستخدام والتوظيف العام لهذه الحجرة أنها معدة من أجل ممارسة الأعمال اليومية، وأظهر ذلك طبيعة التربة الاستيطانية ذات اللون الرمادي الناتجة عن أعمال الحرق للاخشاب لإعداد الطعام التي تخللت وامتدت على جميع مساحة الحجرة.

أما الحجرة الثالثة فتقع إلى الغرب من الحجرتين الأولى والثانية لم يكتمل التنقيب فيها بسبب كثافة الطبقات الأثرية الاستيطانية وعمق الحجرة، وأيضاً وجود حجارة كبيرة الحجم في جميع أركانها حال دون إتمام أعمال الحفر خاصة من الجهتين الجنوبية والشرقية. لكن تم معرفة طبيعة التوظيف لهذه الحجرة بأنها كانت مكمل جزئياً من التوظيف الذي كان يتم في الحجرتين السابقتين، تراوحت قياسات ما تم الكشف عنه من جدرانها الطول 5,90م والعرض 3,60م، أما الارتفاع فهو 2,30م حتى مستوى الأرضية الصخرية Bed rock، واحتوت في منتصف جدارها الشمالي على قاعدتين متجاورتين لقوسين أو عقدتين، ما بقي منهما تراوح ما بين 3-4 مدميك بارتفاع 1,50م والمسافة بينهما 1,50م وطول حجارة القوس 90سم والعرض 50سم. تعتبر هذه الحجرة غنية من حيث ما تم العثور عليه بين طيات طبقاتها الاستيطانية من معثورات. فقد تم العثور على 5 مسكوكات غير واضحة المعالم ومتآكلة (شكل 6). كما تم العثور على سراجين أحدهما مصنوع من الفخار فاقد للمقبض من جهة الخلف، وأجزاء من أحد Nozzle الخاص بوضع الفتيل والذي يظهر على حوافه آثار الحرق، أما السراج الآخر فقد كانت محاولة لصنع سراج من حجر الصوان (شكل 7)، تظهر علامات التحدي والإصرار واضحة على بدن الحجر من قبل من قام بهذه المحاولة، جاءت طبيعة الحجر الصواني من حيث الشكل قريبة جداً من شكل السراج وكانت محاولة فيها إصراراً ومثابرة. ومن أجل تأريخه تم مقارنته مع ما عثر عليه في موقع ياجوز، إذ عثر على شبيه له خلال

تم استكمال أعمال الحفر والتنقيب في الجهة الغربية ضمن المنطقة A ليتسنى لنا الكشف عن باقي امتدادات مرافق الكنيسة، فقد أظهرت لنا الامتدادات لمداميك الصالة الوسطى أو الصحن الأوسط، بلغت امتدادات الطول شرق-غرب 60,10م والعرض 7,60م، وأثناء عمليات التنقيب للطبقات الأثرية التي اكتست وغطت محيط وأركان هذه الصالة وغيرها من مرافق الكنيسة، فقد تم العثور في الطبقة الثانية وعلى عمق 55سم من الحفر على رأس طائر بوم Head Of Owl، وفي الجزء الأعلى من الرأس نقش حرفان يونانيان وهما AL أو AI وهذان الحرفان تكرر مرتين على التوالي لكل من تمثال رأس طائر البوم وجاء قطر الحجر الجيري يتراوح ما بين 15-18سم (شكل 10)، وكذلك ما تم العثور عليه على الحجر الجيري فالحرفان متشابهان بشكلٍ يوحي أن لهما دلالاتٍ ومغازي دينية، ولربما يرمزان إلى الأحرف الأولى لأحد القديسين أو الرهبان أو المحسنين الذين ساهموا في بناء الكنيسة، وكان لهم دور كبير في حياة السكان المحليين والمصلين في مدينة ياجوز إبان الفترة البيزنطية (قافيش 2007: 123). ولذلك خلدت أحرف أسمائهم على هذا اللوح الحجري وعلى أعلى رأس تمثال طير البوم، والذي يرمز في الحضارة الكلاسيكية والبيزنطية إلى الحكمة والشعر وظهرت صورة طائر البوم بشكلٍ كاملٍ على العملة (ظهر على وجه العملة اليونانية) لما لهذا الطائر من رمزية وخصوصية في الميثولوجيا والحياة العامة السياسية والاجتماعية والدينية في الحضارة الكلاسيكية، وظهر أيضًا في الحضارة المصرية على الرسوم الجدارية وعلى المعابد والمقابر. كما تم العثور على جزء من

وجدت بالحجرة وجدت بين قاعدتي حجارة القوسين اللذين انتصبا في منتصف الجدار الشمالي للحجرة وبنيًا بشكلٍ ملاصقٍ لهذا الجدار، وتظهر على بعض حجارتها ثقب شكلت مرابط من أجل ربط الحيوانات الأليفة التي كانت تربي آنذاك، حيث ظهر آثار ثقبين مختلفين ضمن حجارة قواعد القوسين، توزعت على حجارة مداميك القواعد للقوس أو القنطرة بارتفاع 1م، وفي ذلك دليلٌ على طبيعة التوظيف التي كانت تشغلها هذه الحجرة فكانت مخصصةً من أجل ممارسة الأعمال اليومية، وهذا واضحٌ أيضًا في طبيعة المعثورات التي تم العثور عليها بين أركان الحجرة ويعطي انطباعًا بأنها ليست مخصصة للسكن.



8. إبريق وفنجان ومشعل من الصلصال فاقد لبعض أجزائه في الأعلى وعند القاعدة.



10. رأس من الحجر الجيري لطائر ربما كان بومة.



9. مشبك نحاسي ودرة مغزل وجرس نحاسي وقرن حيوان.

الحجر الطري، وترتب فيها الحجارة في مداميك أفقية ورأسية Header And Stretcher، والمأخوذة في أغلبها من مبانٍ أقدم. وكان يعتنى بالواجهة الخارجية أكثر من السطح الداخلي، لأنه كان يغطي بالقصارة البيضاء المكون من الجير والرمل الأبيض أو يكسى بكسوة رخامية أو حجرية، أما الفراغ بين وجهي الحجارة فكان يملأ بالملاط وقطع الحجارة أو الدبش (ياسين 1982: 49).

وقد عثر على كسر من قطع القرميد التي كانت تستعمل في أعمال تسقيف المباني والمنشآت (Roof tile) بين الأنقاض والطبقات الأثرية المتراكمة، تراوحت قياسات بعضها بين 2-3,5 سم، والعرض بين 20-25 سم.

يظهر بوضوح أن أسلوب وتخطيط بناء مداميك الحجارة في الكنيسة يشير إلى أنها بنيت على مرحلتين. في المرحلة الثانية، تم تقليص المساحة العامة للمخطط، وهو ما يتضح من استخدام الحجارة المشدبة وغير المشدبة التي تم أخذها من مبانٍ سابقة، حيث تم توظيفها في أماكن غير التي نُحِتَتْ وشُدِّبَتْ من أجلها. كانت هذه العادة سائدة في معظم الحضارات عند تشييد المباني، حيث كان يتم اللجوء إلى استخدام الحجارة الجاهزة لمبانٍ تعود إلى فترات تاريخية سابقة، وذلك للتغلب على مسألة السرعة في الإنجاز وتوفير المواد الأولية اللازمة لإتمام الأعمال الإنشائية في الوقت المناسب (قاقيش، 2007: 67).

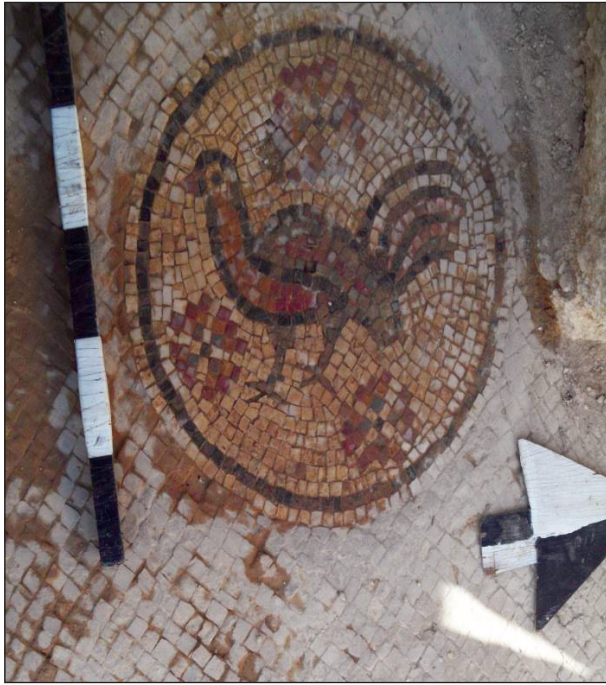
أثناء أعمال التنقيب، تم العثور على قطعة حجرية مشغولة بشكل جيد، تمثل جزءاً من خف حيوان مبتور وغير واضح المعالم. عُثِرَ عليها في مكان غير موقعها الأصلي، ما يشير إلى أنها ربما كانت جزءاً من تمثال حيوان تم تحطيمه. كما تم العثور على جدار بني في مرحلة لاحقة لتقليص المساحة العامة للكنيسة، بما في ذلك مساحة الصحن الأوسط. بلغ طول ما تم الكشف عنه من هذا الجدار 7,80 م، وكان مدماكه يتراوح بين مدماك وآخر، بني من الحجارة المشدبة وغير المشدبة. ومن خلال النسق العام للجدار، يمكن ملاحظة عملية إعادة البناء والتغيير في المساحة للاستفادة من اتساع الصحن الأوسط، مع وجود مدخل تم فتحه في هذا الجدار الثاني الذي أضيف في مرحلة لاحقة. يؤدي هذا المدخل إلى الرحبة الغربية أو الحجرة الرابعة.

المذخر المكمل لشكله البيضاوي Reliquary والذي كانت تحفظ فيه رفات وبقايا القديسين والشهداء والنمط المؤلف للمذاخر، هو أن يكون على شكل صندوق صغير يشبه شكل التابوت الصغير وله غطاء في وسطه ثقب كالذي وجد في الكنيسة الشمالية في حسان أثناء الحفريات التي أجريت عام 1978 (Lawlor 1978: 95-103). هذه الصناديق تكون غالباً غير ثابتة بحيث تتيح للمصلين والحجاج الذين يأتون للتبرك بالقديسين رؤية البقايا المقدسة داخل الصندوق وبالتالي فهي عرضة للعبث، وجاءت تحيط بجانبها جزء الصندوق المكتشف تنفيذ زخرفة الخزعة والبكرة Bead And Reel Decoration، ومن المتوقع أن يقوم السكان أو المصلون بنقل ذخائر القديسين عند هجرهم موقعاً ما، وكانت توضع فوق المذبح أو أسفل منه في إحدى الغرف الجانبية (غرف الخدمة) على جانبي المحراب.

كما عثر في الطبقة الثالثة المدكوكة الكريمة اللون والتي اشتركت فيها أغلب مساحات مرافق الكنيسة على بعض الأدوات الحديدية والمسامير، وقد استخدمت المسامير الحديدية من أجل تثبيت السقوف الخشبية التي كانت من أخشاب الصنوبر والسرو والعرعر. استفاد البناؤون من تجاربهم المعمارية فقد حاولوا التغلب على مشكلة قلة الأخشاب من خلال الاستفادة في نفس الوقت من توفر كتل حجرية ملائمة لبناء السقوف، حيث كانت تستند كتل السقف على طنفٍ حجري Corbels تخترق مداميك الجدران، وتبرز مسافة معقولة ومناسبة، بحيث تستند الألواح التي قد يصل طولها إلى المترين والثلاثة أمتار على أقواسٍ مستعرضة، جرت محاولات المزج ما بين السقوف الخشبية والحجرية في بعض الأحيان، إذ وجد في الجهة الشمالية بالقرب من الرواق الشمالي على الألواح الحجرية التي كانت مستخدمة في التسقيف، وعثر على المسامير الحديدية على الأرضية في الرواق أو الصحن الأوسط، والتي كانت لها استخدامات لتثبيت الألواح الخشبية في السقف أو الألواح الخشبية التي كانت تشكل جزأي أو مصراعي الأبواب. إن الطريقة الشائعة في بناء الجدران الداخلية والخارجية هي؛ الجدران الخارجية استخدمت حجارة كلسية قاسية، أما الداخلية فقد كانت من نوع جيد من

تدمير كغيرها من الأرضيات الفسيفسائية التي طالتها التخریب والتدمير. يتوسط هذه الحجرة من الجهة الشمالية المحاذية لجدارها الشمالي إطاراً أو شريط دائري، نفذت بداخله رسمة طائر ديك، وتحيط به من ثلاث جهات ورقة العنب مكونة في كل أيقونة زخرفية أربعة وريقات يلتقي عرق كل ورقة عند نقطة مركزية، تتوزع الوريقات حول هذه النقطة وتشكل دلالة رمزية تمثل رسم الصليب، ويستدل منها على مركزية أفكار وأسلوب مصمم هذه الأيقونات الزخرفية في محاولة لملء الفراغ (56 : 1994 Bagatti) يظهره (شكل 11).

وجاء هذا الإطار ورسمة طائر الديك والذي يرمز إلى بزوغ عهد مزدهر وإشراقة يوم جديد، وإلى الأمل المنتظر بالخير والسلام والمحبة. وهذه النظرة العامة لجميع الرسالات السماوية التي ترافق طائر الديك كونه نذير صبح وإشراقة يوم جديد (Bagatti 139-160 : 1957) منفذة بالمكعبات الفسيفسائية صغيرة الحجم وبالألوان الأصفر والخمري والأبيض والأسود، اختلفت من حيث أسلوب التنفيذ وحجم المكعبات عما هو محيط بها من مكعبات فسيفسائية، فجاء تنفيذ مكعباتها بالفسيفساء كبيرة الحجم، وبأسلوب



11. إطار زخرفي نفذ بداخله رسمة طائر تتوزع حوله ثلاث أيقونات على شكل وريقات موزعة في الاتجاهات الأربعة مشكلة رسم صليب عند التقائها عند نقطة مركزية.

تم فتح مدخلين رئيسيين في الرحبة الغربية، أحدهما في منتصف الواجهة الغربية للحجرة ويعد المدخل الرئيسي للكنيسة. جاءت قياسات عضادة البوابة (Sill) بارتفاع 70 سم وعرض 132 سم. طول الحجرة 7,75 م والعرض 4,18 م. عثر في أرضية الحجرة على بقايا طابون⁴. بالقرب من الجدار الشرقي للحجرة، ظهر موقد بني على شكل رصفة من الحجارة تحيط به كميات كبيرة من الرماد والفحم، بأبعاد 1×1 م. الموقد وبقايا الطابون شكلا مساحة بلغت 1,60 م عرضاً و1,90 م طولاً.

تظهر هذه الاكتشافات عملية إعادة الاستخدام والتغيير في مرافق الكنيسة، وكيف تم توظيف هذه المرافق في نهاية الفترة البيزنطية وبداية الفترة الأموية كمناطق مخصصة للأعمال اليومية. كما تبين كيف تم تقليص المساحة في الحجرة أو الرحبة الغربية، ووجود قاعدتين أو دعامتين متلاصقتين مع الجدارين الشمالي والجنوبي، يستند عليهما السقف عبر القناطر الحجرية لهذه الحجرة. من خلال القراءة الأولية للكسر الفخارية التي تخللت الطبقة الأثرية الاستيطانية ذات اللون الرمادي، التي تظهر على أغلب آثار الحرق، يمكن الاستدلال على فترة العصر الأموية.

قاعدتي القوس امتدتا بشكل شمال-جنوب وبلغت المساحة بينهما 1,18 م، وأثناء الحفر والتنقيب عثر بالقرب من مدخل الحجرة على أنيتين فخاريتين كانتا معدتين للطبخ، وبفعل الرطوبة التي أثرت كثيراً على تماسك بدنهاما تحطمتا بمجرد محاولة إخراجهما من مكانهما، خاصة أنهما جاءتا محصورتين بين الحجارة المتهدمة المختلفة الأحجام وتظهر على أبدانها آثار حرق.

وجد في الجدار الشمالي للصحن الأوسط مدخل تراوحت أبعاده بين العرض 80 سم والارتفاع 1,05 م. يفضي إلى حجرة تشكل الحجرة الخامسة جاءت مبلطة بفرشة أرضية من مكعبات فسيفسائية كبيرة الحجم، لكن ما يميز هذه الحجرة عن غيرها من الحجرات التي فرشت أرضياتها بالمكعبات الفسيفسائية أن هذه الأرضية الفسيفسائية بقيت سليمة دون تخریب أو

4. وهو فرن مصنوع من مادة ترابية الصلصال بعد عجنها وتشكيلها على شكل جرة فخارية مفلطحة ذات فتحة كبيرة (سواق، 2009: 129-130).

أغلب المجاميع الفخارية التي تم العثور عليها بين طيات ثناياها ترجع إلى الفترة الأموية. ويلاحظ عليها أن عمليات إعادة بناء تمت لحجارة مداميك الجدران، حيث إن تقنية وأسلوب البناء مختلف في أغلب حجارة مداميكها، وهذا ملاحظ في طريقة بناء حجارة مداميك الجدار الشمالي، والتي جاءت مغايرةً تمامًا عن النسق العام الذي بنيت عليه مداميك الجدران للحجرة، وهذا يعطينا انطباعًا أكيدًا بما حصل من تغيير في المخطط العام لمرافق الكنيسة، وما رافقه من إضافة وإعادة إعمار وتعديل في تقسيمات العناصر المعمارية لها خلال نهاية الفترة البيزنطية وبداية الفترة الأموية.

فرشت أرضية الجناح الشمالي بالقطع الفسيفسائية الكبيرة الحجم والتي ما زالت سليمةً هي الأخرى دون أي تخريب أو تدمير وتقع بمحاذاة الهيكل والصحن الأوسط من الجهة الشمالية فقد بلغت أبعاده الطول 11,70م والعرض بلغ 3,10م. أما الجناح الجنوبي فقد طرأ عليه تعديل في مراحل لاحقة وتغير معه المخطط العام للكنيسة، بعد أن أضيفت غرف خدمات مجاورة للحنية أو المحراب والصحن الأوسط من جهة الجنوب وعددها ست حجرات، وبالتالي فقد انطمرت وتغيرت ملامح الجناح أو الرواق الجنوبي ليشمل الإضافات والمرافق السكنية التي استبدلت بالرواق الجنوبي خلال مراحل إعادة البناء والتغيير والتقليص في مساحة المخطط العام للكنيسة، وتغيرت معها السمة الوظيفية ليشغل غرف خدماتية مجاورة للصحن الوسطي. ويفصل الصالة الوسطى في كل جناح صف من خمسة قواعد ودعامات يستند عليها وتدعم السقف تراوحت قياساتها ما بين الطول 80سم والعرض 70سم والارتفاع ما بين 45-85سم.

وقد امتازت المباني في العصر البيزنطي بتخصيص منطقة القبة أو الحنية للتصاوير الخاصة بالسيد المسيح أو الصليب ومشاهد مستمدة من حياة السيد المسيح (Brenk, Jaggi and Hans 1994: 351-356). ومن خلال دراسة الفسيفساء البيزنطية يجب التمييز بين فترتين مهمتين الأولى: تلك التي امتدت من القرن الرابع وحتى القرن السابع الميلاديين، أما الثانية: فتتمدد من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الميلاديين (Kitzinger 1954: 85-91). جاء الالتزام بتوجيه الكنائس باتجاه شرق-غرب المحراب

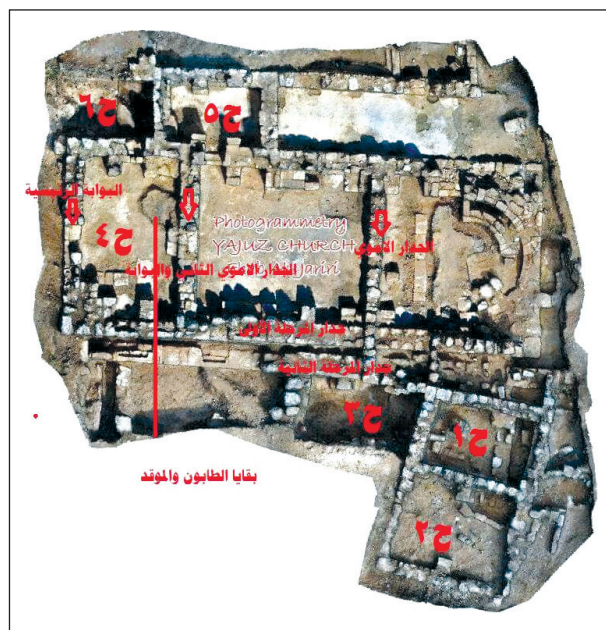
مغاير تمامًا عما هو محيط بالإطار ورسمه الطائر. وهذا دليل آخر يبين لنا أن مرحلة ثانية من أعمال البناء والتنفيذ قد اعترت وشملت التغيير وإعادة البناء، فغيرت في قياس المخطط العام للكنيسة ومرافقها، خاصة في المرحلة الثانية من إعادة الإعمار، ولربما كان مرد ذلك إلى نقص الإمكانيات أو الدعم المادي لتمويل إعادة بناء الكنيسة في مرحلة لاحقة خلال الفترة الأموية وهذا واضح في طريقة أسلوب البناء في بناء مداميك الجدران واختلاف نوع الحجرة أقل تشذيبًا وصغر مساحة البناء وكسر الفخار التي تعود للعصر الأموي (بيشريللو 1993: 329) أظهر وجود أسلوبين تم تمييزهما في تنفيذ فرشاة الأرضية بالمكعبات الفسيفسائية البيضاء من الحجم الكبير والتي شكلت أغلب مساحة الحجرة، جاءت في منتصف الجهة الشمالية لجدار الحجرة وهذه المكعبات قد تم إقحامها وتنفيذها حول إطار دائري بقطر 45سم، نفذ بداخله طائر ديك في حالة حركة تتقدم الرجل اليمنى وتحيط به من ثلاث جهات ورقة عنب، نفذ الإطار ورسم الديك لتشكل الأيقونة الوحيدة الملونة الكاملة التي سلمت من عملية التخريب والتدمير. ظهر ما يشابه رسمه الديك المفرغة والمقحمة على الأرضيات الفسيفسائية في مأدبا مدينة الفسيفساء في كنيسة الكاهن يوحنا الصغرى في نبو، وأيضًا وجدت على أرضيات كنيسة القديس جورج بخربة المخيط على بعد 9كم غرب مادبا، وتتألف من زخارف تشكل دوائر متداخلة في الوسط، والإطار يتكون من زخارف هندسية، أما الألوان فهي الأبيض والقرميدي والبرتقالي والأسود (Bonfioli 1957: 161-196).

وقد عثر على حجرة مجاورة لهذه الحجرة تقع إلى الغرب منها، اعتبرت الحجرة السادسة، تراوحت أبعاد قياسات هذه الحجرة ما بين الطول 4م أما العرض فهو 2,50م وارتفاعها بلغ 1,80م. وأرضيتها تختلف عما كانت عليه سابقتها في أنها جاءت من الصخر الطبيعي Bed Rock. وهي غير مستوية أو منتظمة، من حيث منسوب الأرضية ومبنية من الحجارة الجيرية المشذبة وغير المشذبة، وأن طبقة من الحرق تركزت في منطقة وسط الحجرة بمساحة بلغت 1×1م وهي طبقة استيطانية اعتلت الأرضية الفسيفسائية ذات اللون الضارب إلى الصفرة، جاءت

الطبقة الأولى: طبقة ترابية سطحية Top Soil
ذات لون بني داكن قاسية ومتماسكة، تتخللها حجارة كبيرة ومتوسطة الحجم وحشائش يابسة وجذور نباتات وتم العثور على كسر فخارية مختلفة الأشكال والأنواع والأحجام كالأيدي والقواعد والحواف الخارجية منها كسر لجرار تخزين وأباريق صغير وزبادي وصحون وتخللها العثور على بعض المكعبات الفسيفسائية مختلفة الأحجام، وهذه الطبقة كانت تغطي كامل الطبقات السطحية لجميع المربعات التي تم التنقيب فيها، وتراوحت سماكة الطبقة ما بين 20-40سم.

في النهاية الشرقية للكنيسة والمدخل الرئيسي في
الجهة الغربية بعد عهد قسطنطين، أي منذ منتصف
القرن الرابع الميلادي حيث كانت الكنائس في عهد
قسطنطين (306-337م) (-330: 1941 Saller
347). تتجه نحو الغرب مثل كنيسة القديس بطرس
والقديس بولس. وأن توجيه الكنيسة والاختلافات في
درجات الانحراف قد يكون له علاقة بالموسم الذي
اختطت به الكنيسة وليس لسنة البناء خاصة وأن
الكنائس كانت تتجه نحو القدس وهي في جهة الغرب
بالنسبة للكنائس (1976: Piccirillo and Russan
61-70).

وبناء على القراءة الأولية لكسر الفخار المختلفة الأشكال والأنواع ومن خلال الشكل العام لمخطط للكنيسة، أمكن تأريخ الكنيسة إلى منتصف القرن السادس الميلادي. أما التغيرات في منطقة المحراب والخورس وما طرأ على منطقة الصحن الأوسط ووحدات عناصر الكنيسة من إعادة بناء وتغيير وتقليص في المساحة الكلية، بما يليبي و يتناسب مع الحاجات والوظائف التي استحدثها البناء داخل مرافق الكنيسة، والجدار الممتد من الشمال إلى الجنوب بعرض الكنيسة، بني إلى الغرب من حاجز الهيكل بمسافة 1,50م على رصفةٍ من التراب والحجارة الصغيرة، وجاءت تختلف تمامًا عن الرتم والنسق المعهود في



– 103 –

فخارية متعددة الأشكال والأنواع، وإن معدلات هطول الأمطار والتلوج على هذه المنطقة تعتبر من أعلى المستويات إذا ما قورنت بالمناطق الأخرى.

الطبقة الخامسة: وهي طبقة الفرشة الفسيفسائية التي غطت الرواق الشمالي والغرفة رقم (6) وبعض الأجزاء حول القواعد والدعامات الحجرية الملاصقة لجدران الكنيسة من الجانبين الجنوبي والشمالي، والتي كانت تدعم وتستند عليها أسقف الكنيسة، وهي الأرضيات المتبقية من آثار التدمير والتخريب التي اعترت الأرضيات الفسيفسائية، وما كانت تحتويه من رسومات وعناصر فنية وزخرفية اكتستها هذه الأرضيات.

الطبقة السادسة: الأرضية الحورية المدكوكة جيداً والمستوية في بعض أجزاء الكنيسة ومرافقها والتي جاءت كأساس تفرش فوقها المكعبات الفسيفسائية.

الطبقة السابعة: وهي طبقة الأرضية الصخرية BedRock والتي تم الكشف عنها وظهرت في الحجرتين (3+6) وجاءت مستوياتها مختلفة الارتفاع وجاء الميلان نحو الجنوب الشرقي.

النتائج والتوصيات

أظهرت نتائج أعمال الحفر والتنقيب الأثري في الحفريات العرضية على الحدود الشمالية لموقع مدينة ياجوز الأثرية أن الموقع يشكل امتداداً طبيعياً وجغرافياً للموقع الأساسي، ويعد جزءاً لا يتجزأ منه. يمثل هذا الموقع بوتقة تاريخية استوعبت معظم سمات وخصائص الفترات التاريخية التي تعاقبت على تاريخ الأردن الحضاري.

التوصيات

- التخصيص المستقبلي للموقع: يوصى بتخصيص هذا الموقع التاريخي ومحيطه لأعمال التنقيب الأثري المكثفة والدراسات العلمية المنظمة مستقبلاً. يتطلب ذلك تعاوناً مشتركاً بين دائرة الآثار العامة والمعاهد والجامعات والمؤسسات والبعثات العلمية المحلية والدولية للكشف عن المزيد من الرواسب الحضارية المختلفة. ينبغي التركيز على التعرف على الأساليب والتقنيات المعمارية لمرافق الموقع ودراسة الدور الوظيفي

الطبقة الثالثة: طبقة ترابية مدكوكة ذات لون كريمي ضارب إلى اللون الأصفر والداخلي في المربع وشملت جميع المربعات، تراوحت سماكتها ما بين 30-55سم، وجاءت أكثر سماكة في المربع E1 ضمن المنطقة D، إذ بلغت سماكتها أكثر من 1م. وهي لا تشكل قصارة على الجدران، وقد تخلل العثور بين ثناياها على كسر فخارية لأجزاء من أباريق صغيرة وكسر لزباد وصحون وأسرجة، استخدمت من أجل طحن وسحق الحبوب، وعثر على جزء من مذخر حجري في مربع D1 في المنطقة D، وعثر في المربع F2 في المنطقة D على ثقالة أو درة غزل Loom Weight من الحجر دائرية الشكل ومتقوبة في الوسط، وهذا يدل على النشاط التجاري والصناعي والزراعي الكبير الذي حظيت به مدينة ياجوز الأثرية.

الطبقة الرابعة: تمثل طبقة حرق Fire Place وظهرت في الزاوية الشمالية الغربية للمربعين F1+F2 في المنطقة A وجاءت محصورة بين الجدارين L7 و L10 في مساحة 2,00×1,45م، والسماكة ما بين 20-40سم، عثر بالقرب منها على بعض الأجزاء من الأدوات الحجرية البازلتية المستخدمة في الجرش والطحن للحبوب ومذقة بحجم قبضة اليد Hammering, Grinding and Crushing Basalt stone. أما في المربع G4 ضمن المنطقة A فقد امتدت هذه الطبقة ضمن مساحة تراوحت ما بين 1,60م العرض وبطول 1,90م، والسماكة كانت متقاربة عما تم العثور عليه في المربعين السابقين، أما سماكة هذه الطبقة في المربع D1 ضمن المنطقة D فهي مختلفة، وانتشرت على أغلب مساحة المربع باستثناء المربع الجنوبي، وهذا يدل على أن هذه الحجرات التي شملتها المربعات كانت مخصصة لإعداد الطعام وممارسة الأعمال اليومية، وما يؤكد ذلك أيضاً الصحون والزبادي وأواني الطبخ التي ظهرت على أبدان بعضها آثار الحرق. وهذه المعثورات تدل على وجود حركة زراعية كانت نشطة وعمليات تصنيع زراعي مزدهرة، خاصة أن المنطقة غنية بالخيرات الوفيرة والأراضي الزراعية التي تنتج الغذاء، واعتماد سكان تلك الفترة على الزراعة والرعي بشكل كبير، إذ تم العثور على مجاميع كسر

- بهنسي، عفيف
1987 **العمارة عبر التاريخ**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، ص: 101-102.
التل، صفوان
1983 **تطور المسكوكات في الأردن عبر التاريخ**، مطابع الجمعية العلمية الملكية، الأردن.
حداد، رهام موسى
1999 **طرق انتاج فسيفساء مأدبا وياجوز في العصر البيزنطي وترميمها**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
خريسات، بلال؛ الحمارنة، كاترين؛ مجلي، عبد الحميد
2009 **كنيسة الكاهن جيونيبيوس في جرش نتائج أعمال الصيانة والترميم، حولية دائرة الآثار العامة 53: 25-42.**
خصاونه، ناصر؛ ملحم، إسماعيل؛ البطاينة، أمجد
2002 **التنقيبات الأثرية في خربة الدوير مجلة منجزات 3: 21-22.**
خليل، لطفي
2005 **كنيسة البازليكا الغربية في خربة ياجوز، حولية دائرة الآثار العامة 49: 53-63.**
درادكه، صالح
1997 **طريق الحج الشامي في العصور الإسلامية، المطابع العسكرية، الأردن.**
الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
1925 **مختار الصحاح**، عني بترتيبه محمود خاطر بيك المطبعة الأميرية وزارة المعارف، القاهرة.
سواق، أيوب
2009 **قريتي شطنا، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، طبع بدعم من وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1.**
الشامي، أحمد
2010 **مشروع التنقيبات الأثرية في تل العميري الشرقي الموسم الأول 2009، حولية دائرة الآثار العامة 54: 35-42.**
الطعاني، حكمت
1997 **كنيسة أثرية في قرية قم، حولية دائرة الآثار العامة 41: 13-20.**
قاقيش، رندة
2007 **عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردن في العهدين البيزنطي والأموي، دليل ودراسة تحليلية، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن.**
القسوس، نايف؛ الطراونه، خلف
1991 **مسكوكات العالمين القديم والإسلامي، البنك العربي.**
المحيسن، زيدون
2007 **دراسات في علم الآثار الاجتماعي، الناشر وزارة الثقافة، مطبعة السفير، عمان، الأردن.**

للموقع في الفترات المختلفة.

- استكمال أعمال الصيانة والتطوير: من المهم استكمال أعمال الصيانة والتطوير والتأهيل في الموقع، ليصبح متنزهاً ومتحفاً مفتوحاً في المنطقة، يعرض الدور الهام للبشر الذين استغلوا البيئة من أجل البقاء. كما ينبغي تكريس وتعميق الوعي بأهمية الموقع وجعلها جزءاً من الخريطة السياحية المنظمة التي تشمل المواقع الأثرية الهامة.
- اكتشاف الكنيسة: تم الكشف عن كنيسة بنيت وفق النظام البازليكي بكامل عناصرها ومرافقها المعمارية والفنية. هذه الاكتشافات تعد غاية في الأهمية وتسلط الضوء على قصة تطور مدينة ياجوز التاريخية ودورها الفعال في محيطها الحضري. تم بناء الكنيسة على مرحلتين؛ الأولى في نهاية الفترة البيزنطية وفق النظام البازليكي، والثانية كانت في العهد الأموي مع بعض الإضافات المعمارية التي لم تغير من وظيفة الكنيسة.
- الأنشطة الزراعية: كشفت المكتشفات المتعلقة بالتصنيع الغذائي، مثل الجرون والجواريش البازلتية والمدقات وكميات من ثمار الزيتون المتفحمة، أن هناك مساحات زراعية شاسعة كانت مخصصة لإنتاج الحبوب والمحاصيل والأشجار المثمرة. تشير هذه المكتشفات إلى نشاط زراعي مزدهر خلال الفترات البيزنطية والإسلامية المبكرة، مما يعكس ازدهار القطاع الزراعي في تلك الفترات.
- تعتبر هذه الاكتشافات ذات قيمة كبيرة، ويمكن أن تساهم في فهم أعمق لحياة الناس في تلك الحقب التاريخية وتعزز من أهمية الموقع في السياقات التاريخية والزراعية.

الدكتور طاهر محمد الغنميين
أمين متحف الآثار الأردني
دائرة الآثار العامة

المراجع العربية

- بيشريلو، ميشيل
1993 **مأدبا كنائس وفسيفساء**، نقله إلى العربية كل من ميشيل صباح وآخرون، مطبعة معهد الآباء الفرنسيسكان، القدس.

- Kennedy.D
1982 *Archaeological Explorations on the Roman Frontier in North Eastern Jordan*, BAR.
Khalil, Lutfi
1998 University of Jordan Excavations at Khirbat Yajuz, *ADAJ* 42: 457-472.
Kitzinger. E.
1954 *The Cult of Images in the Age Befor Iconoclasm*, *Dumbarton Oaks Papers*, V8.
Maurice, Sartre
2007 *The Middle East under Rome*, Trans by Catherine Porter and Elizabeth Rowling, Its Edition, Harvard University Press, USA.
Piccirillo, Russan
1976 A Byzantine Church at ed-Deir (Ma'in), *ADAJ* 21: 61-70.
Rostovtzeff. M.
1932 *Caravan Cities*, Translated by: D and T. Albot Rice, Clarendon Press, Oxford.
Saller, S.
1941 *The Memorial of Moses on Mount Nebo*, Part1.
Suleiman, Emsaytif
1996 A Short Note on the Excavation of Yajuz 1994-1995, *ADAJ* 40: 457-462.
William, West Mooney
1920 *Travel Among The Ancient Romans*, The Gorham Press, Boston, U.
Zayadine.F.
1977 Excavations on the Upper Citadel of Amman Area A (1975-77), *ADAJ* 22: 20-56.

- نصير، ركاد
2010 المعاني اللغوية لأسماء المدن والقرى وأحواضها في المملكة الأردنية الهاشمية، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
ياسين، خيرى
1982 "عناصر حضارية بيزنطية في حفريات البتراء لعام، 1981" بلاد الشام في العهد البيزنطي، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الأردن.

المراجع الأجنبية

- Abel.F.M.
1967 *Histoire De La Palestins*, 3rd ed, Paris, Librairie Le Coffre.
Beat Brenk; Carola Jaggi and Hans Rudolf Meier
1994 The Fountain Court of Jarash Cathedral Reconsidered: the First Report of a New Swiss Research Project, *ADAJ* 38: 351-357.
Lawlor.J.
1978 The 1978 Excavation of the Hesban North Church, *ADAJ* 24: 95-105.
Bagatti, B.
1957 *Significato Dei Musaici Della Scuola Di Madaba/ Transgiordania*, RAC.
Bonfioli, M.
1957 *Mosaici Siro-Palestinesi in Rapporto Alle Decorazioni Delle Moschee Di Gerusalemme E Damasco*, RAC.

دراسات حول العظام والنقوش واللقى الجصية من مقبرة خربة السمر - المفرق

عبدالله جميل النابلسي

Abstract

This report is of a more and less detailed Arabic version of a public lecture held in November 2022 at the Jordan Museum. After a short introduction on the excavations at KHirbat As Samrā ancient cemetery, three major points of this project are presented.

The first about the stand of osteological results which tend to present a biological picture that does not differ much from those of other human samples examined in the same laboratory. The second present the diverse epigraphy of the funerary inscriptions obtained and tend to suggest a population of an "Arab" stock. The third deals concentrates on the multitude of plaster object found during excavations. A classification was suggested that organize these objects according to shape and form into three major types: geometric, zoomorphic and anthropomorphic. The origin, function, symbolism and use is discussed as earlier published (Nabulsi 2019).

مقدمة¹

كما دل على ذلك وجود ثلاث عشرة كنيسة عثر في أغلبها على أرضيات فسيفسائية تم الكشف عنها من قبل البعثة الأثرية الفرنسية، قبل أن تضمحل في القرن الثامن وتهجر في التاسع (Humbert 1998, 2010) عثر على أدوات حجرية عدة، أغلبها سطحية، تشير إلى نشاط بشري في المنطقة يعود إلى عصور مبكرة جداً].

ترتبط بالبلدة مقبرة أثرية على بعد حوالي 50م إلى الشرق منها تغطي 32-35 دونماً شمالي القرية الحديثة. كان أول من زار المقبرة رفائيل سفنيك الذي قسمها إلى جزء روماني وجزء أكبر يعود إلى الفترة البيزنطية المسيحية معتمداً على نقوش شواهد القبور التي اختفت جميعها الآن (Savignac 1925). تعرضت المقبرة لعمليات تخريب أثناء إنشاء خط ومحطة سكة الحديد الحجازي أوائل القرن العشرين.

قرية خربة السمر، المسماة حالياً روضة الأمير محمد، تقع في محافظة المفرق على بعد 50 كم شمال شرق العاصمة عمان وتضم بلدة أثرية هي إحدى "البلدات البازلتية" القديمة المنتشرة شمال المملكة وجنوب سوريا (الشكل 1). يعتقد أن بداية هذا الموقع كانت كمحطة تجارية نبطية على الطريق التجاري القديم الرابط بين أسواق الجنوب والشمال، والذي عرف في ما بعد بالطريق الروماني (Via Nova)، تطورت إلى قرية صغيرة سميت "حديثة". بلغت البلدة ذروتها ما بين القرنين السادس والسابع الميلاديين [ستكون جميع التواريخ لاحقاً ميلادية ما لم يذكر غير ذلك]، أي أواخر الحقبة البيزنطية وبداية الإسلامية،

1. هذا المقال اختصار وتفصيل لنقاط شملتها محاضرة عقدت في متحف الأردن بشهر نوفمبر 2022.

مشروع حفريات مقبرة خربة السمرا الأثرية

عام 1995 بدأ مشروع الحفريات المنظمة في ما توفر من مساحات في الجزء البيزنطي من المقبرة القديمة، وقد تم ذلك بموافقة طوعية أو بناءً على طلب مالكي الأرض.

هدف المشروع الرئيس هو الحصول على عينة من بقايا عظام بشرية تكفي لتمثل سكان البلدة القديمة بغرض إجراء دراسات حيوية (بيولوجية) متعددة الأغراض لهذا المجتمع. حظى المشروع بدعم وتغطية علمية وفنية من قسم بيولوجيا الإنسان بجامعة هامبورغ الألمانية وبتمويل خاص وبمشاركة تطوعية للعديد من الطلاب وذوي الاختصاص. خلال 13 موسمًا من أعمال التنقيب التي جرت بين عامي 1995 و2013 في المنطقة التي تؤرخ من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلاديين، تم العثور على 725 قبرًا تمثل نحو 15% من إجمالي القبور المقدرة بما لا يقل عن 5200 قبر.

غالبية القبور عبارة عن حفر عمودية شبه مستطيلة تنتهي بمدفن أغلق بشبائح بازلتية مسطحة (الشكل 2) مع تباينات واسعة في شكلها. يقدر أن حوالي 15% من القبور قد أعيد استخدامها أو دفن فيها 2-3 أشخاص. المشاهدات الميدانية والدراسات أظهرت نتائج عديدة ومتنوعة وغير متوقعة أحيانًا، من بينها تأريخ بعض القبور إلى ما قبل القرن السادس الميلادي، وهناك مؤشرات على استخدام أكفان قماشية وطقوس وحتى توابيت (أو أسرة) خشبية في عادات وطقوس الدفن للمجتمع القديم. هذا المقال هو إفادة مختصرة لثلاثة مواضيع رئيسية ومتعلقة بالمشروع [راجع تقارير المؤلف في حولية دائرة الآثار العامة لتفاصيل أكثر عن الحفريات من عام 1996 إلى 2013].

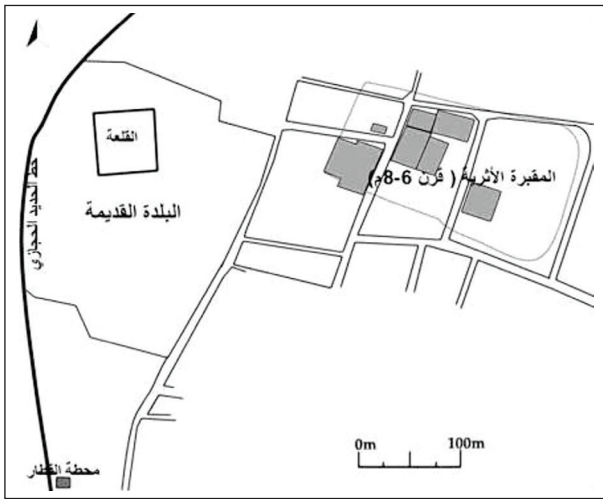
دراسات العظام البشرية

نتج عن الحفريات جمع بقايا عظام بشرية قدرت بأنها تعود إلى أكثر من 800 شخص، وذلك لاحتواء بعض القبور على أكثر من شخص. تباينت المادة نوعًا وكما في كل مدفن من قطعة عظمية أو سن واحد إلى هيكل شبه كامل.

تعزى حالة العظام المكتشفة إلى حموضة التربة واختراقات جذور النباتات العميقة، بالإضافة

إلى العبث الذي تعرضت له القبور في السابق. تتم الدراسات المخبرية بمعاينة العظام في مختبر خربة السمرا الميداني. تشمل التحاليل تحديد الجنس وتقدير العمر عند الوفاة، وتوثيق الصفات القياسية واللاقياسية (المتباينات التشريحية)، وتشخيص الأمراض المعدية وغير المعدية التي تترك آثارها على العظام.

النتائج المستقاة من دراسة أكثر من ثلث هذه العينة تعطي صورة أولية لمجتمع البلدة القديمة للفترة ما بين القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع الميلاديين، والذي قدر حجم سكانها بحوالي 500 نسمة. لوحظ أن وفيات الأطفال دون 13 سنة شكلت نحو 25% من إجمالي الوفيات في حين كان أكثر من 10% توفوا عن أعمار تعدت 60 عامًا، وهذه نسب جيدة بالنسبة إلى تلك الفترة. وقد أظهر العديد من الصفات القياسية للبالغين تقاربًا داخليًا مصحوبًا بالتمايز المعهود بين الجنسين. فعلى سبيل المثال الميل إلى الاستطالة في جمجمة الذكور يقل بعض الشيء لدى الإناث، وتباين في الطول من 160 سم إلى أكثر من 180 سم للذكور مقابل 150 سم إلى 170 سم للإناث. أما بالنسبة للمتباينات التشريحية فقد ظهر تجانس في توزيع العديد منها وإختلاف في أخرى أهمها هي تلك التي عرفت بنسبة ظهور ثقل عن 10% في دراسات عدة. فقد أظهرت عينة خربة السمرا تواجد بعضها بنسب عالية نسبيًا وأخرى ظهر أغلبها في أفراد دفنوا في جزء معين وفي قبور متقاربة في المقبرة القديمة، فمثلاً وجدت إحدى صفات الجمجمة بالإضافة إلى أخرى لفقرات



1. خارطة مبسطة لموقع خربة السمرا والمقبرة القديمة. مواقع الحفريات مبينة في الأجزاء المظللة. (جميع الصور والرسومات للمؤلف ما لم يذكر غير ذلك).

داخليا مع بعضها مع وجود فروقات بيولوجية تبقى في محصلتها ضمن حدود التباين العام الملاحظ في منطقة شرق الأردن للمقارنة (Al-Shorman 2006).

تعددية النقوش

تتميز مقبرة خربة السمرا عن مثيلاتها في المنطقة بالتعدد النوعي في النقوش الجنائزية على شواهد القبور التي عثر عليها أثناء الحفريات [لا يشمل التقرير النقوش التي جمعها الفريق الفرنسي من المباني داخل وخارج البلدة الأثرية وسطح المقبرة في السنوات السابقة لحفريات المقبرة ونشر أغلبها في Humbert and Desreumaux 1998]. فقد عثر على 15 نقشًا بالخط النبطي واليوناني القديم والعربي الشمالي (الصفوي) الحسموي (MacDonald 2000) والآرامي-ملاكاوي، (Desreumaux 1998: 450). إن أغلب هذه الشواهد كان قد أعيد استخدامه قديما كشبابح لإغلاق المدافن. تنقسم هذه النقوش إلى قسمين (Gatier 1998: 364): الأول يضم شواهد كبيرة الحجم ورباعية الأضلاع نقش علي الوجه شبه الأملس اسم المتوفى واسم والده وعمره. هذا النوع يؤرخ إلى القرنين الثالث والرابع (الشكلان 3 و4). وقد عثر على العديد من نوع هذه النقوش في شمال الأردن وحوارن. ويلاحظ أن هناك ما يشير إلى أن النقوش نفذت بحفر منقط للحروف تُوصَل فيما بعد على شكل الحرف، كما لوحظ في العديد من الشواهد قطع مخروطي رفيع يمتد من القاعدة إلى الأعلى بطرفه المدبب على جانبي سطح النقش (الشكل 4).



2. مثال لأحد القبور التي استكشفت أثناء الحفريات.

الظهر وعظام الأرجل في المجموعة "أ" وصفة مختلفة أو أكثر في المجموعة "ج" ومجموعة ثالثة "ب" جمعت صفة أو أكثر من كل من "أ" و"ج" و"ب" وأغلب أفراد كل مجموعة تركزت في ناحية من المقبرة (في وصف بعض الصفات راجع Nabulsi et al. 2020, 2022). هذه الملاحظات قد تعكس التركيبة الاجتماعية لسكان البلدة القديمة التي على الأغلب تألفت من عدة مجموعات أو عائلات متزاوجة داخلها وفيما بينها (أقارب).

صحيًا، ظهرت معدلات متوسطة نسبيًا لحالات تسوس الأسنان وبشكل خاص في الضروس مقابل نسبة متدنية شخصت لحالة اضطراب نمو الأسنان (enamel hypoplasia)، كما تم تشخيص حالات التهاب مزمنة لأمراض معدية من ضمنها البروسيلا أو الحمى المالطية (Guler et al. 2014)، بالإضافة لبعض السرطانات الحميدة في العظام، ولكسور عظام أغلبها بسيط، خاصة على الجمجمة وقصبات الصدر والأصابع. أما مظاهر الإجهادات على العظام واهتراء المفاصل فقد تم توثيق أغلبها بشكل تزايد مع عمر المتوفى من كلا الجنسين، هذا مع ملاحظة تشكل نتوءات عظمية تعزى إلى نشاط عضلي مزمن لدى العديد منهم. أسهمت دراسة الأمراض بمعلومات تضاف إلى صورة مجتمع خربة السمرا القديم. فتسوس واهتراء الأسنان يعزى إلى تناول غذاء غني بالسكر والنشويات (Hillson 2001) وحالات البروسيلا ترتبط بتناول منتجات الألبان. كما أضيف إلى ذلك العثور على بقايا ثمار في القبور، كالزيتون وربما التين، فإن هذه النقاط تشير إلى تنوع غذائي نباتي حيواني لمجتمع زراعي-رعوي على الأغلب.

بمقارنة هذه النتائج الأولية لدراسات العظام من مقبرة خربة السمرا مع دراسات أخرى تمت في نفس المختبر والطرق التحليلية لعينات من مدافن في محافظات أردنية عدة كعمان والزرقاء تعود إلى الفترة الرومانية والعصر البرونزي (Nabulsi et al. 2022; Nabulsi and Shami 2023; Nabulsi and AbuShmais 2025: 155-171)، وبالرغم من حجم وحالة العظام في كل منها، يلاحظ تقارب في التركيب البيولوجي، أي توزيع الصفات القياسية واللاقياسية، والاجتماعية المفترضة والمشكلة من مجتمعات صغيرة ومؤلفة من مجموعات متزاوجة

(KS-2000)

(Bader *et al.* 2017)

(Bader and Gatier)

عثر على هذا الشاهد في الطبقة السطحية في منطقة المقبرة، تعرض الحجر للكسر في الأطراف. (الشكل 3)، إلا أنه كان بالإمكان قراءة النقش اليوناني: "مليحة بنت أنعم"

(KS-1325)

(Nabulsi *et al.* 2008)

(Timm)

شاهد قبر من الحجر الجيري (الشكل 3) أعيد استخدامه، بعد كسر جزء منه، لخلق القبر 358 وعليه نقش يوناني:

"أنعم توفي (عن عمر) 30 سنة"

يلاحظ اختلاف الكتابة لنفس الاسم في النقش السابق KS-2000.

(KS-2160)

(Bader *et al.* 2017)

(Gatier)

الجزء السفلي من شاهد قبر بازلي (الشكل 3) أعيد استخدامه في القبر 682. ماتبقى من النقش هو: "توفي عن عامين (من العمر)"

(KS-2155)

(Bader *et al.* 2017)

(Gatier)

شكل هذا الحجر مع الحجر KS-2156 الجدار الجنوبي لحجرة الدفن في القبر رقم 654 وكلاهما يظهر تشابهاً في أسلوب القطع والتجهيز (الشكل 4). نقش وجه هذا الحجر بحروف يونانية:

"أسد ابن زبد الله توفي (عن عمر) 13 عاماً"

أخذاً بعين الاعتبار الحجم الصغير نسبياً لسكان البلدة القديمة، فإنه من المحتمل جداً أن يكون "أسد" قريباً أو أخاً لـ "سفروس ابن زبدالله" المذكور على نقش جنائزي آخر (Gatier 1998: 367-8, No. 3).

(KS-2156)

(Bader *et al.* 2017)

(Gatier)

هذا الحجر يماثل سابقه شكلاً مع اختلافين بسيطين (الشكل 4). أما بالنسبة للنقش فهو أيضاً

يقتصر النوع الثاني فقط على مقبرة خربة السمرا، ويضم نقوشاً على حجارة مختلفة الشكل والحجم، بعضها طبيعي، وعلى سطح أملس (الشكل 5). النقش يقتصر على اسم المتوفى بحروف يونانية أو آرامية حول صليب محفور أو قربه. هذا التقرير يقدم ترجمة عربية للنقوش التي عثر عليها وسبق نشرها مع بعض الملاحظات للمؤلف. أما بالنسبة للشروحات ودراسة المقارنة فبالإمكان الرجوع إلى المرجع المرتبط بكل نص منها.

نقوش القرنين الثالث والرابع الميلاديين²

(KS-1205)

(Nabulsi and MacDonald 2014)

(Gatier)

عثر على شاهد القبر البازلي في حفرة قبر رقم 310 (انظر الشكل 3) حيث أعيد استخدامه كحجر غلق لمدفن امرأة توفيت عن عمر تراوح بين 25 و40 سنة وقد نقش عليه بحروف يونانية نص معناه:

"عنود (ابن/بنت) عيد"

كتب الاسمان بإضافة ضمير الملكية باليونانية

"OY" بدلاً من "OC= oc" للذكر أو "CA=σα" للأنثى لاسم المتوفى الأول. لذا، وخلافاً لما سبق نشره، فإنه وارد جداً أن يكون شاهد القبر بالأصل للمتوفية "عنود"، ولكن ليست تلك التي وجدت بقاياها في القبر.

(KS-1804)

(Nabulsi and MacDonald 2014)

(Gatier and Timm)

شاهد قبر بازلي (الشكل 3) أعيد استخدامه في مدفن القبر رقم 192 ونقش عليه بحروف يونانية: "ملكة"

(KS-1810)

(Bader *et al.* 2017)

(Bader and Gatier)

حجر بازلي كان جزءاً من شاهد قبر (الشكل 3) عثر عليه مدفوناً في منطقة المقبرة ويحتوي على الجزء الأكبر من نقش يوناني هو على الأغلب: "عبد الملك ابن عبد الله"

2. سيذكر رقم تسجيل النقش ثم المصدر ثم اسم من قدم القراءة.

(الشكل 4):

"هذا قبر معن ابن تيم عبادة"

حفر النقش بخط نبطي وليس بشبيهه "الهوراني- الأرامي" المعروف في مناطق الشمال والتي لم يعثر فيها على اسم الأب "تيم عبادة" في أي خط أو لغة، أما "معن" فقد اقتصر ذكره على النقوش الصفوية. وببساطة: النقش نبطي أصيل وليس (نبطي-هوراني) ويطرح احتمالية تأريخه مع شاهدي القبر المشابهين له في الشكل العام والتهذيب، KS-2155 و KS-2156 (الشكل 4)، إلى حوالي القرن الثالث الميلادي على أبعد تقدير.

بحروف يونانية تترجم إلى:

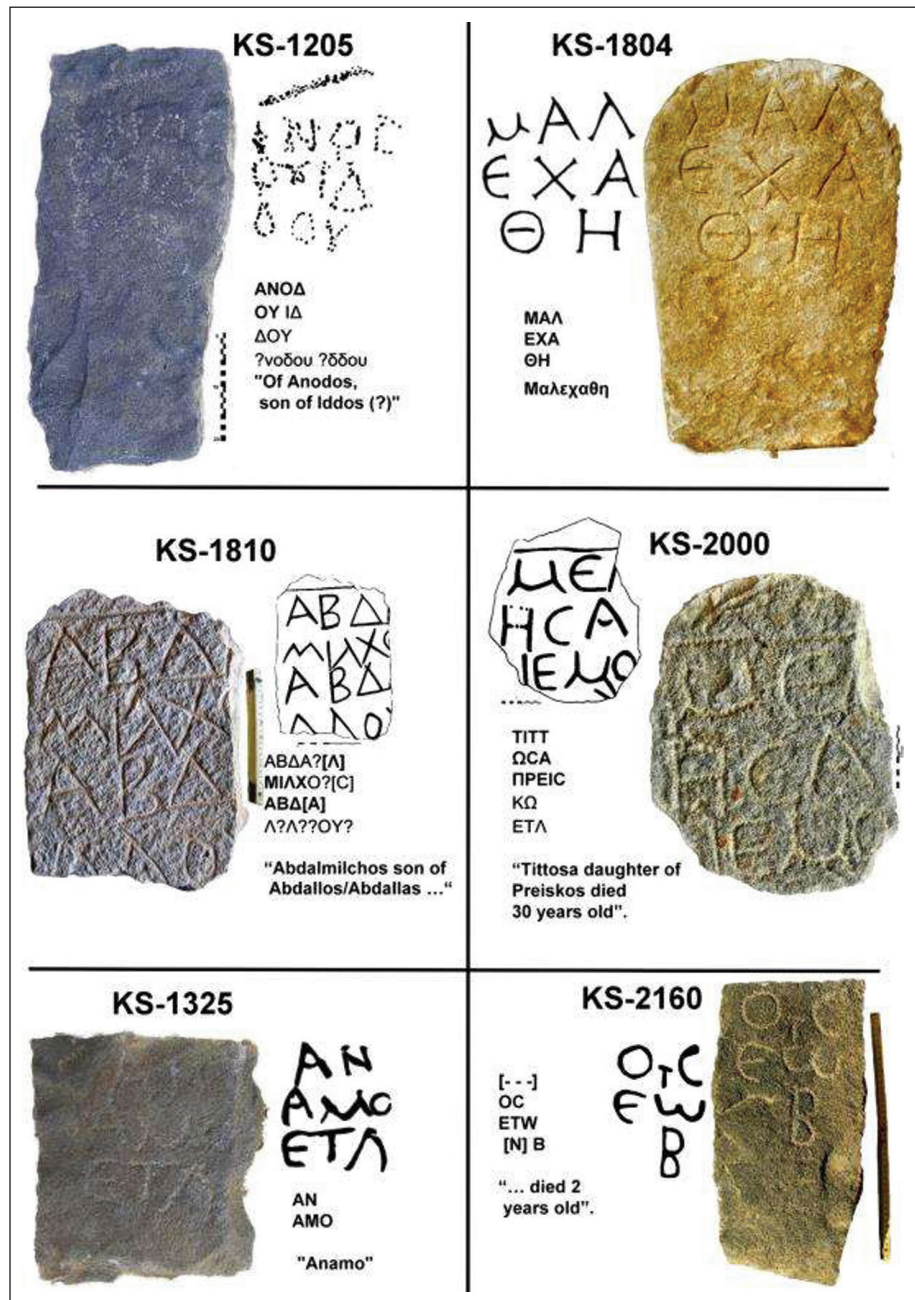
"تيتوسا بنت برسيكوس توفيت (عن عمر) 30 سنة" ولاحظ أن العمر نقش أسفل خط التثبيت الأفقي، أما بالنسبة لاسم الأب يعتقد بوجود تشابه أرامي (راجع المصدر).

(KS-1685)

(Nabulsi and MacDonald 2014)

(MacDonald)

هذا الحجر البازلتي هو شاهد القبر الوحيد الذي عثر عليه في خربة السمرا نقش عليه نص بخط نبطي



3. المجموعة الأولى من نقوش النوع الأول التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين.

بالنقش الحسماوي (صفوي أو عربي شمالي قديم):
"ول/ش... من شمت بخل واس"

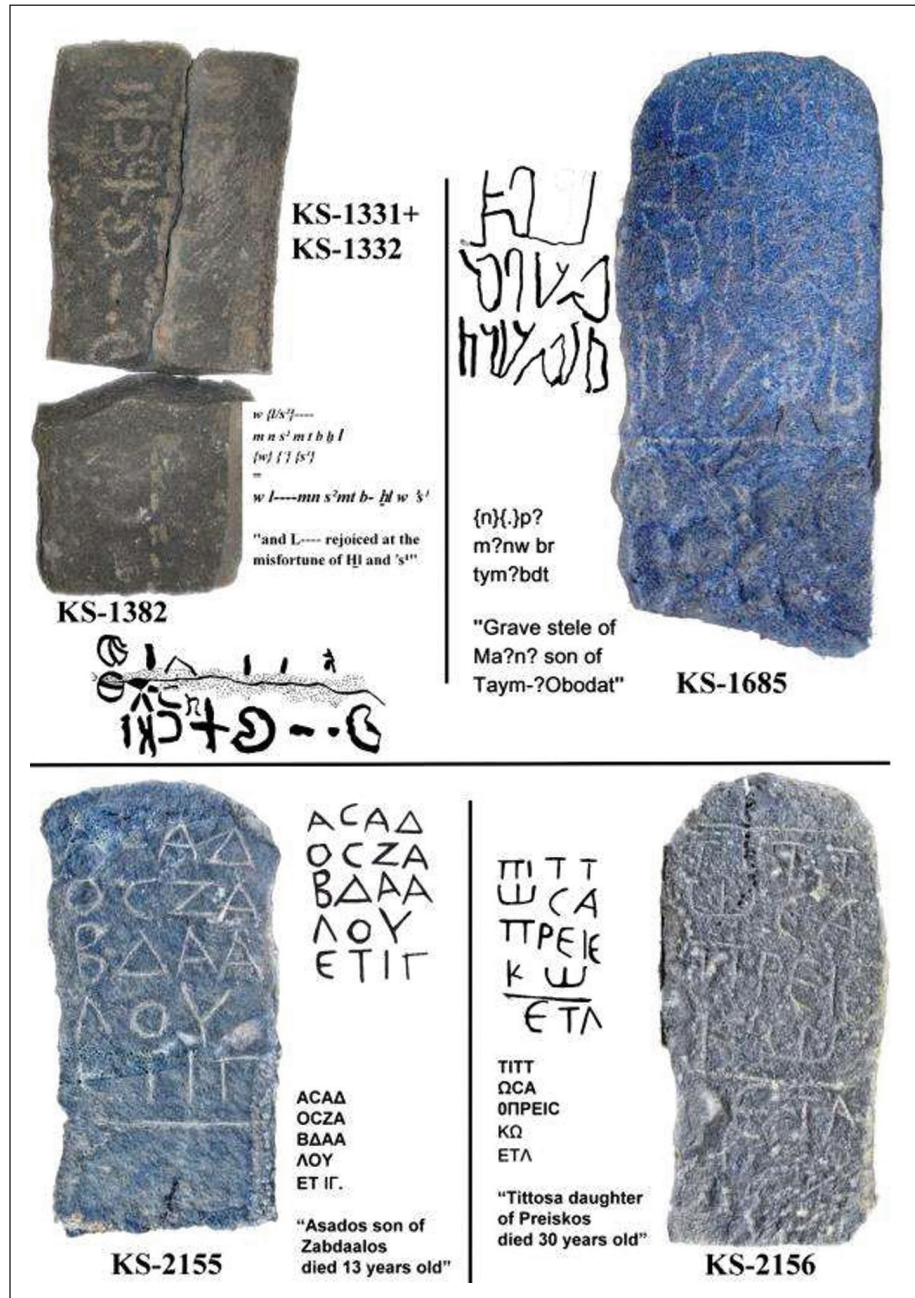
اعتبر هذا النقش كنص تذكاري (Graffito) وليس جنازياً. كما من المرجح جداً أن تكون طرقات الإزميل محاولة لطمس معالم النقش وليس قطع الحجر وذلك بدلالة كسر الجزء السفلي من الحجر (KS-1382) في حين وضعت القطعتان KS-1331 و KS-1332 كحجري غلق متجاورتين. السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، هل كان بإمكان عامل القبر أو أهل الدفين قراءة هذا النقش في

(KS-1331, KS-1332)

(Nabulsi and MacDonald 2014)

(MacDonald)

من بين الصحائف المستخدمة في القبر 357 عثر على ثلاث قطع بازلتية هي أجزاء شاهد قبر واحد، جمع في الشكل والمقطع بعض مظاهر تلك التي في الشكل 4 و KS-1325. الحجر قطع ثلثه السفلي أفقياً ومن ثم عمودياً للقطعة المتبقية. تظهر في منتصف الشاهد وعلى طوله من أعلى إلى أسفل طرقات إزميل عريض الطرف، 2 سم تقريباً (الشكل 4) مما أضر



4. نقوش النوع الأول التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين وتظهر تشابهاً في القطع والشكل ونقشت بخطوط مختلفة (رسم النقشين KS-1331 و KS-1332 من MacDonald).

شكل قرص مستدير عثر عليه في الطبقة السطحية من طرف المقبرة الغربي. نُقش على الحجر صليب أسفله نقش بخط ملاكاوي-آرامي (Melkite Aramaic):
"سويد"

(KS-2009)

(Gatier 2022)

(Private communication)

شاهد قبر بازلي قطع بشكل مخروطي وأعيد استخدامه مع KS-2010 لغلق مدفن القبر 36. حفر على الشاهد صليب واسم باليونانية:
"عمير" أو "عمر"

(KS-2010)

(Gatier 2022)

(Private communication)

شاهد قبر بازلي قطع بشكل شبه مستطيل وحفر عليه صليب داخل دائرة بالإضافة إلى نص قرئ سابقاً على أنه نقش ملاكاوي-آرامي إلا أنه تبين فيما بعد أنه يوناني ويعني:

"عويد" أو "أسيد"

أهمية تصحيح قراءة النقش تتعلق بتاريخ الخط الملاكاوي-آرامي، حيث أن إعادة استخدام الحجر تؤرخ هذا الخط خطأً إلى ما قبل القرن السابع الميلادي، علماً أنه لم يعثر على أي شاهد نقش بهذا الخط وأعيد استخدامه في أي من القبور الـ 725 التي حفرت.

جصيات مقبرة خربة السمرا³

عثر أثناء حفريات المقبرة على ما يزيد عن 60 قطعة جصية كانت مودعة في القبور وقد تباينت حالة كل منها من كسرة صغيرة إلى قطعة كاملة. هذا العدد يتجاوز مجموع ما عثر عليه في الأردن وخارجه، علماً أن القطع التي عثر عليها في سوريا وفلسطين ولبنان، وحتى في قبرص أغلبها إن لم يكن جميعها مقتنيات اشترت من "السوق" [لمعرفة المزيد عن القطع المقارنة خارج الأردن والمصادر بالإمكان الرجوع إلى التقرير المنشور سابقاً (Nabulsi, 2019)].

3. استخدم هنا مصطلح "جص" ومرادفاته لعدم إمكانية التمييز بين الجبصين ومايشابهه ويعرف عامياً بالكلس المستخدم في كساء الجدران (محدودية لغوية للمؤلف).

ذلك الوقت أم أن الأمر مجرد صدفة؟ عدم العثور على نقوش لشواهد قبور أعيد استخدامها وخضعت للطمس بنفس الطريقة في هذه المقبرة ينفي الاحتمال الأخير. ومن الجدير التذكير بحجر "أبجدية خربة السمرا" الذي نقش بنفس الخط وعثر عليه مبنياً ضمن أحد الجدران في البلدة القديمة (Knauf 1998:526).

نقوش القرن السادس والسابع الميلادي المسيحية (الشكل 5)

(KS-1261)

(Nabulsi and MacDonald 2014)

(Gatier)

شاهد قبر بازلي طبيعي ذو شكل شبه مثلث عثر عليه قرب السطح لحفرة القبر 153 ويحتمل أن يكون قد انقلب عن موضعه الأصلي. حفر على الحجر صليب ونقش حوله حروف يونانية:

"سنة 457 ل سيلاس"

هذا هو شاهد القبر الوحيد من المقبرة الذي نقش عليه التاريخ والذي يعادل سنة 562-563م. أما بالنسبة لاسم المتوفى فإنه بالإمكان طرح الاحتمال بكونه "شلاش" باعتبار احتمالية تبادلية حرفي "س" و"ش" الآرامي الأصل والمعروفة في المنطقة (Suchard 2023: 9).

(KS-2001)

(Bader et al. 2017)

(Gatier)

هذا الشاهد عبارة عن حجر جبلي طبيعي ذي أضلاع مستطيلة وقد نقش عليه صليب، وعلى الأغلب لاحقاً نقش يوناني:

"قيام" أو "قيّم"

وجد الشاهد منصوباً على الطرف الشرقي للقبر 251 وفي الوضع الذي وثقه سفنيك (1925) مما يدل على أن الحفريات اقتصرَت على الجزء المسيحي "اليوناني-السوري" (= القرون 6-8 الميلادية) كما وصف سابقاً للمقبرة القديمة.

(KS-1326)

(Nabulsi and MacDonald 2014)

(Desreumaux)

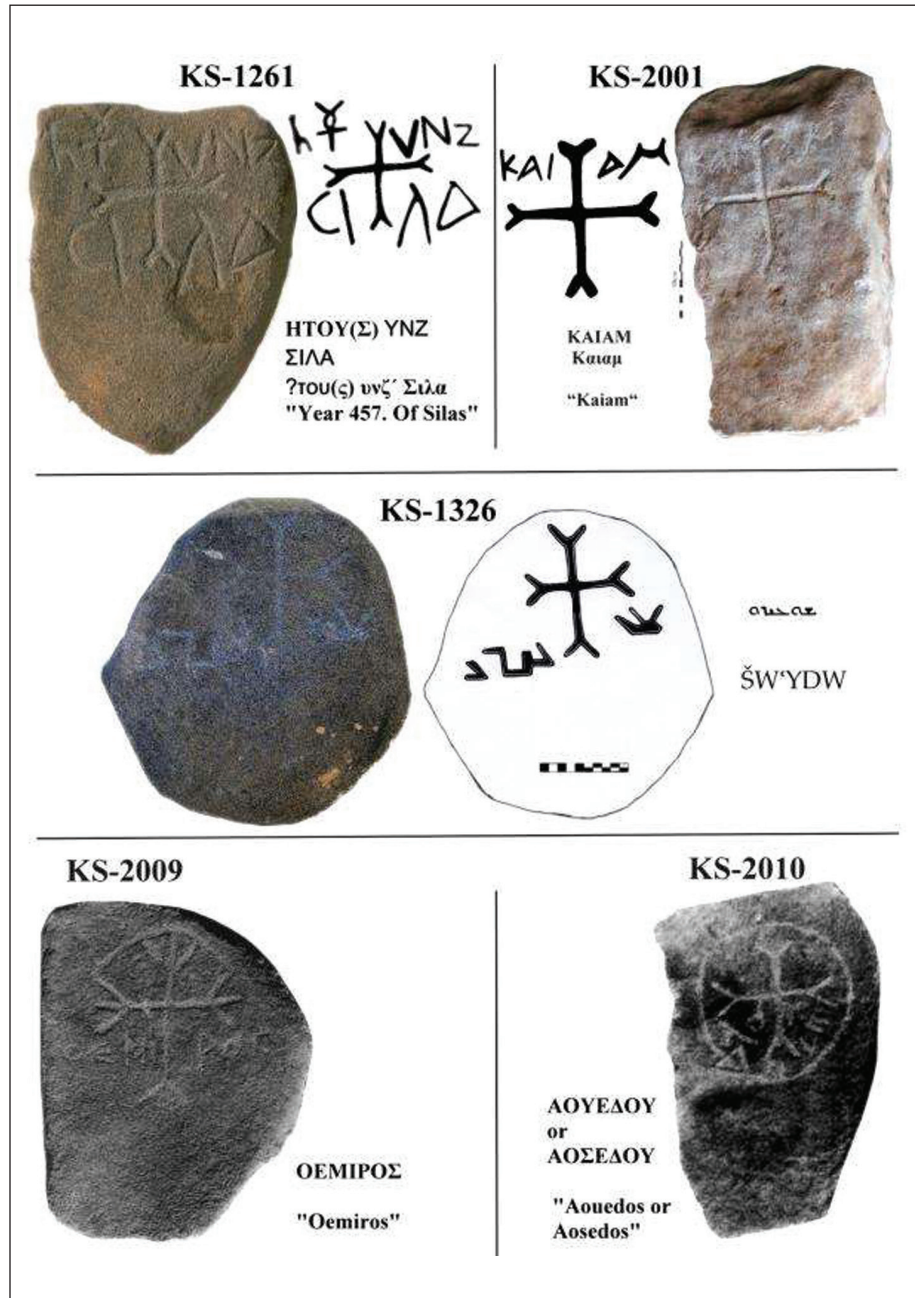
هذا الشاهد عبارة عن حجر بازلي طبيعي على

1. قطع هندسية الشكل

أقراص مرآة دائرية الشكل مسطحة (باستثناء واحدة مربعة)

بحدود قطر 10 سم وسماكة 1 سم، تُبَت في وسط أحد أوجهها مرآة محدبة ذات قطر ما بين 25 إلى 40 ملم، مع وجود ثقب تعليق قرب طرف الإطار، بعض القطع تظهر مرآة على الوجهين وأخرى زينت بخطوط زخرفية سوداء (الشكل 6). عثر في الأردن على أقراص مرآة مشابهة في أم الجمال (Brashler et al. 1995) فينان (Findlater et al. 1998) والحميمة (Schick 1995).

أغلب هذه القطع مسطحة ومصنعة على قوالب. بعض القطع التي نظّفت ورممت من قبل فريق الحفرية [قام بأغلبها فني ترميم الآثار الألماني "H.G. Bonger"] انتقيت لتمثيل الأردن ضمن فعاليات معرض إكسبو 2000 في هانوفر بألمانيا، ومنها ما هو معروض حاليًا في متحف الأردن. مكن هذا العدد من القطع من وضع مقترح تصنيف مبني على الشكل العام لكل منها وبإمكانه أن يشمل جميع القطع الجصية المعروفة. وبناءً عليه فقد قسمت الجصيات إلى ثلاثة أقسام رئيسة ينقسم كل قسم منها إلى فرعين:



5. نقوش النوع الأول التي تعود إلى القرنين السادس والسابع الميلاديين وعليها نقش مع صليب وعلى الأغلب باليونانية (رسم النقش KS-1326 وصور KS-2009 و KS-2010 من Humbert and Desreumaux 1998).

قطع كبيرة مع مرآة زخرفية

عثر على قطعتين فقط من هذا النوع، إحداهما على شكل صحن عميق (قطر 165 ملم وعمق 25 ملم) والآخر قرص كبير (قطر 23-25 سم) وكلاهما مكسور وغير مكتمل. يتوسط كل قطعة مرآة مقعرة (بحدود قطر 50 ملم) وعلى طرفها ثقب تعليق. زين كل منها برسوم بارزة وبلون أسود؛ على الصحن مشهد صيد ومعالم أخرى شملت قرطاس حظ على القرص (الشكل 6) في الأسفل. اقتصر هذا النوع من الجصيات على مقبرة خربة السمرا.

2. تماثيل حيوانية الشكل

تماثيل حيوانية منبسطة الشكل

وهي على شكل حيوانات برية مثل الجمل، وبحرية كالسمكة أو الدولفين، وذات أحجام مختلفة (15-25 سم) تتوسطها مرآة محدبة (قطر 25 إلى 40 ملم) وعلى أحد الأطراف ثقب تعليق (الشكل 7). جميع القطع غير مكتملة ولم يبلغ عن أي مثل لها إلا من خارج الأردن.

تماثيل حيوانية طبيعية الشكل

تقتصر هذه المجموعة على قطعتين فريدتين عثر عليهما في القبر 583. التماثيل على شكل طائر هدهد بوضع "مستريح" وتم توضيح معالم الجسم بإضافة خطوط سوداء. يوجد على إحداهما (KS-1865)، ثقب تعليق وأسفل القطعة الأخرى (KS-1866)، ثقب تثبيت (الشكل 7). اقتصر هذا النوع على مقبرة خربة السمرا.

3. تماثيل آدمية الشكل

تماثيل على شكل رأس رجل

يمثل هذا النوع بثلاث قطع، لم يعثر على نماذج مشابهة لها من أي مكان آخر. جميعها عبارة عن قرص بشكل رأس رجل (ملتج) على وجهه، ومرآة محدبة تتوسط الوجه الآخر. هناك قطعة مؤلفة من نصفين الأول عليه وجه رجل والوجه الآخر قرص مرآة "أصقا" بشريط جصي (الشكل 8).

تماثيل أنثوية

هي عبارة عن مجسمات منبسطة ذات أشكال مختلفة، وضحت معالمها على وجه واحد لامرأة أو

صبية ترتدي ثوباً طويلاً قد يغطي أو يكشف عن الأرجل المختصرة. في أغلب التماثيل تظهر بروزات تمثل منطقة الصدر وأنف طويل ومدبب. الأيدي تظهر إما مختصرة وممدودة أفقياً، كما هو ظاهر في نماذج "دمية خربة السمرا" (الشكل 9)، أو ممدودة على جانبي الرأس (الشكلان 10 و 11). بقية معالم الوجه والجسم والملبس رسمت بخطوط سوداء، كما استخدم في بعض القطع اللونان الأصفر والأحمر (الشكل 9). يظهر على بعض التماثيل مرآة محدبة إما أن تكون "محمولة" فوق الرأس، مع ثقب تعليق فوق المرأة المحمولة وعلى جانب الأذنين، أو مثبتة أسفل الثوب (الشكلان 9 و 10). تشكل التماثيل الأنثوية أكثر من نصف القطع الجصية التي عثر عليها في مقبرة خربة السمرا وهي الأكثر انتشاراً حيث عثر على نماذج مماثلة في الحميمة (Schick 1995) وأخرى غير مماثلة في طبقة فحل (Smith 1969)، إضافة إلى أم الجمال (Cheyney et al. 2009) [القطعة غير مكتملة وقد تكون أنثوية الشكل لكن المصدر لم يعط معلومات كافية عنها] وأخرى لقطع مشابهة ومختلفة خارج الأردن.

إن التنوع وعدد القطع الجصية التي عثر عليها في حوالي 8% من 725 قبر في خربة السمرا يثير تساؤلات تتعلق بتاريخها، ومصدرها، واستخداماتها العملية، ولم أودعت في القبور مع المتوفين.

بالإمكان تأريخ القطع الجصية بشكل عام إلى فترة انتشار أقراص المرأة في القرن الثالث وانتهاء باستخدام المقبرة في القرن الثامن. للمقارنة؛ أرخت دمية كرانس الطينية المصرية (Wilfong 1997: 74) شديدة الشبه بدمية KS-1048 (الشكل 9) إلى القرن الخامس. في حين أرخت القطع التي عثر عليها من مواقع أخرى في الأردن إلى القرنين الخامس والسادس أو إلى الحقبة البيزنطية عموماً.

في خربة السمرا عثر على أكثر من نصف القطع في قبور من موقع واحد، Site-B، أظهرت تجانساً في التأريخ إلى القرن السابع، كما أن تحليل كربون 14 المشع من قبر 428 الذي احتوى أجزاء من ثلاث جصيات مختلفة أرّخ عينة العظام إلى 616-676م وباحتمالية 95.4%. أما في القبر 583، فقد عثر على ثلاثة تماثيل جصية مختلفة مصحوبة بثلاثة

جرت العادة على استخدام الاقتباس السوري لمعرفة المصدر في مثل هذه الأمور. بالنسبة لأقراص المرأة فهي واسعة الانتشار والنوعية ولذلك هي غير محددة، والحيوانات التي تظهر على القطع معروفة في عموم المنطقة كما دل على ذلك ظهورها على الأرضيات الفسيفسائية، وعلى قطع أخرى مثل زجاجة السمكة من ياجوز (Khalil 2001: 132). أما بالنسبة إلى التماثيل البشرية فهي متباينة المظهر حيث يظهر بعضها تشابهاً مع دمي بيوتيا الجصية في اليونان والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد (Amiet et al. 1994: 439, no. 516)، وأخرى تشير إلى اقتباسات من الحضارات الآرامية وبلاد الرافدين وحتى الفارسية تمثلت في الملابس الفضفاضة (Moorey 2001) والقلنسوة المدببة "اللبدة"، كما في (KS-1867) (Badre et al. 1994: 274). بالرغم من الشبه الكبير بين "دميتي" خربة السمرا وكرانس المصرية والعثور على قطع أثرية ذات خلفية مصرية قديمة في القبور (Nabulsi et al. 2008) فإن هناك اختلافات عدة لا تؤيد المصدر المصري

أوان زجاجية تعود إلى القرن الثالث الميلادي على الأغلب، لكن العثور على صليب حديدي معها يرجح تأريخ القبر إلى القرن الخامس على أقل تقدير. هذه المعلومات تؤرخ جصيات السمرا إلى ما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، وعلى الأغلب إلى القرن السادس الميلادي. ولعل استخدام تقنيات أحدث، كالتأريخ بالكربون 14 المشع، بشكل تمييزي لمحتوى القبور يمكن أن يعطي معلومة أدق. هذا وقد لوحظ أن اعتماد التأريخ على قطع أثرية كالزجاج قد يعطي معلومة غير صحيحة، على الأقل في موقع مقبرة خربة السمرا.

فنية وتقنية الصنع وتعددية القطع المتوفرة من الأردن أو المنطقة المجاورة تشير إلى صناعة وصنّاع مختصة للإنتاج. حتى الآن لا يوجد دليل على تصنيعها محلياً في خربة السمرا القديمة. هذه البلدة وغيرها التي عثر فيها على قطع جصية مختلفة تقع على طرق التجارة الرئيسية أو قريباً منها، لذا فإنه من المحتمل أن تكون تلك القطع قد وصلت إلى المنطقة من مصنعها عن طريق التجارة.



6. أمثلة للجصيات هندسية الشكل والتي تشمل أقراص المرأة (الصف العلوي) والقطع الكبيرة.

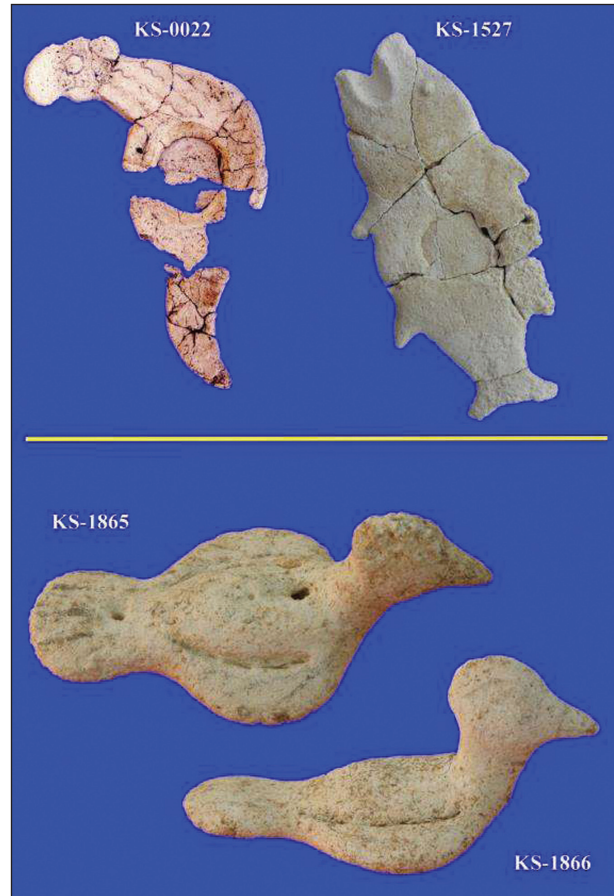
إلخ، ذات استخدامات معروفة دفنت معها مما قد يكون مؤشراً على الوضع الاقتصادي لذوي المتوفات. يبقى السؤال عن وظائف واستخدامات القطع الجصية. اختلفت الآراء حول ماهية القطع الجصية. في حين أنكرت فاعلية المرايا المستخدمة واعتبرت الجصيات بكافة أشكالها مجرد تفاهات لا قيمة لها (Ronzevalle 1921)، أو وصفت أقراص المرأة كأداة مناولاة في الكنسية (Moulton 1920)، أو كأختام خبز (Iliffe 1934)، أو كأدوات تجميل (Brashler et al. 1995)، أو كمصنوعات خاصة بمراسم الدفن (Findlater et al. 1998). أما بقية الأنواع فوصفت كدمى وتعاويذ محمولة أو معلقة (Nabulsi 2019). المرأة التي ألصقت على الجصيات كانت في الغالب محدبة، وهي في حالتها السليمة وقبل تحلل المادة العاكسة بسبب عوامل الزمن والطبيعة، تعكس صورة مكبرة وتنتشر أشعة الضوء الساقط عليها في كل الاتجاهات وهي بذلك لا تختلف كثيراً عن تلك التي

للجصيات. لذا فإن الإحتمالية الأكبر أن الصناعات لجؤوا إلى تصنيع الجصيات بأشكال عدة، ربما ذات شعبية ملائمة لرغبات السوق والمشتري دون مراعاة أو حتى علم بخلفتها الحضارية والجغرافية. لذلك فإن تحديد المصدر يستدعي الاستعانة بطرق تحليل حديثة لمعرفة المكونات وجغرافية القطع الجصية، بما فيها الزجاج المستخدم.

جميع القطع الجصية من الأردن عثر عليها في حفريات قبور تعود إلى الفترة البيزنطية. في خربة السمرا، أظهرت التحاليل البيولوجية أن 11 من 17 قبراً عثر فيها على قطع جصية كانت قبور بنات أو نساء. في القبور الستة المتبقية، وبالرغم من عدم إمكانية تحديد الجنس علمياً لأسباب عدة، عثر على موجودات أخرى ارتبطت بقبور الإناث من مختلف الأعمار كالأقراط على سبيل المثال. وفي كل قبر منها عثر على قطعة ذات مرآة على الأقل. كما تميزت تلك القبور بوفرة في الممتلكات الخاصة، كالأساور والخرز والتعاويذ...



8. تماثيل على شكل رأس رجل. لاحظ شكل السمكة في الجانب المقابل للقطعة العلوية.



7. التماثيل الحيوانية المنبسطة الشكل مع مرآة (الصف العلوي) وشبه طبيعية الشكل أسفلها.

بعض باحثي الكنيسة الشرقية البيزنطية اعتبروا الضوء علامة إشعاع قدسية في مراسم الدفن استخدمت فيها المرايا كعاكسات له وذلك منذ القرن السادس (Dell'Acqua 2006: 300; Kotoula 2013). وبما أن جميع القطع الجصية من خربة السمرا كان عليها أو صاحبها مرآة، فبالإمكان تخيل انتشار الضوء من مصدره (كالشمعة مثلاً) بعد انعكاسه على المرأة المحدبة في كل من KS-1049 و KS-1257 (الشكل 11) في مكان محدود ومعتم، كالكنيسة مثلاً. لذا فإن احتمالية استعمالها في مراسم الدفن المسيحية واردٌ جداً لتدفن فيما بعد مع "المتوفاة" كما هو الحال مع أواني العطر. الرمزية المسيحية للحيوانات التي صوّرت (Bettenson 1970) في جصيات القسم الثاني (انظر أعلاه) قد تكون عامل إثبات إضافي لهذا المقترح.



10. تماثيل أنثوية مع مرآة في أماكن مختلفة.



11. نموذجاً تمثل "المرأة الناحبة" تظهر محاولات لطمس بعض أجزاء الجسم وخاصة في التمثال KS-2275.

توجد حالياً في الأسواق وحقائب السيدات. صنعت "دمى خربة السمرا" الجصية من مادة سريعة الكسر ولونت بألوان سريعة التلف، ولذلك فإنه من المستبعد أن تكون لعبة توضع بين أيدي الأطفال، حتى وإن عثر على إحداها في أحد القبور قرب يد طفلة. القطع المزودة بثقب تعليق لوحظ أن سطح الثقب قلما يدل على الاستعمال وإن كان؛ فعلى الأغلب لفترة وجيزة لم تترك أثراً للاحتكاك. طرح في بعض الدراسات أن عامل الرمزية في إبداع التماثيل والدمى في قبور الأطفال، والبنات خاصة، يفوق عامل الوظيفة (Voigt 1983). كون القبور مسيحية كما تبين من العديد من اللقى التي تحمل صليباً وأغلبها لفتيات أو أطفال صغار، كما وضّح سابقاً، ولشدة التدين (المسيحي) لأهل البلدة القديمة المنعكسة في 13 كنيسة عثر عليها في بلدتهم (Humbert 2010)، فإنه من المنطقي البحث عن الرمزية المسيحية للجصيات.



9. تماثيل أنثوية: مثالان من "دمية خربة السمرا" أعلاه واستخدام ألوان عدة لإبراز المظهر.

بوضع اقتصادي لا بأس به، كما دل على ذلك الوضع الصحي العام وكثرة وتنوع اللقى في القبور. رغم توثيق بعض الصفات المميزة للعينة المدروسة حتى الآن، إلا أنه لوحظ عدم وجود تباينات أساسية سواء في التركيبة الاجتماعية أو في توزيع الصفات الحيوية القياسية وغير القياسية مع عينات من مجموعات سكانية أخرى في الأردن تعود إلى العصر البرونزي والفترة الرومانية. لذا فإن احتمالية استمرارية السكان في هذه المنطقة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، كما ألمحت إلى ذلك دراسات أخرى (Al-Shorman and El-Khoury 2011). من المؤمل التطرق لهذا الفرضية لاحقاً بدراسات أشمل وأدق.

قد تكون النقوش عنصراً داعماً لهذه الفرضية، ولو انحصرت في القرون الميلادية السبعة الأولى. بالإضافة إلى تعددية النقوش، الغالبية العظمى للأسماء التي ظهرت على شواهد القبور "عربية" [رغم الخلاف بين "المستشرقين" و"المستغربين" في مثل هذا التعريف] حتى أن بعضها ظهر على النقوش "الوثنية" والمسيحية. هذه الأسماء ليست حصراً على هذا الموقع حيث وثق آلاف منها في نقوش وعلى شواهد قبور من أنحاء الأردن (Canova 1954; Mittmann 1970; Meimaris and Kritikakou-Nikolaropoulou 2008). كما يجب ملاحظة أن استخدام اليونانية في تلك النقوش لم يكن يقتصر على كونه تأثيراً ثقافياً ولكن أيضاً تنفيذاً لرغبة أو تعاليم الدولة والكنيسة المركزيتين وقد يفسر هذا ظهور نقوش بالخط الآرامي-ملاكاوي (اللغة المحلية) في القرن السابع الميلادي والذي انحسر فيه تأثير هاتين السلطتين.

قد تكون الأدلة التي قدمت مبنية على عينات محدودة العدد ولكنها تمثل السكان أنفسهم وليس أدواتهم. والناس ليسوا أواني فخار! لعل ما يدل على العنصر العربي مقارنة الشكل 2 مع أبيات الشاعر الجاهلي لبيد:

وَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجْعَلْ فَوْقَهُ خَشَبًا وَطِينًا
وَسَقَائِفًا صَمًّا رَوَا سِيَهَا يُسَدِّدَنَّ الْعُضُونا
لِيَقِينَ وَجَةَ الْمَرءِ سَفَ سَافَتِ الثَّرَابِ وَلَنْ يَقِينَا

وبالرغم من النهب الذي تعرضت له ولأسباب

ربط الرومان دفن المرايا والتماثيل الأنثوية مع الفتيات بالهة الخصوبة فينوس. لاحقاً، رُبط دفن الدمى في القبور المسيحية المبكرة مع الفتيات كرمز للعذرية (Martin-Kilcher 2000: 65, 72). في الشرق العربي، تحولت رمزية الخصوبة إلى الإلهة عشتار ليستعاض عنها لاحقاً في المسيحية بالسيدة "مريم العذراء" (Riedl 2003: 238-239). هذا الربط "الخصوبي-العذري" لما قبل وبعد المسيحية قد يكون أمراً مبالغاً فيه وحكماً مسبقاً واسع الإنتشار لمثل هذه المشاهدات (Lesure 2002: 587). فقد ظهرت الجصيات في قبور الفترة البيزنطية في هذه المنطقة بعد فترة انقطاع، باستثناء النبطية منها، مما لا يؤيد استمرارية وتحولاً في التقاليد الجنائزية. كما أنه من الصعب ربط تماثيل "المرأة الناحية" التي تظهر تفاصيل وعورات جسم المرأة بشكل لا يمكن ربطه بالرمزية العذرية المسيحية (الشكل 11)، هذا إضافة إلى محاولات طمس معالم الوجه والجسم لهذه وغيرها من التماثيل الأنثوية (الشكلان 9 و11). كما يصعب الربط المسيحي مع الجصيات التي تحوي معالم ذات خلفية "وثنية"، كقرطاس الحظ في الصحن KS-2300. من هذا يتبين أن القطع الجصية المختلفة والتي عثر عليها في قبور خربة السمرا قد تكون ذات استخدامات شخصية ومنزلية أو في الطقوس الدينية أو لأغراض أخرى لا يمكن حتى الآن تقصيصها. كما أن العلاقة الدينية المسيحية لهذه اللقى غير مباشرة وربما وظيفية (كالمرأة مثلاً). لذلك قد يكون دفنها مع الإناث، وخاصة البنات الصغار تتعلق بأسباب منطقية وغير منطقية. كما لا يجب إغفال احتمالية كونها عادة جنائزية تميز بها مجتمع خربة السمرا القديم، مما قد يفسر العثور على عدد كبير منها في قبورهم.

الخلاصة

تناول هذا التقرير ثلاث نقاط هامة نتجت عن مشروع الحفريات الأثرية في مقبرة خربة السمرا في الجزء الذي يعود للقرون الميلادية من الخامس وحتى السابع. الدراسات التي أجريت حتى الآن على العظام البشرية من القبور أشارت إلى وجود مجتمع صغير، على الأغلب زراعي-رعوي، يتألف من مجموعات (عائلات) متقاربة ومتزاوجة فيما بينها. مجتمع تمتع

مدير عام دائرة الآثار العامة الأسبق، ود. فوزي زيادين، ود. خيرية عمر، ود. أديب أبو شمس الذي ساهم بمراجعة النص وتصحيحه، وقسم بيولوجيا الإنسان بجامعة هامبورغ (ألمانيا) وأعضاء؛ لما قدموه من دعم كل بطريقته، وكذلك د. نبيل بدر ود. هاني هياجنة ومايكل مكدونالد لمراجعة الجزء المتعلق بالنقوش. المشروع مدين بنجاحه وتسهيل واستكمال العمل الميداني للأخ سامح فرحان المشاقبة بالإضافة إلى المرحوم الشيخ ناصر سليمان الشهوان الدغمي وأبنائه وللعشرات من مواطني البلدة. كما نخص بالذكر الإخوة أسامة نايف الدغمي، وفيصل سامح وفارس رياض المشاقبة الذين نشؤوا وعملوا مع الفريق بحرفية لسنوات عدة أسهمت في نجاح الحفريات. يضاف إلى هؤلاء الطلبة والمتطوعون من بلدان عدة عملوا في ظروف صعبة.

د. عبدالله جميل النابلسي
باحث حر - ألمانيا

E-mail: an_fbga23@t-online.de

Bibliography

- Al-Shorman, A.,
2006 Non-Metric Dental Traits as Kinship Indicators. *Abhath Al-Yarmouk- Hum. and Soc. Sci.*: 1928.
Al-Shorman, A. and El-Khoury, L.
2011 Strontium Isotope Analysis of Human Tooth Enamel from Barsinia: A Late Antiquity Site in Northern Jordan. *Archaeol. Anthropol. Sci.*, 3: 263-269.
Amiet, P.; Baratte, F.; Noblecount, C.D.; Metzger, C. and Pasquale, A.
1994 *Antike, Formen und Stile*, Cologne, Germany.
Badre, L.; Gubel, E.; Capet, E. and Panayot, N.
1994 Tell Kazel (Syrie). Rapport préliminaire sur les 4e-8e campagnes de fouilles (1988-1992). *Syria* 71: 259-346.
Badre, N.Z.; Gatier, P.L.; Timm, S. and Nabulsi; A.J.
2017 New Greek Inscriptions from Hîrbet es-Samrâ Cemetery in North Jordan. *ZDPV*, 133: 176+185+Tafel 23-28.
Bettenson, H. (edt.)
1970 Documents of the Christian Church. 2nd ed., Oxford, UK.
Brashler, J.
1995 The 1993 and 1994 Seasons at Umm Al-Jimal. The 1994 Umm Al-Jimal Cemetery Excavations: Area AA and Z. *ADAJ*, 39: 457-468.

يصعب تحديدها، تميزت مقبرة خربة السمرا بتعدد كمي ونوعي للقى الجصية سمح بوضع نظام لتصنيفها يشمل جميع النماذج الأخرى وحتى تلك خارج هذا الموقع. تعود هذه القطع على الأغلب إلى الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين ويفترض أنها وصلت عن طريق التجارة إلا أن مصدرها الحقيقي يبقى غير معروف ويؤمل تحديده في دراسات لاحقة. تعدد الأشكال يبدو أنه مرتبط بذوق ومتطلبات السوق وليس بحضارة معينة، كما يبدو أن وظائف القطع الجصية المختلفة تعددت لتشمل استخدامات خاصة وجنائزية وأخرى ليس بالإمكان تحديدها، إلا أنه من المؤكد أن التماثيل منها لم تكن دمي كما اقترح سابقاً.

تعقيب وشكر

هذا التقرير هو فكرة الزملاء الأصدقاء جهاد هارون وأحمد لاش، ولهما جزيل الشكر لما قدماه من أفكار. مشروع الحفريات الأثرية في مقبرة خربة السمرا لقي دعماً من جهات وأفراد عدة من الصعب حصرهم. نخص بالذكر منهم المرحوم د. غازي بيشة

- Cheyney, M.; Brashler, J.; Boersma, B.; Contant, N.; DeWall, K.; Lane, M.; Smalligan, J.; Vandern Berg, B.
2009 Umm Al-Jimal Cemeteries A, AA, BB and CC: 1996 and 1998 Field Reports. *ADAJ* 53: 321-359.
Dell'Acqua, F.
2006 Glass and Natural Light in the Shaping of Sacred Space in the Latin West and in the Byzantine East. Pp. 299-324 in A.M. Lidov (ed.), *Hierotopy: The Creation of Sacred Spaces in Byzantium and Medieval Russia*, Moscow, Indrik.
Desreumaux, A.
1998 Les Inscriptions Funéraires Araméennes de Samra. Pp. 435-521 in J.B. Humbert and A. Desreumaux (eds.), *Khîrbet Es-Samra Jordanie*. Vol. I, CNRS, Brepols Publishers, Turnhout, Belgium.
Findlater, G.; El-Najjar, M.; Al-Shiyab, A.H.; O'hea, M. and Easthaugh, E.
1998 The Wadi Faynan Project: The South Cemetery Excavation, Jordan 1996: A Preliminary Report. *Levant* 30: 69-83.
Gatier, P.L.
1998 Les inscriptions grecques et latines de Samra et de Rihab. Pp. 359-431. in J.-B. Humbert and A. Desreumaux (eds.), *Khîrbet Es-Samra Jordanie*. Vol. I, CNRS, Brepols publishers, Turnhout, Belgium.

- 2022 Private Communication.
- Guler, S.; Kokoglu, O.F., Ucmak, H.; Gul, M.; Ozden, S. and Ozkan, F.
- 2014 Human Brucellosis in Turkey: Different Clinical Presentations. *Journal of Infection in Developing Countries* 8:581-588.
- Hillson, S.
- 2005 Recording Dental Caries in Archaeological Human Remains. *International Journal of Osteoarchaeology* 11: 249-289.
- Humbert, J.B.
- 1998 Présentation du Site. Thèmes et limites de la recherche. Pp. 27-62 in J.B. Humbert and A. Desreumaux (eds.), *Fouilles de Khirbet Es-Samra Jordanie, Vol. I.*, CNRS, Brepols Publishers, Turnhout, Belgium.
- 2010 *La fouille de Khirbet es-Samra (Jordanie)*. École biblique et archéologique française de Jérusalem, (Jerusalem).
- Iliffe, J.H.
- 1934 A Tomb at El Bassa of c. AD396. *QDAP* 3: 81-91, pl. XXIV.
- Khalil, L.
- 2001 Glass Vessels and Miniature Jugs from Khirbat Yajuz Cemetery, Jordan, *Levant*, 33: 127-138.
- Knauf, E.A.
- 1998 Die altnordarabischen Inschriften. Pp. 523-539 in J.B. Humbert and A. Desreumaux (eds.), *Fouilles de Khirbet Es-Samra Jordanie, Vol. I*, CNRS, Brepols Publishers, Turnhout, Belgium.
- Kotoula, D.
- 2013 With Respect to the Lavishness of the Illumination: The Dramaturgy of Light in the Burial Chapel of the Monastic Founder. Pp. 185-199 in A. Lidov (ed.), *Hierotopy of Fire and Light in the Culture of the Byzantine World*, Moscow, Indrik; Russia.
- Lesure, R.
- 2002 The Goddess Diffracted. *Current Anthropology* 43: 587-609.
- Macdonald, M.C.A.
- 2000 Reflections on the Linguistic Map of Pre-Islamic Arabia. *Arab. Arch. Epig.* 11: 28-79.
- Martin-Kilcher, S.
- 2000 Mors Immatura in the Roman World. A Mirror of Society and Tradition. Pp. 63-77 in J. Pearce; M. Millett and M. Struck (eds.) *Burial, Society and Context in Roman World*, Oxford, UK.
- Meimaris, Y.E. and Kritikakou-Nikolaropoulou, K.I.
- 2008 The Greek Inscriptions from Ghor es-Safi (Byzantine Zoora) (Supplement Khirbet Qazone and Feinān), *Meletēmata* 57, Athens, Greece.
- Mittmann, S.
- 1970 Beiträge zur Siedlungs- und Territorialgeschichte des nördlichen Ostjordanlandes. Abhandlungen des Deutschen Palästina-Vereins 2. Wiesbaden, Germany.
- Moorey, P.R.S.
- 2001 *Ancient Near Eastern Terracottas with a Catalogue of the Collection in the Ashmolean Museum*, Oxford, Oxford, UK.
- Moulton, W.G.
- 1920 Gleanings in Archaeology and Epigraphy. *AASORJ* 1: 66-92.
- Nabulsi, A.J. and Abu Shmais, A.
- 2023 Umm al-Bighal Early Bronze IV Tombs: Analyses of the human Bones. *ADAJ* 62: 155-171.
- Nabulsi, A.J.
- 2019 The Plaster Figurines of Khirbet es-Samrā in Jordan. Pp. 402-412 in G. Papantoniou; D. Michaelides and M. Dikomitou-Eliadou (eds.), *Hellenistic and Roman Terracottas*. Brill Publishers, Leiden, Belgium.
- Nabulsi, A.J.; Gharib, R. and Lash, A.
- 2022 Al-Masarat Cave Tombs: Osteological Preliminary Report. *ADAJ* 60: 607-621.
- Nabulsi, A.J.; Schönrock-Nabulsi, P.; Humbert, J.B.; Desreumaux, A. and Wurst, C.
- 2020 Intramural Burials from the Ancient Byzantine Settlement in Khirbet es-Samrā in Jordan. *Int. J. Mod. Anthropol.* 2-14: 237-273.
- Nabulsi, A.J. and Shami, A.
- 2023 The Bones from Two Cave Tombs in Abdoun, Amman, and the Yasmin Hypogeum. *ADAJ* 61: 283-292.
- Nabulsi, A. and McDonald, M.C.A. with contributions by Desreumaux, A.; Gatier, P.L. and Timm, S.
- 2014 The Epigraphic Diversity of the Khirbet es-Samrā Cemetery in Jordan. *PEQ* 146: 149-161.
- Nabulsi, A.J.; Eger, C.; Timm, S. and Khasawneh, N.
- 2008 The 2007 Season of Excavations at Khirbet Es-Samrā Ancient Cemetery. *ADAJ* 52: 203-207.
- Riedl, N.
- 2003 *Gottheiten und Kulte in der Dekapolis*. PhD Thesis, Freien Universität Berlin.
- Ronzewalle, S.J.
- 1921 Some Alleged Palestinian Pyxes. *PEFQS* 53:172-174, pl. II.
- Savignac, R.
- 1925 Excursion en Transjordanie et au Kh. Es-Samra. *Revue Biblique* 34: 110-131, pls II-III.
- Schick R.
- 1995 Christianity at Humayma, Jordan. *Liber Annuus* 45: 319-342.
- Smith, R.
- 1969 The 1967 Excavations at Pella of the Decapolis, *ADAJ* 3: 5-10.
- Suchard, B.D.
- 2023 What Can Nabataean Aramaic Tell Us about Pre-Islamic Arabic? *Arab. Arch. Epig* 2023: 1-15.

Voigt, M.

1983 *Hajji Firuz Tepe, Iran: The Neolithic Settlement*,
University Museum Monograph 50, Philadelphia,
USA.

Wilfong, T.G.

1997 *Women and Gender in Ancient Egypt*, Kelsey
Museum of Archaeology Ann Arbour, USA.
